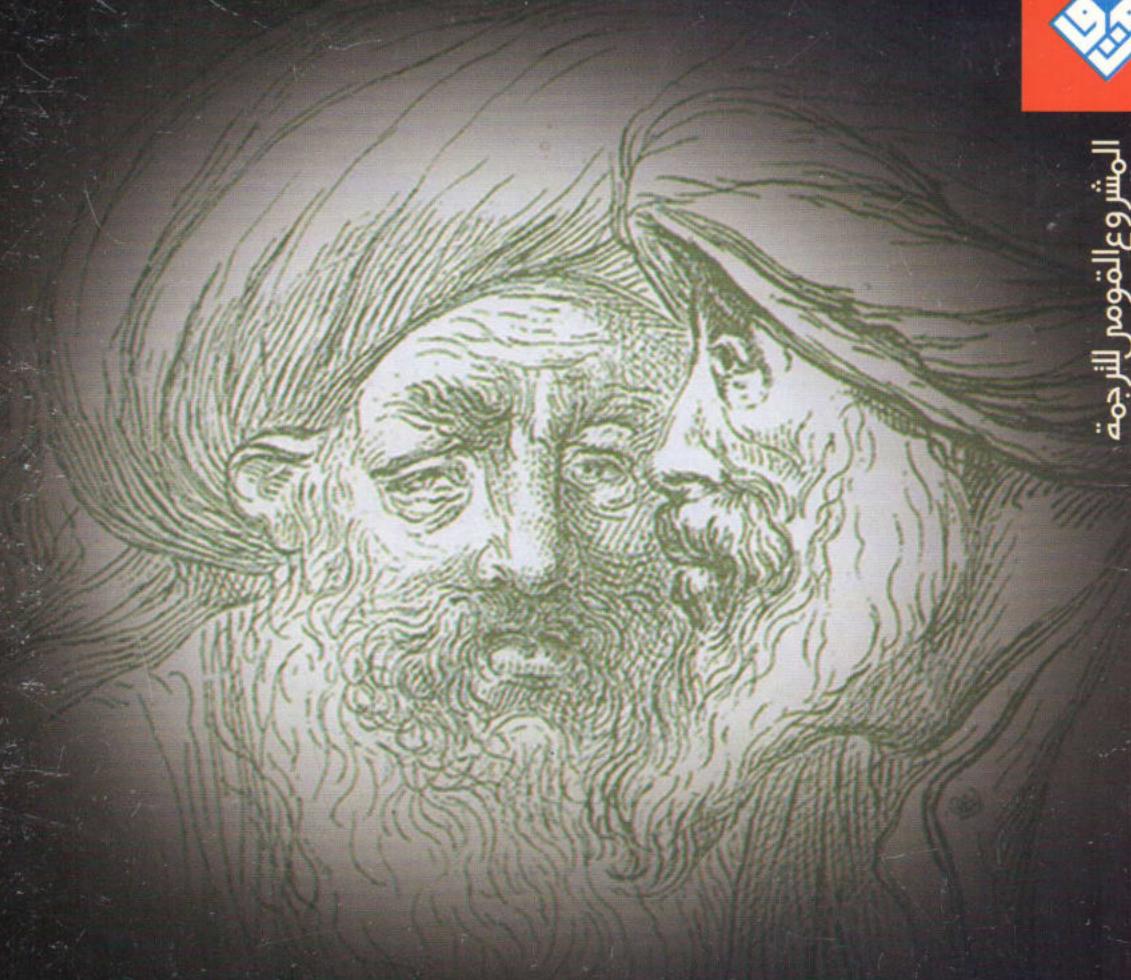


الموريسيكيون الأنجلوسيون

المكتبة
الاعلامية
للسماحة



المشروع القومى للترجمة



تأليف: مرثيديس غارثيا أرينا

ترجمة وتقديم: جمال عبد الرحمن

458

LOS MORISCOS

M.GARCÍA ARENAL



يعد هذا الكتاب مدخلاً لدراسة تاريخ مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة؛ فهو يعرض عدداً من الوثائق المهمة التي تتناول مختلف جوانب القضية: اتفاقية تعليم غرناطة، وقرارات حظر اللغة العربية، وزرى وعادات المسلمين فى إسبانيا، وعدة قضايا نظرتها محاكم الفتى ضد من يمارسون شعائر الإسلام، ورسالة مفتى وهران التى يجيز فيها ممارسة شعائر الإسلام سراً واحفاء ذلك فى العلن، ونموذج للكتابات التى خلفها مسلمو الأندلس التى تختلط فيها المعلومات الصحيحة بالخاطئة، وقرار طرد المسلمين من إسبانيا، هذا بالإضافة إلى وثائق تتحدث عن وضع المسلمين فى البلاد التى هاجروا إليها. والكتاب يضع أمام الباحث العربى عدة وثائق تمكّنه من التصدى بموضوعية لقضية باللغة الأهمية هي قضية الأندلس.

المشروع القومي للترجمة

الموريسيكيون الأندلسيون

تأليف : مرثيدس غارثيا أريناز

ترجمة : جمال عبد الرحمن



المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٥٨ -

- الموريسيكين الأندلسيون

- مرثيديس غارثيا أريتال

- جمال عبد الرحمن

- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

هذه ترجمة كاملة لكتاب :

Los Moriscos

Autora : Mercedes García Arenal

Editorial : Siglo XXI

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٢٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأنكاري التي تتضمنها هي اتجاهات أصحابها في ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

مقدمة المترجم	7
تقديم ميفيل أتغيل بونيس	13
مقدمة المؤلفة	27
تطورات القضية الموريسكية	29
اتفاقية تسليم غرناطة	31
موريسكيو غرناطة	39
القصيدة التي أرسلها مسلمو الأندلس إلى السلطان العثماني طلباً لنجاته ..	41
رسالة من فقهاء المغرب إلى إخوانهم من العرب المتصرين	49
مذكرة السيد فرانثيسكو نونيز مولاي	53
نبوة موريسكية	63
حرب البشرات	69
موريسكيو قشتالة	73
معركة بدر وحنين	79
شعائر الموريسكين الدينية	97
الاتهام والحكم في قضية نظرتها محكمة التفتيش ضد الموريسكي	
فرانثيسكو دى اسبينوسا	105
تنصير موريسكيي فالنسيا	113
تعليم موريسكيي فالنسيا العقيدة الكاثوليكية	115

قضية السيد / سانشو دي كاردونا	137
رأى أسقف سيفوربي في الموريسيكين	155
قضية نظرتها محكمة التفتيش ضد السيد / كوسمي بن عامر وهو موريسيكي من فالنسيا	167
شكوك حول الموريسيكين	201
قرار محكمة تفتيش أراغون بحظر حمل الموريسيكين الأسلحة النارية ..	207
نوضاع ومعاملات وأزياء وماكولات الموريسيكين طبقاً لما يرويه مؤلف أراغونى .	211
رسالة السيد مانويل بونشى دى ليون إلى صاحب الجلالة بتاريخ ٢٨	
أغسطس عام ١٦٠٩	217
مذكرة حول طرد الموريسيكين أرسلها إلى البلاط الملكي الأب سوپريينو في سبتمبر ١٦٠٩	225
قرار طرد موريسيكي فالنسيا	229
رسالة ماركيز كاراتشينا إلى صاحب الجلالة بتاريخ ٢ أكتوبر ١٦٠٩ ..	233
نسخة من الرسالة الأصلية التي وجهتها بلدية مدينة مرسىه إلى جلالة الملك بتاريخ ١٧ أكتوبر عام ١٦٠٩	235
رسالة من موريسيكي غرباطي أرسلها من الجزائر إلى مواطن من تروخيو ..	237
رسائل من كونت سالاتار إلى الملك يعرب فيها عن قلقه إزاء أعداد الموريسيكين التي تعود إلى مواطنها بعد أن تم طردتهم منها	239
نسخة من الرسالة الأصلية التي بعث بها كونت سالاتار إلى سيادته (سكرتير الملك)	241
موجز ومقطفات من القضية التي نظرتها محكمة التفتيش ضد بييفو ديات	243

مقدمة المترجم

نتحدث كثيراً عن الأندلس ونصروره كحلم جميل استيقظت أمتنا منه على واقع مؤلم ، لكن هذا الحديث لا يفيد شيئاً ، فهو مجرد سرد عاطفى لواقعة هنا أو هناك.

نتحدث كثيراً عن فضل العرب على العجم ، ويقول عن مخترعات الفرب إننا أصحاب الفضل في وجودها ، إذ لو لا علماؤنا ما كان بإمكان أوروبا تحقيق التقدم العلمي الذي حققته ، نقول ذلك لكننا لا نشغل أنفسنا بإثبات هذه المعلومة.

ذات مرة كنت أطالع بعض الوثائق في مكتبة مدريد الوطنية ووجدت بين يدي تقريراً كتبه مفكر إسباني أوفدته بلاده في مهمة إلى بعض الدول العربية لعله ي عشر فيها على مخطوطات مفيدة أو كتب نادرة تتعلق بتاريخ إسبانيا . عاد الرجل بعد أن أنجز مهمته ، وجاء في التقرير الذي قدمه إلى حكومته: "لاحظت أمررين في العرب: أولاً حرصهم الشديد على اقتناء الكتب ، ثانياً: إن أحدهما منهم لا يقرأ الكتب التي أجدهم في اقتنائهما".

لعل هذا ما يفسر أننا نتحدث عن تاريخنا المجيد في الأندلس أو حقوقنا السلبية في مكان ما من العالم دون أن نقدم دليلاً على ما نقول.

إن على من يريد التحصي لقضية ما أن يتسلّع بالوثائق أولاً ، ثم يقوم باستخلاص النتائج بعد ذلك. الوثائق: هنا بالضبط تكمن أهمية الكتاب الذي بين يدينا.

لا نظن أن هناك مبالغة إذا قلنا إن هذا الكتاب - بما يتضمنه من وثائق - يشكل الخطوة الأولى التي يجب أن يخطوها من يريد دراسة تاريخ الأندلس بعد سقوط غرناطة. هذا هو الدرس الأول الذي يقدمه لنا الكتاب ، فهو يعرض الاتفاقية التي وقعتها أبو عبد الله الصغير وفيرناندو الكاثوليكي لتسليم غرناطة (إن اتفاقية تسليم غرناطة ،

بصيغتها التي يعرضها الكتاب، تشير إلى القوى الفاعلة الموجودة في ذلك الحين ، وتوضح - بما لا يدع مجالاً للشك - أن المفاوضين المسلمين كان مفاوضاً ناجحاً ولم يفرط أبداً في حقوق المسلمين الإسبان ، بل ولم يفتته كذلك أن يدافع عن حقوق رعايا الدولة الإسلامية من اليهود . ربما يمكن أن نستخلص من التجربة الأندلسية هنا أن مستقبل أمّة ما لا تضمنه مجرد اتفاقيات موقعة ، بل تماسك الأمة واستمرارها في امتلاك أسباب القوة). كما يعرض الكتاب نماذج لقضايا التي نظرتها محاكم التفتيش (ما يساعدنا على إدراك أبعاد ملحمة صمود شعب الأندلس المسلم في وجه المحاولات الramyia إلى طمس هويته، ويبين أن عناصر المقاومة كانت تشمل الفقراء والأغنياء، الرجال والنساء) . كما يعرض مواقف المجتمع الإسباني من القضية ، وكيف أن بعض القادة كانوا يرون إمكانية التعايش بين أفراد المجتمع على الرغم من اختلاف الأديان (رأينا وثيقة تبين الدافع المستيمي عن المسلمين الذي أبداه بعض النبلاء الإسبان ، لدرجة أن يتطلع أحدهم بتشييد مسجد تقام فيه الصلاة) ، وكيف أن تركيا ومصر لم تكونا بعيدتين عن مجريات الأحداث (القصيدة التي أرسلها المورисكيون إلى السلطان بايزيد الثاني تشير إلى تدخل مصر الملكية لصالحهم). يبيّن الكتاب أيضاً الدرس العظيم الذي قدمه مفتى وهران: إن الفتوى التي أرسلها إلى أبناء الأندلس - وهي بعيدة كل البعد عن الجمود- يجب أن تدرس بعناية. تلك الفتوى الشهيرة أحدثت تاريخاً ، ويستحق صاحبها أن يسجل اسمه بين رجال الدين المتميزين. لقد أدى - ببساطة - إلى استمرار الإسلام في إسبانيا ما يربو على قرن من الزمان.

النتيجة الثانية التي نخلص إليها من قراءة الكتاب ربما تمثل في إدراك أن جوانب قضية الأندلس متعددة ولا ينبغي تبسيطها. يخطئ المسلمين والمسيحيون على السواء إنهم ظنوا أن تاريخ الأندلس كان مجرد فترة صراعات انتهت لصالح أحد الفريقين ، وأن كل المسلمين كانوا يرويدون الرحيل وأن كل المسيحيين كانوا سعداء بترحيل المورисكيين. إن الوثائق التي يعرضها الكتاب تبيّن أن بعض المطرودين قد وجدوا راحتهم في البلاد التي نزحوا إليها ، أما البعض الآخر فقد صدم حين وقعت علينا على واقع مر ، حين أدرك اليون الشاسع بين الإسلام بتعاليمه السمححة وبين بعض المسلمين الذين راحوا يفسرون الدين على غير أساس من علم ضروري لفهم

الدين فهماً صحيحاً، إذن فقد عاد بعض المسلمين إلى إسبانيا بعد طردتهم منها ، وهذا معناه إما ضعف الواقع الديني وإما أن المعاملة التي لقواها لم تكن مشجعة على الحياة في بلد المهر، يبقى أن نحدد نسبة هذا الفريق، وبين الوثائق كذلك أن بعضاً من عامة الشعب في إسبانيا كانوا يتسترون على المسلمين العائدين.

الحديث عن سقوط دولة الإسلام في الأندلس وما أعقب ذلك من عمليات تنصير إجباري للمسلمين وكفاح المسلمين من أجل الحفاظ على دينهم ، ثم نزوح المسلمين إلى دولة إسلامية وغير إسلامية..... هو مجرد معلومات ناقصة يجب علينا أن نكملها بمعلومات أخرى تضع الأمور في نصابها الصحيح. الكتاب إذن يوضح أن قضية الموريسيكين أكثر تعقيداً مما يظن أحدها ، إنها ليست مجرد قضية شعب طرد من أرضه بعد أن أجبر على اعتناق دين لا يؤمن به. لقد تجرأ البعض واتهم الموريسيكين بالتفريط ! ولو فرط هؤلاء في دينهم ما تعين عليهم أن يتحملوا الأحوال التي مرروا بها.

الكتاب يوضح أيضاً أن نسبة غير قليلة من الوثائق الرئيسية للقضية المورييسكية مكتوبة باللغة العربية ، وهذا يلقي باللوم على الباحث العربي إن هو تخلف عن البحث في هذه الوثائق والمشاركة الفعالة في تحليل ما حدث في الأندلس واستخلاص العبر.

إحدى الوثائق التي يعرضها الكتاب تبين إلى أي مدى تأثر المسلمين في الأندلس بالسيحيين ، لدرجة أن بإمكاننا أن نتحدث عن وجود مؤثرات غير إسلامية في إسلام الموريسيكين. الحديث عن نبوءات تشير إلى مستقبل الأندلس يقودنا إلى الحديث عن نبوءات مشابهة زعم القوط وجودها و قالوا إنها تتوقع قيوم المسلمين إلى شبه الجزيرة. ونضيف هنا أن الرسالة التي يقول صاحبها إنه الشيخ أحمد وإنه خادم الروضة الشريفة وإن رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) في المنام وإن كلفه بابلاغ رسالة إلى الناس.....هذه الرسالة وضعها المسلمين في إسبانيا بعد سقوط الأندلس ، وما هي إلا تقليد لرسالة زعم المسيحيون في أوروبا خلال العصور الوسطى أنها هبطت عليهم من السماء^(١).

بعد هذا الاستعراض للوثائق التي يقدمها الكتاب أكاد أجزم بأنه يلخص كل أبعاد القضية المورييسكية ، وإن كنت -إحقاقاً للحق- أشير إلى جانبين هامين من

جوانب القضية لا يتعرض لها الكتاب ولم يتمتناولها إلا مؤخراً: الموضوع الأول يتعلق بمسألة الوجود الإسلامي في أمريكا الجنوبية بعد نزوح عدد من الموريسيكيين إليها، إن العثور على مخطوطات ذات موضوعات إسلامية ، وتوافر معلومات عن عدة قضايا نظرتها محاكم التفتيش في أمريكا الجنوبية، بالإضافة إلى تعاقب الأوامر الملكية بحظر سفر المسلمين إلى العالم الجديد.. كل ذلك يؤكد أن الإسلام كان موجوداً في أمريكا الجنوبية منذ لحظة اكتشافها. ولنا أن نشير إلى أن الأبحاث التي تنشر حالياً تعضد ما نقول^(٢) . أما الموضوع الثاني فهو خاص بالجدل بين المسلمين والمسيحيين من عامة الشعب ، وكان الجدل يدور أحياناً داخل السجن بين المسلمين والبروتستانت (لم يكن مسموماً حينذاك إلا المذهب الكاثوليكي) . وقد خلف الموريسيكيون عدة مخطوطات تعالج هذا الموضوع ، ويرى منهم كثيرون في هذا المجال.^(٣)

يبقى أن نتعرّف على مؤلفة الكتاب. لقد اكتفت بجمع الوثائق وكتابه بضعة سطور عن كل وثيقة ، وكان يوسعها أن تكتب الكثير ، فهي أستاذة بالمجلس الأعلى للبحث العلمي بإسبانيا وواحدة من أبرز المتخصصين في موضوع الموريسيكيين^(٤) الذي يدخل في نطاق اهتمامها بتاريخ الإسلام الأندلسي والعلاقة بين المغرب وإسبانيا ، وقد حاضرت في هذه الموضوعات بجامعة مدريد المركزية وأشرفت على العديد من رسائل الدكتوراه.

لا أستطيع أن أنهي التقديم لهذا الكتاب دون توجيه شكر خاص إلى الباحثة مرثيديس غاريثيا أريتال التي أشرف بالتعاون معها منذ سنوات ، فبمجرد أن عرضتُ فكرة ترجمة الكتاب إلى العربية أبدت حماساً شديداً ، وقدمنت لي كل أنواع المساعدة ، وتتابعت عملية الترجمة أولاً بأول ، وكانت أعود إليها لكي تشرح لي فقرة غامضة أو تعبيراً لم يعد مستعملاً في اللغة الإسبانية الحديثة .

الهوامش

(١) لدينا صورة من المخطوطة التي خلفها المورسكيين وتحديثاً فيها عن رؤيا الشیخ احمد المزغومة ، ونرى أن المخطوطة تعود إلى عام ١٥٩٧ ، وقدمنا بحثاً عن هذا الموضوع بعنوان «رسالة مورسکية إلى العالم: قرامة في مخطوطتين بالكتبة الوطنية بمدريد» ، في المؤتمر العاشر للدراسات المورسکية (تونس) انظر أعمال المؤتمر العاشر زغوان ، تونس ، ٢٠٠٢ ، ص ٥٣ - ٦١

(٢) في السنوات الأخيرة عشر على مخطوطات موريكية في عدة أماكن بأمريكا الجنوبية : على سبيل المثال: مختصر الأوصي والتواهي في السنة النبوية ، لعيسي بن جابر مفتى سيفوبيا ، الذي عشر عليه في المكسيك. راجع كذلك ترجمة د عبد الجليل التميمي لكتاب اوى كارادياك "الموريسيكين الأنجلسيون والمسحيون: الجایهة الجدیة (١٤٩٢ - ١٦٤٠)" ، والكتاب يتضمن ملحاقة عن الموريسيكين في أمريكا الجنوبية. أنظر أيضاً:

د. جمال عبد الرحمن: "الثقافة العربية الإسلامية في أداب أمريكا الجنوبية، كتاب تكريم الدكتور سوليداد كراسكو دي أورويتي، مؤسسة التميمى للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ١٩٩٩، الجزء الثاني، ص. ٣٦ - ٥٧

García Arenal: 'Moriscos e indios. Para un estudio comparado de medios de conquista y evangelización.', *Chronica Nova*, Num. 2, 1992, Universidad de Granada.

(٢) راجع كتاب لوى كاردايان المذكور، اتظر على سبيل المثال أيضاً أشعار خوان ألونسو أراغونيس المخطوطة ١٦٧٩ بالكتبة الوطنية بمدريد والتي أشار إليها د. رضا مامن، أعمال المؤتمر الخامس للدراسات الموريسكية، المجلد الأول، من ٤٦٧ - ٤٧٥).

(٤) تذكر من دراسات المؤلفة : *Inquisicion y moriscos.:Los procesos del Tribunal de la Inquisición en Cuenca*, Madrid, Siglo XXI, 1978.

Moros y judíos en Navarra en la Baja Edad Media, Madrid, Hisperion, 1984.

Los españoles y el Magreb en los siglos XV a XVIII, Madrid, Mapfre, 1992.

Entre el Islam y Occidente, vida de Samuel Pallache, judio de Fez, Madrid, Siglo XXI, 1999.

نقدیم

مغیل آنخیل بونیس

(المجلس الأعلى للبحث العلمي - مدريد)

استخدم الموريسكيون على مدى القرون الماضية - خاصة في العقود الأخيرة - كمادة لدراسة الخواص السياسية والاجتماعية والثقافية لإسبانيا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر بالإضافة إلى كتابة تاريخ حياتهم ومأساتهم. إن دراسة أوضاع هذه الأقلية تمكننا من تحديد خواص مجتمع ما من وجهة نظر المختلفين معه، من وجهة نظر من هم أقل أو من وجهة نظر المهيمنين. إن وجود مجموعة من البشر مختلفة بسبب الدين والعادات اليومية - بين مجتمع يقول بوضوح إنه يتميز بخواصه الثقافية والعقائدية - يمثل فرصة للمؤرخين ولعلماء اللغة وللباحثين في مجال الدين أو في عالم الفكر، هذا التواجد يجعل من الممكن وضع حد بين ما هو أصلي وما هو غريب، بين ما نراه يتمشى مع القاعدة - أي ما هو شرعي - وما هو غير شرعي. بغض النظر عن مصير الموريسكيون التعيس ، وبغض النظر عن اختلافهم كموضوع بحث بعد نقفهم الإجباري فإننا مدينون لهم بوجود نقاش بناء ومتشر حول الواقع التاريخي لإسبانيا في الفترة التي كان فيها ذلك الواقع يتذبذب شكله النهائي الذي اتصفنا به ، والذي وصفنا الآخرون به. إن عدم وجود مشكلة واحدة لأولئك الموريسكيين - بل عدد من المشاكل يماثل عدد المالك والمناطق والأقاليم التي استقروا فيها أو رحلوا إليها - يمكن اعتباره ضربة قاصمة موجهة إلى من يقولون بوجود مملكة إسبانية واحدة متراقبة شديدة التماسك. وحتى وقت قريب - بل وفي دراسات معاصرة - كان المنصرون قسراً يستخدمون كأداة لطلابات ومراجعات تتعلق بمجموعة ما ، وليس لها علاقة بالقضية الموريسكية.

و رغم أن "القضية الموريسكية" تقدم في كتب التاريخ الإسباني الحديث على أنها مشكلة هامشية ، إلا أن الكتابات التاريخية حول هذا الموضوع تميزت بوجود عدة

اتجاهات وبالدفاع عن مواقف سياسية ، ويتحديد الشخصية الوطنية الإسبانية ، بل وينقديم مبررات دينية واجتماعية وسياسية. إن هذه المجموعة البشرية كانت إلى حد ما - أداة استخدمت في تأملات خاصة بهذا العصر ، ولا علاقة لها بالقرنين الخامس عشر وال السادس عشر. إن الموريسكيين - كأئر آخرين من الأندلس الزائل - كانوا كرماء مع الباحثين الذين اقتربوا منهم ، كما تدل على ذلك كمية الابحاث الكبيرة التي نشرت في الوقت الحاضر. إن ما يربو على قرن من الزمان من التعايش مع الموريسكيين قد أدى إلى وجود كم هائل من الابحاث المنشورة والمخطوطة كتب معظمها " مسيحيون قدامى " باللغات الأوروبية ، وتوجد هذه الابحاث في المكتبات والارشيفات. وللأسف فإن المدجنين لم يحظوا بهذا القدير من الاهتمام ، وهذا يرجع إلى قلة الوثائق المتعلقة بهم ، وإلى صعوبات لغوية أو إلى قلة جاذبية الموضوع : فتاريخ المدجنين ليست فيه مفاجآت ، ولا ينتهي تلك النهاية المثيرة. نستطيع أن نؤكد - دون مبالغة - أن القائمة الطويلة من الابحاث عن الموريسكيين قد حولتهم إلى مخلوقات ليس لها وجه : فنحن نعرف كيف كانت ملابسهم ، وما هي الحرف التي كانوا يمارسونها ، ومحنوى أوانى طبخهم ، والهجاتهم العربية والأبييرية ، وبعضاً من أسمائهم. إن الظلم الذي تعرض له الموريسكيون تصوره كمية ضخمة من الابحاث. هذه الابحاث تحول معها المسيحيون القدامى - عدا أصحاب السلطة الرسمية - إلى شخصيات مجهمولة مقارنة بالموريسكيين الذين نعرف عنهم أدق التفاصيل. هذا لا يعني أن ضحايا الأمس قد تحولوا إلى جنة اليوم : بل يؤكد أن جاذبية الأقلية المضطهدة قد حررت فضول الباحثين.

يمكن تناول القضية الموريسكية من عدة جوانب ، بعضها قديم والآخر حديث ، مثل تاريخ الأقاليم ، والتاريخ المحلي الذي يستند إلى تحليل آليات السلطة ، وكيفية اتخاذ القرار في العهد القديم. ويمكن أن يفيد ذلك في إعداد كتاب عن العادات أو قصة رعب أو عن مراجعة المفاهيم المسيحية الإسلامية أو عن وصفات لكيفية إعداد أكلات . إننا إزاء مجموعة من الناس تشكل جزءاً من المجتمع الإسباني خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ولستنا إزاء مجموعة سياسية أو عدو عسكري ، أو مجموعة تشكل تهديداً مباشراً لحكم عائلة أويسترياس. إن عظمة الموريسكيين - في إطار أهميتهم المحدودة - تكمن أيضاً في أنه من الممكن اعتبارهم جزءاً مرفوضاً من المجتمع الذين كانوا يعيشون فيه ، على أنهم مجموعة بشرية تدافع عن

الإمبراطورية العادية للإمبراطورية الإسبانية في البحر المتوسط ، في كونهم خصما محتملا في حالة زحف الإسلام إلى أوروبا ، في أنهم عامل يقوض الأساس الاقتصادية وأسس تقسيم السلطة في شبه الجزيرة. لهذا كانه تؤكد أهميتهم في إطار تاريخ إسبانيا.

الموريسيون أقلية ليس لها تاريخ قومي بعد اختفاء السلطة الإسلامية في شبه الجزيرة ، ذلك لأن تلك الأقلية عاشت بين وطن استوعبها ، و على مدى عقود قليلة فقط كانت لهذه المجموعة مميزات خاصة وجدت في جبال البشرات ، ولم توجد في حي البيازين الغرناطي . خلال تلك السنوات التي احتفى فيها ضغط الأغلبية ، لعدم جنوبي تلك الضغوط، كان تاريخ الموريسيين عبارة عن تاريخ مجتمع ريفي يسير وفق فصول السنة الزراعية أكثر مما يسير وفق أفكار الثورة أو وفق التعاليم الدينية ، ولم يكن للفترة الدينية دور واضح إلا خلال ثورة عام ١٥٧٠ . فيما عدا هذا الفاصل الزمني الذي بزرت فيه زعامات للأقلية المورييسكية في أماكن محددة ، كانت الأقلية بلا قيادة، وكانت لها خواص إقليمية محددة، وهذا ما يجعل من الممكن إجراء دراسة اجتماعية ونفسية عنهم. هذه الدراسة لا يجب أن تستند فقط إلى تاريخ السلطات المسيحية والسياسية باعتبارها المرجع الوحيد؛ لأن ذلك سيؤدي إلى وجود أحكام جزئية ناقصة.

إن واقع الموريسيين لا بد أن يدرس عبر تحليل وثائقهم. إن إعادة طبع كتاب هدفه الوحيد " إعطاء كل من يهتم بالقضية المورييسكية - أو يحاول إعداد دراسة حول جانب منها - قاعدة بيانات ووثائق تتبع له الإمام بالجوانب الرئيسية للمشكلة وتساعده على البدء في العمل ، إعادة طبع كتاب هذا هدفه ليست عملاً هزلياً ، إنما هو عمل لا غنى عنه حتى لا تتجاهل المصادر الحقيقة للبحث. إن إعداد طبعة حديثة لنصوص رمزية تتضمن وثائق هو شكل من أشكال تدعيم الدراسات المورييسكية. وكتاب مرثيديس غاريثيا أريئال الذي نُشر عام ١٩٧٤ هو واحد من الكتب التي أتذكرها بشوق، وأشعر نحوها بالامتنان ، فقد بدأنا - نحن الباحثين الشبان - من خلال صفحاته دراسة الأقلية المورييسكية : إذ بينَ لنا الكتاب تعدد جوانب المشكلة التي كنا نظنها مشكلة سهلة حدثت في إسبانيا أيام حكم أسرة أوسترياس. عادةً تأتي الوثائق والمراجع لكي تدعم بحثاً ، وتحتل المرتبة الثانية بالنسبة للأشخاص الذين لم يعتنوا

إعداد موضوع استناداً إلى الوثائق. ومع ذلك ففي هذا النوع من الكتب تظهر موهبة الباحث. إن تلخيص تاريخ قرن كامل استناداً إلى ثمانية وعشرين وثيقة دليل على دراسة الباحثة بالمشكلة التي تتعرض لها ، وبالفعل نحن أمام واحدة من أكثر الباحثين تخصصاً في هذا الموضوع. والخطة التي وضعتها الباحثة منطقية جداً، فهذا ما تتطلبه الوثائق المعروضة ، وهذا ما قام به بعد ذلك كل من أنطونيو دومينغو أورتيث ، وبيترارد فينتينيت (*) في كتابهما "تاريخ الموريسيكين. حياة ومسيرة أقلية". إن دراسات الباحثين المذكورين في هذه الفقرة - بالإضافة إلى باحثين آخرين في هذا العقد - قد حددت الاتجاهات الحالية في دراسة القضية الموريسكية. وفي الوقت الذي كانت تهمل فيه المهارات الشخصية ظهرت أبحاث كتبها الجيل الجديد ، تعلمنا منها وعوضنا بها نقصانا. قد يبدو هذا الوصف مبالغة فيه؛ لأننى أتحدث عن الكتاب الذى يكتفى بعرض وثائق ، ولا أذكر مؤلفات الباحثة في هذا المجال، لكن هذه المبالغة لها ما يبررها بالنظر إلى الصفحات التالية .

رغم أن فهرس الكتاب والمقدمة الموجزة التي تسبقه لا يشيران إلى تصنيف للوثائق حسب الموضوعات إلا أن الوثائق يمكن تقسيمها جغرافياً أو زمنياً. الفصل الأول هو بداية المشكلة الموريسكية ومحله هو الأراضي التي كانت المشكلة فيها بسيطة. إن المجتمع الاستعماري الذى استقر فى غرناطة - وفق رأى خوليو كارو باروخا - كان يحول بين الوفاء بمعاهدة تمت وفق مفاهيم عصور أخرى. كان المجتمع الموريiski يشعر بضغوط جماعة مسيطرة ، وكان يبحث لنفسه عن مخرج، إن استمرار عقائد وعادات الموريسيكين كان فى نظر السلطات السياسية والدينية أمراً محالاً؛ ولهذا فقد أذانت تلك السلطات الحياة الموريسكية بما فيها من ممارسة للشعائر الإسلامية سراً ، وعما فيها من نبوءات وأساطير ، واتصال سياسى بسلطة إسلامية كانت مرشحة لتكون قوة أوروبية ومت Rowe طية. إن ثورات الموريسيكين وحرريتهم واتصالهم بالعثمانيين والمغاربة كان امتداداً للحياة تحت حكم بنى نصر.

المشكلة الثانية حول الموريسيكين والتى يجب مناقشتها - وهى مشكلة لم تحل بعد كلباً - هي صفتهم كمسلمين. هذا الموضوع - مثله كمثل القمع الذى تعرضوا له - قد

(*) توجد ترجمة عربية لكتاب قام بها د. عبد العال صالح (تقديم وتعليق محمد محسن الدين الأنصاف) ونشرت فى دار الإشراق (قطر) عام ١٩٨٩ (المترجم) .

نقش استنادا إلى وثائق محكمة التفتيش ، وإلى النصوص الالخميمادية القليلة المحفوظة حالياً. إن نوع المصادر المستعملة - خاصة ملفات محكمة التفتيش- قد جعل بعض الباحثين يرون قلقهم إزاء "تسميم المصادر" التي تدرس المجتمع الموريسكي وعلاقته بالمسيحيين. ويمكن أساس المشكلة في تقدير نجاح سياسة استيعاب الموريسكيين ، والتفرقة بين "الاستيعاب" و "التحصير" ، وتعریف الموريسكيين وفقاً لخصائصهم الثقافية التي تميزوا بها خلال السنوات التي سبقت عملية الطرد من إسبانيا. إن توزيع الموريسكيين بين الأقاليم المختلفة ، واختلاف تطورهم وفقاً للأقاليم وفقاً لمستوى تفكير السلطات المحلية ... إلخ : كل ذلك يجعل عملية تحديد المشكلة مسألة معقدة تماماً كمسألة تحديد عدد الذين طربوا ومصيرهم في المنفى، وشكل الموريسكيون لغراً مرة أخرى؛ لأنهم ليسوا مجموعة ذات صفات متشابهة ، بل هم مجموعات مختلفة : اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً ودينياً وجغرافياً وحرفيًا وعسكرياً وعنصرياً وسياسياً.

هذه الاختلافات لا يتصف بها الموريسكيون فقط ، بل تتصف بها كذلك المجتمعات التي عاشوا فيها ، والتي شكلوا جزءاً منها. ويمكن النظر إلى القضية الموريسكية على أنها مشكلة إسبانية بحثة كامتداد في العصر الحديث لأوضاع العصور الوسطى ، ويمكن النظر إلى الموريسكيين على أنهم أكبر خطر هدد قيام الدولة الإسبانية وحكم أسرة أوسترياس ، وعلى أنهم أحد عناصر الصراعات الدينية في أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وعلى أنهم نموذج لصراع الحضارات وللصدام بين المسيحية والإسلام. كل تصور من التصورات السابقة يمثل رؤية صحيحة ومفيدة ، هذا ما تؤكده الأبحاث الرائعة الموجودة لدينا حالياً. المهم ألا نعمم النتائج استناداً إلى وثائق جزئية.

النقطة الثالثة التي تتعرض لها وثائق مرثيديس غارثيا أرينال هي موريسكيو فالنسيا ، وهؤلاء يشكلون مجموعة لها خواص مميزة ترجع إلى المعاهدات التي وقعت في العصور الوسطى، وإذا كانت مشكلة مسلمي غرناطة قد نشأت عام ١٤٩٢ فإن مشكلة أهل فالنسيا يعود أصلها إلى الفترة التي كانت فيها هذه الأرضي تابعة لتابعة لراجون. إن دراسة الأقليات في قطاعات فاراغون وفالنسيا وفي بعض مناطق قشتالة

يتبع لنا التعرف على تاريخ النصارى المقيمين في بلاد المسلمين وتاريخ المسلمين المقيمين في بلاد النصارى؛ ويتيح لنا بذلك التعرف على الملامح الأندرسية التي انتقلت إلى المالك المسيحية ، كما يتبع لنا معرفة نُظم الإنتاج في العهد القديم والتعرف على خواص أقلية تعيش وسط أغلبية ترتبط بها.

فالنسيا هي المكان الذي يمكن أن نتعرف فيه بشكل أوضح على صروف الدهر وتقلباته مع الأقلية المسلمة ، وعلى المجهود الذي بذلته الكنيسة من أجل تصدير المسلمين هناك، وذلك بفضل وجود مدرسة بدأها خوان ريفلا. إن مراجعة الكتابات التاريخية عن فالنسيا وقطالونيا وأراغون ربما تمكنا من الحديث عن تدخل العناية الإلهية ، وعن النقاش حول اندماج الأقلية في ثقافة الأغلبية، وعن دراسة طبقة النبلاء ، وعن الخواص الاقتصادية للنظام القديم ، وعن الهوية الثقافية للأقلية المسلمة ، وعن دراسة لغة وعادات الموريسكيين.

تشكل كل من غرناتة وفالنسيا أساس القضية الموريسكية ؛ فهما الملكتان اللتان عاش فيها عدد كبير من الموريسكيين ، ومن ثم استطاع الموريسكيون في كل منهما الحفاظ على عاداتهم ولغتهم ، وهذا قد سمح بصياغة نظريات مختلفة ، بل ومتناقضه. هذا الجدل وهذه المواقف - التي كانت تبدو متناقضه - قد أدى إلى وجود تأملات حول الثقافة والمجتمع والاقتصاد خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، هذه التأملات تجاوزت حدود الأقلية الموريسكية لتشمل المجتمع بأسره، وقد دفع هذا التشبيث بالرأي والدفاع عن مواقف مسبقة حول الواقع التاريخي ؛ أدى ذلك إلى تأملات كان من شأنها تغيير الأسس التي بنيت عليها الكتابات التاريخية الإسبانية. إن الموريسكيين يشكلون أقلية ومجموعة بشرية مهمشة ؛ لكن دراستهم أدى إلى قيام ثورة في الجدل العلمي حول الدراسات الإنسانية. إن ظهور دراسات تحمل كل منها عنوان "الوضع الحالى للقضية" ، وظهور قوائم مراجع ووثائق في هذا المجال معناه أننا بحاجة إلى ملء فراغ واضح في الوعي المعاصر. هذه الأهمية لم يشعر بها أحد للأسف ، إذ ركز بعضهم اهتمامه على الموضوع الأصغر دون أن يدرك أن كثيراً من الباحثين حول الموضوع - مؤلفة الكتاب على سبيل المثال - قد فتحوا مجالات جديدة في قضایا أكثر اتساعاً. لقد استحوذ الموريسكيون في القرن الأخيرة على اهتمام

كثير من الشخصيات التي اهتمت برسم الخطوط العريضة لتطور العلوم التاريخية والسياسية في إسبانيا؛ وعليه فإن التعرض لهذا الموضوع يشكل اقتراباً من ماضينا.

يتضح ذلك تماماً عندما نتحدث عن الوثائق التي جمعتها المؤلفة - والتي تتحدث عن المشاكل التي تحدث يومياً بين جماعتين، ثم الحل النهائي الذي فرضته الأغلبية على الأقلية - وهذا يتبع لنا أن نسجل وقائع الفشل أو عدم التفاهم أو عدم وجود اتجاهات واضحة أو التبريرات السياسية والدينية لقرار لم يُبرر بعد، ويتيح لنا دراسة التغيرات الاقتصادية والديموغرافية التي حدثت في بعض الأقاليم الإسبانية في القرن السابع عشر، ما ذكرناه سابقاً يتعلق بمساواة الأقلية ومأساة الأغلبية على السواء؛ لكنه أدى أيضاً إلى أن يقوم المستعربون والمستشرقون وعلماء اللغة والمترجمون الأوربيون والمغاربة وعلماء الدين الإسلامي وعلماء الاقتصاد - أن يقوم كل هؤلاء بتوسيع مجال الدراسة. وكما أن بعض الكتابات التاريخية المتعلقة بالمورисكيين تعرضت للفشل فإن الاتجاهات الجديدة أيضاً تضمنت - أحياناً - تصورات جزئية المشكلة، لكن هذا كله لا ينفي التقدم الذي منحه المورисكيون لمجالات الدراسة.

الموضوع الأخير الذي تتعرض له الوثائق هو المنفي ومصير المورисكيين عندما أجبرهم قرارطرد على الحياة في بلاد الإسلام، يتحول الموريسكيون مرة أخرى إلى أداة لدراسة تاريخ الأمم الأخرى، وإلى دراسة عالم البحر المتوسط في العصر الحديث. إن تعريف ما حدث في هذا البحر المشترك على أنه صراع حضارات يرافق البعض؛ إذ يبيّن أنه بعد معركة ليبانتو، ونهاية توسعات الإمبراطوريات ظل المجال خالياً. إن الموريسكيين يمثلون إحدى القضايا التي تجعلنا نؤكد أن القول السابق لا يتفق تماماً مع الحقيقة. إن تغيير المسارات التجارية والطرق الجديدة التي كانت تسلكها القوات العسكرية لا تعني نهاية عصر أو نهاية حياة منطقة جغرافية. إن الموريسكيين يمثلون دليلاً على عدم صواب هذا الحكم.

عاد المورисكيون إلى احتلال موقع الريادة، ففي السنوات الأخيرة أعادت دار النشر هذه طبع عدة كتب قديمة صدرت حول القضية الموريسكية. إن كتب باسكوال برونيات وفلورينتشيو خانير وغيرها قد تجاوزتها الأبحاث الحديثة، وإن كان لا يجب أن نغفل آراء المؤلفين السابقين أو المعلومات التي وردت في كتبهم، أما كتاب مرثيديس

غارثيا أريناال فهو كتاب يبين لنا أهمية الأحداث من خلال الوثائق ، وهنا تكمن عظمته. إن كثيراً من المخطوطات التي نقلتها المؤلفة في كتابها لا تزال إلى اليوم تخرج إلى النور كإسهامات جديدة في مقالات وأبحاث تلقي في المؤتمرات ، وهذا هو وضع "القصيدة المورييسكية" التي أرسلت إلى السلطان العثماني على سبيل المثال ، وهذا دليل على أن بعض الكتابات لا تزال بعيدة عن إدراك ما نشر حول الموريسيكين ، إن القضية المورييسكية - شأنها في ذلك شأن قضايا أخرى - ربما تسمح ببناء قصور في الهواء ، لكن هذه القصور يهدّمها الواقع ، وتتحطمها الوثائق. وإذا كانت الوثائق معبرة عن الموضوع الذي سندرسها : فبالتالي تكون بذلك أمام أدلة بحث لا غنى عنها. هذه الوثائق يمكن أن تكون نواة لأبحاث أخرى. إن تلخيص تاريخ الموريسيكين كله في عشرين وثيقة يمكن اعتباره مخاطرة ، إذا وضعتنا في الاعتبار مئات الدراسات المنشورة حول الموضوع. وعلى العكس من ذلك فإذا قرأتنا الوثائق المعروضة قراءة متأنية فإن بإمكاننا أن نتبين وجود تيارات مختلفة في ذلك العصر هي التي أدت إلى نشأة التيارات الحديثة في التاريخ المورييسكي. لا يزال تاريخ الموريسيكين موجوداً في الأرشيفات والمكتبات ، ومن ثم فإن جمع الوثائق في كتاب يجعل الاهتمام بهذا الموضوع مستمراً.

إن الوثائق التي يتضمنها كتاب غارثيا أريناال تسمح لنا أيضاً بالاقتراب من الفترات والاتجاهات التي تميز بها الكتابات التاريخية عن الموريسيكين. من الطبيعي أن يهتم الكتاب بتلك الوثائق الأصلية التي تتناول الأحداث الأولى والنزاعات بين الجماعات الإسبانية بدءاً بثورة البشرات (ديفو أورتادو دي مندوثا) : " حرب غرناطة التي قادها ملك إسبانيا ضد موريسيكي تلك المملكة " ، لشبونة عام ١٦٢٧ ، ولويس ديل مارمول كاريماخال: " ثورة موريسيكي غرناطة وعقابهم " ، ملقة عام ١٦٠٠ ، وخنيس بيريث دي إيتا " الجزء الثاني من الحروب الأهلية في غرناطة " كوبنكا عام ١٦١٤). هذه الكتب الثلاثة تحكي لنا قصة الحرب من وجهات نظر مختلفة، وجهة نظر شخص قريب من السلطة ، ووجهة نظر شخص قريب من الجانب المسيحي ، وهو الجانب القوي في النزاع ، ووجهة نظر جندي عاش فترة من الأسر في المغرب ، ووجهة نظر أديب وظُفَّ الواقع لكي يكتب لنا رواية مورييسكية.

إن وصف النزاع - الذي يمكن أن يُسمى حرباً أهلية في إسبانيا في نهاية القرن السادس عشر - لن يكون دفاعاً عن مواقف متباعدة ؛ بل سيحدد الأطراف والجزئيات. إن تعثر عملية التعايش بين الجماعتين - على الأقل من وجهة نظر دعائية - سيكون موضوع دراسات ظهرت إبان السنوات القريبة من قرار الطرد. هناك - بالإضافة إلى وثائق محاكم التقاضي - كتب تتبنى وجهة نظر "المسيحيين القدامى" مثل كتابي خايimi بليدا (*Defensio Iudicis in causa neophytorum*) فالنسيا (١٦١٠) ، تاريخ مسلمي إسبانيا (فالنسيا ١٦١٨) ، وكتاب بدوره أثناي كاربونا "الطرد العادل لموريسكي إسبانيا" (اويسكا ١٦١٢) ، وكتاب داميان فونيسكا "الطرد العادل لموريسكي إسبانيا" (روما ١٦١٢) ، وكتاب ماركوس دي غوادالاخارا "طرد ونفي موريسكي إسبانيا" (بمبولونه ١٦١٣) ، وكتاب "نفي موريسكي قشتالة" (بمبولونه ١٦١٤) وكتاب خوان دي ريبيرا "طلب لطرد الموريسكيين" (١٦١٢) ، وكتاب خوان لويس روخاس "العلاقة بين بعض الأحداث الأخيرة في بلاد البربر، وخروج الموريسكيين من إسبانيا" (لشبونة ١٦١٢) . عبر صفحات هذه الكتب نجد دفاعاً عن قيم المسيحيين القدامى في مواجهة أولئك الذين يدعمون جيوشاً قادمة من شواطئ البسفور. إنه أدب دعائي يحاول أن يثبت أن قرار الطرد عادل، رغم أن هذا القرار لم تتفهمه الأجيال الحالية حتى الآن. أولئك الرجال - ومعظمهم من رجال الدين - يقدمون وجهة النظر الرسمية ، ويُلبسون قرار الطرد ثوباً فكريّاً ؛ لكنهم لا يفسرون لنا الدوافع التي أدت إلى اتخاذ القرار. هنا يمكن السر في أن الموضوع الموريسكي لا يزال مستمراً بعد أن كتبت عنه آلاف الصفحات: إن التساؤلات المطروحة لم يجب عنها أحد بشكل يرضي.

هذه التساؤلات التي لم يجب عنها أحد قد طرحتها التأريخ الإسباني في القرن التاسع عشر. كان المعتاد في الماضي - حتى سنوات قليلة - هو تعريف ذلك العصر وفقاً للتوجهات الفكرية للمؤرخين الذين تناولوا القضية الموريسكية. يمكننا إذن أن نتحدث عن التقدميين أمثال : خانير، ولينا، ومونيوث، وغاويرا، وموديستو لافويتش ، وعن المحافظين أمثال : منينديث بيلابو، وباسكوال برونات ، ومانويل دانبيلا ، وكانيواس ديل كاستيو. وقد تحدث عن هذا التصنيف كل من رفائيل بنبيث سانشيز (في مقدمة

كتاب لها: "الموريسكيون الإسبان، تصويرهم وطريتهم" ، اليكانتي ١٩٩٠) ، وديكاردو غارثيا كارثيل (في مقدمة كتاب باسكوال برونات "الموريسكيون الإسبان وطريتهم" ، جامعة غرنطة ١٩٩٢) . وقد تركز الجدل في هذه السنوات حول موضوع تقبل المسيحيين القدامي للمسلمين ، وقد أدى هذا الجدل إلى مراجعة أسس وصفات المجتمع الإسباني في العصور الوسطى ، وخاصة بيان حكم أسرة أستورياس. إن الوثائق التي جمعت تمكنا من دراسة النظام السياسي الذي أرسّته الملكية ، وتمكننا من تحليل دور الكنيسة ومحكمة التفتيش في المجتمع الإسباني خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد بدأ القرن بنشر دراسات وجهت انتقادات شديدة إلى تصرفات فيليبي الثالث ودوق ليرما ، وانتهت برد فعل جيل الإصلاح ، وهذا يشير إلى التغيرات التي طرأت على النظام البيرالي الإسباني خلال قرن من الزمان.

يجب أن نذكر - بشكل خاص - تلك الدراسات التي صدرت في العقد الذي يبدأ عام ١٩١٠ . إن اكتشاف مكتبة موريسكية كاملة مكتوبة باللغة الإسبانية في إحدى قرى سرقسطة جعل المستعربين يدرسون الموريسكيين . إن فهرسة محتوى مكتبة المجموعة - وهو عمل قام به خوليان ريبيرا وأسين بلايثوس - يُعد بداية لدراسة ثقافة الأقلية من خلال ما كتبه مؤلفو الأقلية أنفسهم. من المهم هنا أن نذكر ذلك الكتاب الذي وضعه بدوره لونغاس عن الشعائر الإسلامية تحت عنوان "حياة الموريسكيين الدينية" (*) (مدريد ١٩١٥) . ومن المهم كذلك أن نبرز اهتمام علماء اللغة بجماعة وصفت قدماً بخلوها من الثقافة والأدب.

إن عصر تجديد الدراسات الموريسكية - أو بداية التاريخ الحديث للموريسكيين - يدين بالفضل لذلك الجدل الذي دار بين أميريكو كاسترو وسانشيت ألبونوث حول الواقع التاريخي لإسبانيا ، ومدين لجهود أعضاء مدرسة مجلة *Annales* الفرنسية مثل فيرناندو براوييل صاحب كتاب "حوض البحر المتوسط في عصر فيليبي الثاني" ، وهنري لا بير صاحب كتاب "جغرافية إسبانيا الموريسكية" (باريس ١٩٥٩) ، ومدين كذلك للتتأثيرات

(*) ترجمتنا الكتاب إلى اللغة العربية وقد نشره مركز الدراسات الموريسكية (زغوان - تونس) عام ١٩٩٣ (المترجم) .

(**) نعم لأن ترجمة لهذا الكتاب الهام تأمل أن ترى النور قريباً ضمن إصدارات المجلس الأعلى للثقافة (المترجم) .

التي أحدثتها مقالات خوان ريفلا التي جمعت في كتاب " دراسات حول الموريسيكين " (برشلونة ١٩٧٠) ، وكتاب " موريسيكيو مملكة غرناطة " لخوليو كارو باروخا (٢٠) .

بدأت دراسة القضية الموريسيكية من قبل باحثين ذوى اتجاهات مختلفة، فقد درس المستعربون الأدب الألخيادو ، وكان على رأسهم البارو غالليس دى فوينتيس ، وبدأ دارسو الأدب واللغة الإسبانية فى تحليل الجدل الدينى بين الجماعتين ، وكان على رأس هؤلاء لوئى كارداياك (الموريسيكيون والمسيحيون: المواجهة الجدلية ١٤٩٢ - ١٦٤)، أما المستعرب ميكيل دى إيبالاثا: فقد كرس جهده للبحث عن آثار الموريسيكين فى المغرب فى " دراسات حول الموريسيكين الأندرسسين فى تونس " بالاشتراك مع رامون بيت (مدريد ١٩٧٣) كما قامت مرثيس غارثيا أريناال بدراسة مجموعة محلية من خلال وثائق محكمة التفتيش فى كوبنكا ، وذلك فى كتاب " محكمة التفتيش والموريسيكيون : قضايا محكمة كوبنكا " (مدريد ١٩٧٨) .

إن أسماء الشخصيات والكتب المتعلقة بالموريسيكين كبيرة لدرجة أصبح معها من الضرورى وجود منهج لجمع كل ما كتب حول القضية. هناك قائمة لمراجع عامة حول الموضوع ، منذ البداية وحتى عام ١٩٧٨ ، نشرها مارتين رافيارد فى الجزائر عام ١٩٧٩ ، وهناك دراسات عن الموريسيكين فى مجلة "شرق الأندرس" أعدها ميكيل دى إيبالاثا وغيره ، ونشرت فى اليكانتى عام ١٩٨٢ ، وهناك دراسة عن الموريسيكين فى بلاد البربر أعدها مارتين رافيارد ، ونشرت عام ١٩٨١ . وقد أصبح من الضرورى إعداد دراسة عن الكتابات التاريخية المتعلقة بالموريسيكين : هذه الدراسات التى يوضح كل منها الوضع " الحالى " للقضية قام بإعدادها كل من ريكاردو غارثيا كارثيل (١٩٧٧) وميغيل انخيل بونيس إيبالا (١٩٨٢)، وهى دراسات يجب أن يضاف إليها ما كُتب خلال السنوات الأخيرة.

إن حجم الدراسات الموجودة حالياً حول القضية الموريسيكية دفع بعض الباحثين إلى المزاجة بوضع اسم جديد لهذا النوع من العلوم ، واقتربوا أن يكون الاسم " موريسيكولوجي ". لا أريد الدخول فى تفاصيل ، لكن من الواضح أن القضية شدت انتباه باحثين لهم آراء وموافق متباعدة تشكل فيما بينها صرحاً ثرياً .

في عام ١٩٧٩ ظهر كتاب يوجز تاريخ الموريسكيين (دومينيغيث أورتيث بـ فينشيت تاريخ الموريسكيين : حياة ومساواة أقلية مدريد) ، وقد حفز هذا الكتاب الدراسات اللاحقة، بعد ذلك عقدت لقاءات بين المتخصصين لمناقشة موضوعات محددة في أوبيسيو عام ١٨٩١ ، وفي مونبيليه عام ١٩٨١ ، وفي تونس أعوام ١٩٨٢ ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٦ ، ١٩٩٠ ، (٤) وفي بلدة سان كارلوس دي لا رابيتا عام ١٩٩٠ ، وقد نشرت أعمال هذه الملتقيات بعد ذلك ، وقد أسهمت اللقاءات بين المتخصصين في تقرير وجهات النظر.

إن محاولة تحديد اتجاهات الكتابة التاريخية حول الموريسكيين حالياً مهمة تتجاوز الهدف من هذه المقدمة ، وتجعلني أجحف حق بعض من الذين لا أذكر أسمائهم مع وجوب ذكرها ؛ لذلك فإنني سأكتفي بذلك عناوين الدراسات الأخيرة التي تشكل اتجاهها جديداً في هذا المجال. ومن بين الأقاليم التي عاش فيها الموريسكيون وكان لهم وزن ديموغرافي تبرز أندوليثيا (وقد اهتم بدراستها كل من فنيشت ، و.م. بايوس أغيليرا ، و.م. بيريل ، و.اثنين المانسا ، و.أ. غالان، إراندا بوتشيل ، وخيل سان خوان ، و.ن. كابريانا ، و.ف. برناي ، و.ر. بنيتيث ، وسانشيز بلانكو) وفالنسيا وقطالونيا (وقد اهتم بدراستها كل من ب. فيرير ، وثيسكار ، و.م. أريديث ، و.ر. لوبيث كيليس ، وألوس تاماريث ، ودولوريس برامون ، وميكل دى إيبالثا ، وبرنابي ، وغارثيا كارثيل ، وفيرين ، وبنيتيث) وقشتالة (وقد اهتم بدراستها كل من بيديو ، ويدراثا ، و.ر. سانشيز ، ويلاثيث ، و.خ.م. ماغان ، وسبرافين دى تابيا) فأرغون (وقد ظهرت دراسة لمجموعة من الباحثين بعنوان " منفيون من أرغون : يهود وموريسكيون " سرقسطة ١٩٨٨).

هذا التاريخ المطى والإقليمي الذي قام به الباحثون بمنهج علمي سليم قد أدى إلى توضيح الأمور في مجالات السكان والاقتصاد والمعتقدات وأنظمة السلطة والهجرات والنظم الاجتماعية وأسماء الموريسكيين ، وهذا ما نجده عند كارمن بارثيلو وأنا لا بارتا. ومن بين الكتب الأخيرة التي صدرت يبرز كتاب ماركيد بستانوبيا وعنوانه " المشكلة الموريسكية من وجهة نظر أخرى " (مدريد ١٩٩١) ، وقد فتح مؤتمر أوبيسيو

(٤) لا تزال مؤسسة التميي للبحث العلمي والمعلومات تنظم المؤتمرات عن القضية الموريسكية ، وسوف يعقد المؤتمر الحادى عشر بذن الله فى شهر مايو ٢٠٠٢ بمدينة زغوان (المترجم) .

أفاقاً جديدة في مجال الأدب الأخميادو ، ويرزت فيه أسماء لوبيث بارالت ولوبيث مورياس. إن دخول باحثين مغاربة مجال الدراسات المورييسكية قد ملا فراغاً كبيراً يتعلق بحياة الموريسيكين على الجانب الآخر من البحر المتوسط ومشاكلهم هناك، وهنا تبرز أسماء كل من: محمد رزق ومصطفى زبيس وعبد الجليل التميمي وعبد الحكيم القفصي.

هذه القائمة يمكن أن تكملها أسماء أخرى لم نذكرها الآن لدواعي الإيجاز ، كما يمكن أن تكملها مجالات أخرى تعكس تعقيدات حياة مجموعة بشريّة عاشت على جانبي البحر المتوسط أكثر من قرن من الزمان خلال القرن السادس عشر وأائل السابع عشر. هذه المجالات تتدرج من الأزياء وطريقة الطبخ عند الموريسيكين ، وتصل حتى العتقدات ، مروراً بالاقتصاد والسكان. إن الموريسيكين يشكلون جزءاً من عالم متعدد ومعقد، والوثائق التي يتضمنها الكتاب يمكن أن تذكرنا بكلام آخر معاد ، لكنها تمثل دعوة إلى تمهيد طرق جديدة يمكن أن تقودنا إلى تطبيقات مختلفة. هذا الكتاب خرج إلى النور حينما صدرت كتب أخرى هامة في التاريخ المورييسكي ، ونأمل أن توافق هذه الطبعة الجديدة لحظة أخرى من لحظات الازدهار. إذا لم يتحقق هذا الأمل فيكتفينا أن نعيش - عبر هذه الوثائق - الظروف التي مر بها الموريسيكين والمسيحيون القدامي.

مقدمة المؤلفة

الهدف الذي أسعى إليه في هذا الكتاب هو تقديم قاعدة وثائقية وقائمة مراجع لكل من يهتم بدراسة القضية الموريسكية^(١) أو من يسعى إلى دراسة جانب من جوانبها، هذه الوثائق وهذه المراجع يمكن أن تهدى له الطريق ، وأن تساعده على البدء في دراسته .

لها الهدف قمت بجمع وثائق (بعضها لم ينشر بعد، لكن معظمها نُشر في كتب أخرى) رأيت أنها ذات أهمية خاصة بالنسبة لجوانب القضية الموريسكية. لم أنشر القرارات التي نظم الملوك بمقتضاها حياة الموريسكيين، أو حاولوا من خلالها معالجة مشكلتهم، بل فضلت تلك الوثائق التي أظهرت عقلية وموقف الناس من الموريسكيين. وقد حاولت أن تقدم مجموعة الوثائق للقارئ صورة لحياة الموريسكيين وجوانبها الاجتماعية والثقافية والسياسية. سعيت كذلك إلى عرض موقف المسيحيين القدامى (فيمحاكم التفتيش ، وفي الإدارة المركزية ، وبين سادة الموريسكيين من رعاياهم) وموقف الموريسكيين ، رغم أن الوثائق الخاصة بموقف هؤلاء الآخرين ليست كثيرة.

إذا وضعنا في الاعتبار اتساع الموضوع فلنا أن ندرك أن هذه الوثائق ليست سوى مؤشر لختلف جوانب القضية الموريسكية ؛ لكنني أمل في أن تثير هذه الوثائق الاهتمام بأي جانب المشكلة التي لا تزال في حاجة إلى دراسة وتوضيح.

إن كمية المراجع المنشورة حول الموريسكيين ثلاثة ، لكن معظم هذه المراجع يدور حول مسائل عامة، أو حول كتاب ليست موضوعية وذات تزعة جدلية. لا نزال في حاجة إلى دراسات عن موضوعات محددة تستند إلى وثائق مستخرجة من الأرشيفات ، ولا شك في أن مثل هذه الدراسات ستتمثل إضافات هامة.

(١) تعنى بمصطلح "موريسكيين" أولئك المسلمين الذين عاشوا في إسبانيا بعد استرداد شبه الجزيرة بالكامل (عام ١٤٩٢) والذين أجبروا على اعتناق المسيحية . الوثائق الخاصة بالنصف الأول من القرن السادس عشر تطلق عليهم صفة "المُتّصرِّين الجدد نوى الأصل المسلم" . وقد اختفت الأقليّة الموريسكية من إسبانيا مع عملية الطرد بين عامي ١٦٠٩ - ١٦١٤ .

تطورات القضية الموريسكية

- ١٤٩١ توقيع اتفاقية تسليم غرناطة (١٨ نوفمبر) .
- ١٤٩٢ تنصير المسلمين على يد الكاردينال ثيستيروس ، وإحراق الكتب العربية في غرناطة.
- ١٥٠١ إخضاع المتمردين.
- قرار بتنصير موريسكي غرناطة.
- ١٥٠٢ حظر دخول موريسكيي قشتالة مملكة غرناطة (٢٠ يوليه)
- قرار يخير مسلمي قشتالة بين التعميد والنفي (١١ فبراير)
- حظر مغادرة موريسكيي قشتالة لراضيهم (١٧ فبراير) وبهذا ألغى خيار النفي.
- ١٥١٦ الكاردينال ثيستيروس يصدر قراراً يجبر فيه المسلمين على التخل عن أزيائهم وعاداتهم؛ لكن القرار يُجدد.
- ١٥٢٢ - ١٥٢٣ حروب الجماعات في فالنسيا. الجماعات تجبر الموريسكيين على التعميد تحت التهديد بقتلهم.
- جدل حول ما إذا كان التعميد شرعاً أم لا
- ١٥٢٤ البابا كليمنت السابع يبحث كارلوس الخامس على وضع حد لمشكلة المسلمين في أراغون، ويسمح له بطرد من لم يتم تعميدهم ويحله من وعده أمام المجلس الملكي، والخاص باحترام عادات الموريسكيين (١٥ مايو)
- كارلوس الخامس يخieri موريسكيي فالنسيا بين التعميد والنفي ، ويعتهد بأن يكون المتعملون في مأمن من محاكم التفتيش لمدة ٤٠ عاماً.

- ١٥٢٦ تعميد موريسيكي أراغون بناءً على قرار بذلك .
- ثورة موريسيكي فالنسيا في بناغواشيل ، وفي سيرا دي اسبادان.
- قرار بحظر لغة وأزياء عادات موريسيكي غرناطة. تأجيل تنفيذ القرار.
- قرار بحظر عادات الموريسيكين وحظر استعمال اللغة العربية.
- ١٥٦٧ حرب غرناطة.
- ١٥٧٠ - ٦٨ البدء في ترحيل مسلمي غرناطة إلى قشتالة (١ نوفمبر)
- قرار بنزع أسلحة موريسيكي فالنسيا (٢٨ يونيو)
- ١٥٧١ حرب في أراغون بين الموريسيكين (من زداع الأراضي) والرعاة
- ١٥٨٥ نشر قرار طرد موريسيكي فالنسيا (٢٢ سبتمبر)
- ١٦٠٩ حظر بيع موريسيكي قشتالة ممتلكاتهم العقارية (١٤ نوفمبر)
- ١٦١٠ الإعلان في فالنسيا عن قرار طرد موريسيكي أندلوشيا ومرسيه وأورناتشوس (١٢ يناير)
- السماح بمغادرة قشتالة لن شاء من الموريسيكين (١٨ يناير)
- الأمر بطرد موريسيكي قطالونيا (١٧ أبريل)
- الإعلان في سرقسطة عن قرار طرد موريسيكي أراغون (٢٩ مايو)
- الإعلان عن قرار طرد موريسيكي قشتالة واكتستريمانورا ولا مانشا (١٠ يوليه)
- ١٦١٤ انتهاء عملية طرد آخر الموريسيكين؛ وهم موريسيكيو بايبي دى ريكوتى الذين تم تأجيل طردهم نظراً لشهرتهم كمسيحيين مخلصين.

اتفاقية تسليم غرناطة (*)

إن أول وثيقة ضمن وثائق القضية الموريسكية - سواء من حيث الترتيب الزمني ، أو من حيث كونها الأساس الذي بنيت عليه المشكلة برمتها - هي العهد الذي أعطاه الملكان الكاثوليكيان لسلمي غرناطة بعد استسلامهم في نهاية عام 1491 ، وبعد أن انتهت عشر سنوات من الحروب خاضتها آخر معاقل السلطة الإسلامية في إسبانيا.

هذه الاتفاقية التي كانت سخية بالنسبة للخاسعين تؤكد على منح المسلمين حرية ممارسة شعائرهم وشريعتهم ولغتهم وعاداتهم.

لم تحترم هذه الاتفاقية إلا لمدة وجبرة. كانت نصوص الاتفاقية على النحو التالي (١) :

- يتعهد ملك غرناطة والقادة والفقهاء والوزراء والعلماء وكافة الناس ، سواء في غرناطة في البيازين وأرباضهما بأن يسلموا طواعية واختياراً - وذلك في ظرف ستين يوماً تبدأ من تاريخ هذه المعاهدة - قلاد الحمراء والحسن وأبواهها وأبراجها وأبواب غرناطة والبيازين إلى الملكين الكاثوليكيين ، أو إلى من ينوبانه من رجالهما ، على لا يسمع لنصراني أن يصعد إلى الأسوار القائمة بين القصبة والبيازين بحيث يكشف أحوال المسلمين ، وأن يعاقب من يفعل ذلك.

(*) لا شك في أن هذه الاتفاقية تعد أفضلي معاهدة وقعها طرف مهزوم ، وهي - إذا وضعتنا في الاعتبار هذه الظروف - تدل على صلابة وكلمة ابن عبد الله الصغير كمفاوض ، وتحضر ما يقول به البعض من تخاذل ملك غرناطة أو تفريطه . (المترجم) .

(١) مكتنا أوردها مارمول... في كتاب

Rebelión y castigo.....,pp.147-150

حول اتفاقية تسليم غرناطة انظر أيضا

Garrida Alenza: *Las capitulaciones para la entrega de Granada*

Gaspar Remiro: *Últimos pactos y correspondencia entre los Reyes Católicos y Boabdil sobre la entrega de Granada*

Moreno Casado: *Las capitulaciones de Granada en su aspecto jurídico*

- وبعد مضى أربعين يوماً يخضع كل المسلمين طواعية لجلالة الملك الكاثوليكي ويرثون ما يجب عليهم تأدبه كرعايا مخلصين للكهم الطبيعي.

وضمناً لسلامة هذا التسليم يقدم الملك مولاي أبو عبد الله والقادة المذكورون إلى الوزير يوسف بن كماشة قبل تسليم الحمراء بيوم واحد خمسمائة شخص من أبناء وأخوة زعماء غرناطة والبيازين؛ ليكونوا رهائن في يدي صاحب الجلالة لمدة عشرة أيام ريثما تُسلم الحصون، ويتم توزيع الرجال والمؤن عليها ، وفي أثناء تلك الفترة يُقدم لهم ما يحتاجونه من أطعمة، ثم يُطلق سراحهم.

- بعد أن يتم تسليم قصر الحمراء والحسن يتهدى الملك الكاثوليكيان فابنها الأمير خوان بالأصل عن أنفسهم ، وبالنيابة عن خلفائهم إلى الأبد، بقبول الملك أبي عبد الله والقادة والوزراء والعلماء والفقهاء والفرسان وعامة الشعب رجالاً ونساءً من أبناء غرناطة والبيازين وأرباضهما وقرابهما والبشرات وجميع الأراضي التي تتضمنها هذه المعاهدة ، كرعايا طبيعيين وأن يؤمنوا على بيوتهم وأموالهم وثرواتهم الكائنة الآن والتي قد تؤول إليهم مستقبلاً، وألا يحدث بهذه الممتلكات أى ضرر ، إلا بسبب وإلا طبقاً للقانون، وألا تصادر أموالهم أو جزء منها بل ستُحترم ممتلكاتهم، وسيكونون موضع احترام رعايا جلالة الملك مثل سائر المواطنين الذين يعيشون تحت حكم جلالته.

- حينما يرسل صاحبها الجلالة رجالها لتسلم قصر الحمراء فسيأمرون من يرسلونه بالدخول من باب العشار، أو من باب نجدة، أو عن طريق الحقول الخارجية، وذلك حتى لا يؤدي سيرهم في شوارع المدينة إلى إثارة المشاعر.

- يوم أن يقوم الملك أبو عبد الله بتسليم الحصون والأبراج ، يُؤدى إليه ابنه ومعه سائر الرهائن والنساء والخدم عدا أولئك الذين اعتنقوا المسيحية.

- يتهدى الملك وخلفاؤه إلى الأبد بأن يترك الملك أبو عبد الله والقادة والقضاة والعلماء وعامة الشعب كباراً وصغاراً على دينهم ، وألا يؤخذ شيء من مساجدهم وما ذنهم ، وألا تُمس أو قافهم المخصصة للمساجد ، وألا يُجبروا على ترك عاداتهم وتقاليدهم.

- أن تتم محاكمة المسلمين وفق شريعتهم الخاصة بهم ، وأن يحكم بينهم قضائهم.

- ألا تُصادر منهم - الآن أو مستقبلاً - أسلحة أو خيول ، أما المدفع الصغيرة والكبيرة فعليهم تسليمها إلى الأشخاص الذين يحددهم صاحب الجلاء.

- جميع المسلمين كبيراً وصغيراً، رجالاً ونساءً، من غرناطة، أو من البشرات، أو من أي مكان آخر، إذا أرابوا الرحيل إلى بلاد البرير، أو إلى أي مكان آخر يريدونه، يستطيعون بيع ممتلكاتهم وأثاثهم بالشكل الذي يريدهم، وإلى الشخص الذي يرغبون في التعامل معه. ولن يسلب الملك أو خلقاؤه - ولن يدعون أحداً يسلب منهم - شيئاً من الذين اشتروا ممتلكات المسلمين. وإذا أراد صاحباً الجلاء شراء شيء، فيمكنهما ذلك مع دفع ثمنه المقدر ، وفي حالة عدم تواجدهما فيمكنهما تفويض شخص آخر في ذلك.

- يقدم صاحب الجلاء إلى المسلمين الذين يريدون الرحيل إلى بلاد البرير، أو إلى أي مكان آخر، وسيلة سفر آمنة لهم ولأسرهم ولتاعهم وحليهم وأسلحتهم عدا الأسلحة التالية ، ومن يريدون السفر بعد ذلك سيجهز لهم صاحباً الجلاء عشر سفن كبيرة ترسو في الموانىء التي يحددونها في غضون ستين يوماً وتحملهم آمنين إلى موانئ بلاد البرير التي كانت تذهب إليها سفن التجار المسيحيين ، وبالإضافة إلى ذلك فإن كل من يريد الرحيل إلى بلاد البرير بعد مضي ثلاث سنوات يمكنه ذلك ، وسيقوم صاحب الجلاء بإرسال السفن إلى حيث يطلبون وسيرحلون آمنين، على أن يطلبوها ذلك قبلها بخمسين يوماً ، ولن تحصل منهم رسوم مقابل الرحيل.

- بعد مضي الأعوام الثلاثة المذكورة يستطيع المسلمين العبور إلى بلاد البرير كلما أرابوا ذلك ، وستتصدر تصاريح لهم مقابل دفع نوقية واحدة للشخص الواحد بالإضافة إلى نفقات السفر.

- إذا لم يتمكن المسلمين الراغبون في الرحيل من بيع أملاكهم الواقعة في غرناطة والبيازين وأرباضهما والبشرات وأماكن أخرى، فيمكنهم أن يعهدوا إلى أشخاص آخرين بإدارتها، وأن يتمكن الوكلاء من إرسال ربع الممتلكات إلى أصحابها في بلاد البرير، أو حيثما كانوا دون أن يُمنعوا من ذلك.

- ألا يأمر صاحبا الجلة أو ابنهما الأمير خوان ولا خلائقهما إلى الأبد أن يضع رعاياهم المسلمين على ملابسهم شارات تميزهم كما يفعل اليهود .
- ألا يدفع الملك أبو عبد الله ولا مسلمو غرناطة والبيازين وأرباضهما الضرائب التي كانوا يدفعونها عن دورهم وممتلكاتهم لمدة ثلاثة سنوات تبدأ من تاريخه، ولا يدفعوا سوى عشرار الأرض عن شهر أغسطس والخريف، وعشار الماشية التي لديهم وقت استحقاق العشار في شهرى أبريل ومايو كما يدفع المسيحيون عادةً.
- عند تسليم المدينة وتواجدها يقوم المسلمون بتسليم الأسرى النصارى الذين بحوزتهم رجالاً كانوا أم نساء إلى صاحب الجلة لكي يطلق سراحهم ، ولا يحصل المسلمون على أي مقابل مادي لذلك ، وإذا كان أحد المسلمين قد باع أسيراً مسيحياً في بلاد البربر فعليه أن يُقسم على ذلك وفق شريعته، وأن يقسم على أنه باع الأسير قبل توقيع المعاهدة وبناء عليه لا يطالب برد الأسير.
- يأمر صاحبا الجلة بـألا يُسلب من الملك أبي عبد الله أو من القادة والقضاة والفرسان المسلمين ثوابهم أو خدمهم لاستعمالها ، إلا إذا كان ذلك عن رضاً منهم ، وم مقابل دفع أجر عادل.
- لا يُسمح للمسيحيين بدخول مساجد المسلمين التي يصلون فيها دون إذن الفقهاء ، ويعاقب من يفعل ذلك.
- لا يسمح أصحاب الجلة أن تكون لليهود سلطة على المسلمين، ولا أن يحصلوا منهم الضرائب.
- أن يعامل الملك أبو عبد الله والقادة والقضاة والفقهاء والعلماء والفرسان وعامة المسلمين من أبناء غرناطة والبيازين وأرباضهما والبشرات وقرابها باحترام من قبل صاحبي الجلة وزرائهم ، وأن يستمع إليهم باهتمام، وأن يحتفظوا بعاداتهم وشعائرهم، وأن يسمع للفقهاء والقادة بتحصيل حقوقهم والتعمّل بامتيازاتهم كما جرت عليه العادة، فمن العدل أن تحفظ حقوقهم.
- أن يأمر صاحب الجلة بـألا يطرد ضيوف المسلمين، وألا تؤخذ منهم ثياب أو طيور أو ماشية أو متاع دون إرادتهم.

- النزاعات التي تنشأ بين المسلمين يفصل فيها ، حسب قوانينهم وشريعتهم التي يسمونها سُنة، ويفصل فيها قضائهم كما جرت العادة. وإذا كان النزاع بين مسيحي ومسلم فيفصل فيه قاضيان أحدهما مسيحي والأخر مسلم حتى لا يعرض أحد الطرفين على الحكم.
- لا يُعاقب القاضي مسلماً على فعل ارتكبه شخص آخر، ولا يُسجن إلا بذنب ارتكبه الآبن، ولا الأخ بذنب ارتكبه أخوه ، ولا يُسجن شخص بسبب فعل ارتكبه قريب له، بل يُعاقب الشخص الذي ارتكب الجُرم.
- يُصدر صاحبا الجلة عفوًّا عامًّا عن كل المسلمين الموجودين في سجن حامد أبي على- وهو من رعاياهم - وكذلك عن مسلمي كيتيل عن جرائم القتل التي ارتكبواها ضد المسيحيين، أو عن عصياني أوامر صاحبي الجلة، فلن يلحق بهم أذى ولن يطالبوها بشيء مما سلبوه أو سرقوه.
- إذا كان هناك أسير مسلم في حوزة مسيحي وهرب إلى مدينة غرناطة أو إلى الأراضي التي تشملها هذه الاتفاقية يصير حرًّا، ولا يطالب به من كان يملكه، ولا يتطلب القضاة إلقاء القبض عليه، إلا إذا كان هذا المسلم من جزر الكناري أو من زنوج خيلوفي أو من الجزء الأخرى.
- لا يدفع المسلمين إلى صاحبي الجلة ضرائب تزيد عما كانوا يدفعونه إلى الملوك المسلمين.
- يحق لسكان غرناطة وما يتبعها والبيازين ، ممن عبروا إلى بلاد البربر، العودة في خلال الأعوام الثلاثة التالية والتعمت بمضمون هذه الاتفاقية. وإذا كان هؤلاء المسلمين قد اصطحبوا معهم مسيحيين أسرى ويعاوهם هناك فلا يطالبوها بإحضارهم، ولا برد الثمن الذي يأوهون به.
- إذا أراد الملك أبو عبد الله أو أي مسلم آخر أن يعود إلى إسبانيا بعد أن كان قد عبر إلى بلاد البربر ولم تُعجبه الحياة هناك فسيسمح صاحبا الجلة لهم بذلك لمدة ثلاثة أعوام والتعمت بمضمون هذه الاتفاقية كالآخرين.

- إذا أراد المسلمون الذين دخلوا في هذه الاتفاقية السفر إلى بلاد البرير بغرض التجارة فستصدر لصالحهم التصاريح الخاصة. ينطبق ذلك على سكان قشتالة وأندلوسيا دون أن يُطالبوا بدفع مبالغ أو ضرائب أخرى كان المسيحيون يدفعونها.

- لا يُسمح لأى شخص بإيذاء المسيحيين أو المسيحيات من أهلنا إسلامهم قبل توقيع الاتفاقية، سواء كان الإيذاء باللفظ أو بالفعل. وإذا كان مسلم قد تزوج بنصرانية أسلمت فلا تُجبر على العودة إلى المسيحية بدون رغبتها، بل ستُستجوب في حضور مسلمين ومسيحيين وتُتفقد رغبتها، وسيُفعل ذلك أيضًا مع الأطفال الذين ولدوا لأب مسلم وأم مسيحية.

- لا يُرغم مسلم ولا مسلمة على اعتناق المسيحية ، وإذا أرادت أنسنة أو زوجة أو أرملة - لأسباب عاطفية - اعتناق المسيحية فلا يُقبل منها ذلك إلا بعد استجوابها ، وإذا كانت قد حملت معها ملابس أو مجوهرات من منزل والديها تُعاد الأشياء إلى أصحابها وتعاقب المذنبة.

- لن يطلب صاحبها الجلاة ولا خلائقهما قط من الملك أبي عبدالله ولا من أهل غرناطة والأراضي التابعة لها من دخلوا في هذه المعاهدة أن يربووا ما استولوا عليه أثناء الحرب من جياد أو ماشية أو أمتعة أو ذهب أو فضة ، سواء استولوا عليها من المسيحيين ، أو من مسلمي المالك المسيحية. وإذا تعرف شخص ما على شيء كان قد أخذ منه فليس له حق المطالبة به، بل يُعاقب إذا طالب به.

- إذا كان أحد المسلمين قد قتل أو جرح مسيحيًا أو مسيحية من أسراه فلن يُطالب بدمه أبدًا.

- بعد انقضاء فترة السماح ومدتها ثلاثة سنوات لن يدفع المسلمون عن أملاكهم إلا ما يجب أن يدفعوه بالعدل طبقاً لقيمة وصفة هذه الأراضي.

- القضاة والقادة والحكام الذين سيعينهم صاحبها الجلاة في غرناطة وأراضيها سيكونون من الشخصيات التي تحترم المسلمين وتعاملهم بلهفة وتراعي بنود هذه المعاهدة ، وإذا ارتكب واحد منهم فعلًا غير مناسب فسيقوم صاحب الجلاة بتغييره ومعاقبته.

- لن يسأل صاحبـا الجلاة ولا خلـافـهـما المـلك أـبـي عـبدـالـلهـ أو أـىـ شـخـصـ يـدـخـلـ فـيـ هـذـهـ المـعـاهـدـةـ، عنـ أـىـ شـئـ يـكـونـواـ قدـ فـطـوهـ حـتـىـ يـوـمـ تـسـلـيمـ الـدـيـنـ وـالـحـصـونـ.
- لن يُولـىـ عـلـىـ أـهـلـ غـرـنـاطـةـ أـحـدـ فـرسـانـ أوـ أـتـبـاعـ الـمـلـكـ الزـغـلـ .
- صـاحـبـاـ الجـلاـةـ - تـفـضـلـاـ مـنـهـمـاـ عـلـىـ الـمـلـكـ أـبـي عـبدـالـلهـ، وـأـهـلـ غـرـنـاطـةـ وـالـبـياـزـينـ وـأـرـيـاضـهـمـاـ - سـيـأـمـرـانـ بـالـإـفـرـاجـ عـنـ كـلـ الـأـسـرـىـ الـمـسـلـمـينـ - رـجـالـاـ وـنسـاءـ - دونـ نـفـعـ أـيـةـ فـيـةـ مـنـ هـمـ فـيـ حـوـزـةـ النـصـارـىـ ، وـيـكـونـ الإـفـرـاجـ عـنـ يـتـواـجـدـونـ فـيـ أـنـدـلـوـثـياـ فـيـ ظـرـفـ خـمـسـةـ أـشـهـرـ، وـيـكـونـ الإـفـرـاجـ عـنـ الـأـسـرـىـ الـمـوـجـوـدـينـ فـيـ قـشـتـالـةـ فـيـ ظـرـفـ ثـانـيـةـ أـشـهـرـ. وـبـعـدـ يـوـمـيـنـ مـنـ إـفـرـاجـ الـمـسـلـمـينـ عـنـ الـأـسـرـىـ الـنـصـارـىـ الـمـوـجـوـدـينـ فـيـ غـرـنـاطـةـ سـيـأـمـرـ صـاحـبـاـ الجـلاـةـ بـتـسـلـيمـ مـائـيـ أـسـيـرـ وـأـسـيـرـةـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ. وـبـإـضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ قـابـنـ صـاحـبـاـ الجـلاـةـ سـيـفـرـجـانـ عـنـ اـبـنـ الدـرـعـيـ الـمـوـجـوـدـ فـيـ حـوـزـةـ غـوـنـثـالـوـ اـيـرـنـانـيـثـ دـىـ كـوـرـدـوـيـاـ، وـعـنـ هـنـمـيـنـ الـمـوـجـوـدـ فـيـ حـوـزـةـ كـوـنـتـ تـتـديـاـ وـعـنـ رـضـوـانـ الـمـوـجـوـدـ فـيـ حـوـزـةـ كـوـنـتـ كـابـرـاـ، وـعـنـ اـبـنـ الـمـؤـذـنـ، وـعـنـ نـجـلـ الـفـقـيـهـ خـادـمـيـ، وـكـلـهـمـ مـنـ أـعـيـانـ قـرـطـبـةـ ، كـمـاـ سـيـفـرـجـانـ عـنـ الـجـنـوـدـ الـخـمـسـةـ الـذـيـنـ أـسـرـوـاـ فـيـ طـرـيقـ إـبـرـاهـيـمـ بـنـ سـرـاجـ إـذـاـ عـلـمـ مـكـانـهـمـ.
- يـقـومـ جـمـيعـ مـسـلـمـيـ الـبـشـرـاتـ الـذـيـنـ يـدـخـلـونـ فـيـ خـدـمـةـ صـاحـبـاـ الجـلاـةـ بـتـسـلـيمـ الـأـسـرـىـ الـمـسـيـحـيـنـ الـمـوـجـوـدـينـ فـيـ حـوـزـةـهـمـ بـوـنـ مـقـاـبـلـ وـذـلـكـ خـلـالـ خـمـسـةـ عـشـرـ يـوـمـ ، وـإـذـاـ كـانـ أـحـدـ الـأـسـرـىـ قـدـ اـتـقـقـ عـلـىـ مـقـاـيـضـتـهـ بـأـسـيـرـ مـسـلـمـ سـيـأـمـرـ صـاحـبـاـ الجـلاـةـ بـرـدـ الـأـسـيـرـ الـمـسـلـمـ .
- يـأـمـرـ صـاحـبـاـ الجـلاـةـ باـحـتـرـامـ عـادـاتـ الـمـسـلـمـينـ الـخـاصـةـ بـالـمـيرـاثـ ، وـيـتـوـلـيـ قـضـاتـهـمـ الفـصـلـ فـيـ مـسـائـلـ الـمـيرـاثـ.
- كـلـ الـمـسـلـمـينـ الـأـخـرـيـنـ الـذـيـنـ يـرـغـبـونـ فـيـ خـدـمـةـ صـاحـبـاـ الجـلاـةـ يـسـتـطـيـعـونـ الدـخـولـ فـيـ خـدـمـتـهـاـ وـالـقـمـعـ بـمـزاـيـاـ هـذـهـ الـمـعـاهـدـ - عـدـاـ فـتـرـةـ السـمـاحـ وـالـتـىـ مـدـتـهـاـ ثـلـاثـ سـنـوـاتـ - وـذـلـكـ خـلـالـ ثـلـاثـيـنـ يـوـمـاـ .
- أـوقـافـ الـمـسـاجـدـ وـالـصـدـقـاتـ وـالـنـفـقـاتـ الـأـخـرـىـ الـتـىـ تـقـدـىـ إـلـىـ الـكـاتـابـيـ وـمـدارـسـ تـعـلـيمـ الـأـطـفـالـ تـسـلـمـ إـلـىـ الـفـقـهـاءـ لـكـىـ يـتـولـواـ تـوزـيـعـهاـ كـمـاـ يـرـوـنـ ، وـلـنـ يـتـدـخـلـ صـاحـبـاـ الجـلاـةـ وـلـاـ وـزـرـاـهـمـاـ فـيـ ذـلـكـ أـوـ فـيـ جـزـئـيـةـ مـنـ ذـلـكـ ، وـلـنـ يـأـمـرـاـ بـالـاسـتـيلـاءـ عـلـيـهـاـ فـيـ أـىـ وقتـ وـإـلـىـ الأـبـدـ .

- يؤمن صاحبها الجلاة سفن بلاد البرير التي ربما توجد في موانئ مملكة غرناطة بحيث تبحر بحرية ، بشرط ألا تحمل معها مسيحيًا أسيراً . ويضمن صاحبها الجلاة ألا يتعرض أحد السفن بذلك ، ولا أن يسلب منها شيء . أما إذا كانت السفن مبحرة أو تحمل معها أسرى مسيحيين فلا يسرى هذا الضمان ، ولذلك يجب تفتيش السفن عند رحيلها .

- لا يُجبر المسلمين على القيام بأعمال حربية ضد رغبتهم ، وإذا أراد صاحبها الجلاة استخدام بعض الفرسان في نواحي أندلوسيا فسيدفعون لهم أجراهم ، منذ يوم الاستدعاء ، وحتى عودتهم إلى منازلهم .

- يأمر صاحبها الجلاة باحترام قوانين مصادر المياه والسوقى المعمول بها في غرناطة ولا يغيران هذه القوانين ، ولا يأخذان شيئاً من هذه المصادر ، وإذا فعل أحد ذلك أو ألقى شيئاً بداخلها يُعاقب على فعله .

- إذا هرب أسير مسلم إلى مدينة غرناطة وتوابعها بعد أن ترك مسلماً آخر مكان كفدية يصبح حرراً ، ولا يلزم الأول أو الثاني بدفع فدية ولا يتعرضان للمحاكمة .

- الديون والالتزامات المحردة بين المسلمين تدفع نقداً ، ولا تتأثر هذه الديون والالتزامات بتغير صاحب السلطة ، بل يدفع كل شخص ما عليه .

- تكون محال جزارة المسيحيين بعيدة عن مجال جزاره المسلمين ولا تختلط مراجع المسلمين بمراعي النصارى ، وإذا فعل أحد ذلك يُعاقب على فعله .

- يتمتع يهود غرناطة والبيازين وأرياضهما والبشرات بمزايا بنود هذه المعاهدة بحيث أن من لم يتحول منهم إلى المسيحية يمكنهم الرحيل إلى بلاد البرير في ظرف ثلاثة سنوات اعتباراً من ٨ ديسمبر الحالي .

- يلتزم صاحبها الجلاة بتنفيذ كل بنود هذه المعاهدة اعتباراً من يوم تسليم حصون غرناطة ، وقد أمرا بكتابة المراسيم الملكية الخاصة بذلك والموقعة باسميهما والمختومة بخاتميهما ، وقد حررها سكريپتمهما الخاص إيرناندو دي ثافرا في غوطة غرناطة بتاريخ ٢٨ نوفمبر عام ١٤٩١ .

موريسكيو غرناطة

بعد غزو غرناطة (١٤٩٢) عين الملكان الكاثوليكيان إيرناندو دي تالابيرا أسقفًا لها ، وقد بدأ هو على الفور عملية تبشير بطيئة طابعها اللطف ، وكانت هذه العملية تحقق بعض النجاح رويدًا رويدًا، ووصل الكاردينال ثيسنيريوس إلى غرناطة عام ١٤٩٩، ورأى أن الطريقة التي كان الأسقف يتبعها غير كافية، فبدأ في سلسلة من عمليات التنصير الجماعي الإجبارية التي أدت إلى أن ينظر المسلمين إليها كانتهاك للمعاهدة، خاصة وأن الكاردينال قام بأفعال أخرى؛ منها حرق المكتبات العربية، وكان ذلك هو سبب ثورة البيازين التي سرت روحها في مناطق أخرى في مملكة غرناطة ولم يمكن إخمادها قبل مخسي عامين (١٥٠١) ، في نفس العام قرر الملكان تنصير مسلمي غرناطة. كل ذلك أسهم في كراهية المسلمين لدين الغزاة ، يقول بيروموديث لـ بييراث:

إن جشع القضاة ووقاحة رجال الملك قد أديا إلى سخط المورисكيين. كان القضاة ورجال الملك يرتكبون كثيراً من الظلم بحجة تنفيذ الأوامر. ولم يكن رجال الكنيسة أفضل حالاً ، وهكذا فقد الموريسكيون حبهم لديتنا، وفقدوا صبرهم على معالجة ذلك.

ويقول نفس المؤلف (١) : إن التنصير كان محض خيال:

كان الملكان - بصفتهم مسيحيين كاثوليكين - يسعian إلى الحصول على منافع روحية لرعاياهما أكثر من حرصهما على مصلحتهما الشخصية الثالثة ، كانوا يودان لو أن الموريسكيين تمسكوا بالدين المسيحي ؛ وبهذا اختصاهم بالأفضل والمعاملة الحسنة وأوصيا رجال القضاء بهم خيرا ، لكن كل ذلك كان زرعا في الرمال ، بل في الصخور. لقد اعترف بأن هذه الأعمال كانت عديمة الفائدة ، فقد كان الموريسكيون مسيحيين في

F. Bermúdez: *Historia eclesiástica, principios y progresos de la ciudad y religión (1) católica de Granada, 1638. fol. 236*

الظاهر؛ و المسلمين في الحقيقة ، وكانوا يهتمون بممارسة شعائر وأعياد طائفتهم أكثر من اهتمامهم بدين المسيح ربنا ، رغم أنهم كانوا يلقون من الملوكين معاملة أفضل من تلك التي كانوا يلقونها من ملوكهم. لقد تخففوا من الأعباء والضرائب وأسماها فهم مغزى المعاملة الحسنة فاشتاقوا إلى سابق عهدهم ، إلى أغذامهم وإلى صلاتهم ورقصهم . لم يكونوا مسلمين علانية ، بل كانوا ملحدين مستتررين ، ينقصهم الإيمان رغم تعديدهم المتكرر، وكانتوا يقومون ببعض الأعمال الحميدة من الناحية الأخلاقية. كانوا صادقين في التجارة والتعاقدات ، وكانتوا يعطفون على القراء ، ولا يحبون الدعة، بل كانوا يعملون جميـعاً، لكنهم كانوا لا يوازنون على صلوات أيام الأحد، ولا يوقدون أعياد الكنيسة ، وكانتوا يحضرن الصلاة خوفاً من العقوبة، وكانتوا يعملون في أيام الأعياد وأيوبابهم مقلقة، كانوا يعملون بربما يفوق رضاهم في الأيام العادية ، وكانتوا يوقدون يوم الجمعة أكثر مما يوقدون يوم الأحد، وكانتوا يغتسلون حتى لو في شهر ديسمبر ويؤدون الصلاة. كانوا يعتمدون أبنائهم لتنفيذ القانون ، وعندما كانوا يعودون إلى منازلهم كانوا يزيلون العلامات المقدسة بالماء الساخن ، وكانتوا يقيمون شعائرهم الإسلامية، ويطلقون على أبنائهم أسماء إسلامية ، وكانت عراشهم يذهبون إلى الكنيسة لكي يباركـن وهن يرتدين أزياء مسيحية مستعارة ، وعندما يعدن إلى منازلـهنـ كـنـ يخلعنـهاـ ويرتدـنـ ملـابـسـ إـسـلـامـيـةـ ويـحـتـلـنـ بـالـزـفـافـ بـالـأـلـاتـ مـوـسـيـقـيـةـ وـأـغـنـيـاتـ مـوـرـيـسـكـيـةـ،ـ وـكـنـ يـتـعـلـمـ الـمـلـوـاتـ مـسـيـحـيـةـ الـخـاصـةـ بـالـزـوـاجـ لـأـنـ الـقـاسـوـسـةـ كـانـواـ يـمـتـحـنـوـهـنـ ،ـ وـبـعـدـ الـزـوـاجـ كـنـ يـنـسـيـنـهاـ ،ـ وـكـانـواـ يـعـرـفـونـ بـخـطـايـاهـمـ لـكـنـ اـعـتـرـافـاتـهـمـ كـانـتـ مـقـتـضـيـةـ ،ـ وـكـانـواـ يـعـرـفـونـ الـيـوـمـ بـمـاـ اـعـتـرـفـواـ بـهـ بـالـأـمـسـ.ـ كـانـ أحـدـ الـمـوـرـيـسـكـيـنـ عـلـىـ فـرـاشـ الـمـوـتـ فـذـهـبـ إـلـيـهـ الـقـسـيسـ وـأـخـذـ مـنـ الـقـرـيـانـ ،ـ وـلـاـ رـأـيـ القـسـيسـ أـنـ الـمـوـرـيـسـكـيـ لـمـ يـكـنـ قـدـ تـقـبـلـ الـزـيـتـ الـمـقـدـسـ بـعـدـ ذـهـبـ إـلـيـهـ مـنـ الـكـنـيـسـةـ،ـ كـانـ الـمـوـرـيـسـكـيـ حـزـنـاـ إـزـاءـ كـلـ ذـلـكـ فـقـالـ:ـ إـذـنـ فـهـيـ ثـلـاثـةـ أـنـوـاعـ مـنـ التـعـذـيبـ فـيـ يـوـمـ وـاحـدـ:ـ الـاعـتـرـافـ وـالـقـرـيـانـ وـالـزـيـتـ الـمـقـدـسـ.ـ وـفـيـ قـرـىـ الـبـشـرـاتـ وـالـسـاحـلـ كـانـواـ يـلـقـونـ الـقـيـضـ عـلـىـ الـأـتـرـاكـ وـمـسـلـمـيـ الـبـرـيرـ الـذـيـنـ كـانـواـ يـسـرقـونـ الـأـطـفـالـ لـيـلـاـ.ـ وـكـانـ الـمـوـرـيـسـكـيـوـنـ -ـكـلـصـوـصـ مـنـازـلـ-ـ يـقـومـونـ بـهـذـهـ السـرـقـاتـ بـشـكـلـ أـفـضـلـ.ـ وـبـعـدـ ذـلـكـ كـانـواـ يـرـحـلـونـ إـلـىـ بـلـادـ الـبـرـيرـ لـيـلـاـ وـمـعـهـمـ الـأـطـفـالـ الـمـسـيـحـيـيـنـ.ـ كـانـواـ يـعـلـمـونـهـمـ دـيـنـهـمـ،ـ وـكـانـواـ يـجـرـوـنـ لـهـمـ عـمـلـيـاتـ الـخـتانـ وـيـجـعـلـوـنـهـمـ مـسـلـمـيـنـ،ـ وـهـوـ أـمـرـ يـعـودـ بـالـضـرـرـ عـلـىـ الـمـلـكـةـ،ـ أـمـاـ بـالـنـسـبـةـ لـهـمـ فـهـوـ عـظـيمـ الـفـانـدـةـ.

القصيدة التي أرسلها مسلمو الأندلس إلى السلطان العثماني طلباً لنجذته

يقول المؤرخ العربي المقرى (المولود في أواخر القرن السادس عشر) إن هذه القصيدة لوريسيكي مجهول، وإنها أرسلت إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢) طلباً لنجذته.

تبين القصيدة مدى الصعوبات الدينية والسياسية التي كان يعيش فيها الموريسيكيون. وتشير القصيدة إلى سلسلة من الأحداث التاريخية؛ ومن بينها حرق الكتب العربية في غرناطة على يد الكاردينال ثيسينيروس عام ١٤٩٩ ، والسفارة التي أرسلتها مصر إلى الملك الكاثوليكيين والتي هددت فيها بالانتقام من المسيحيين إذا أجبر المكان المسلمين الإسبان على الدخول في النصرانية^(١) ، كما تشير القصيدة كذلك إلى مذبحة المسلمين في أوبيخار^(٢) .

هذه الإشارات هي التي مكتت مونرو - في مقال ترجم فيه القصيدة إلى الإنجليزية^(٣) وتناولها بالدراسة - من تحديد عام ١٥٠١ كتاب تاريخ لتأليفها^(٤) ، وهو عام صدور قرار تنصير مسلمي غرناطة، ومصدر هذه القصيدة هو كتاب أزهار الرياضن للمقرى^(٥) :

الحضررة العلية^(٦) ، وصل الله سعادتها، وأعلى كلمتها، ومهُدّ أقطارها، وأعزّ
أنصارها، وأنزل عُداتها، حضرة مولانا، وعمدة ديننا ودينيانا، السلطان الملك الناصر؛
ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، قامع أعداء الله الكافرين؛ كهف
الإسلام، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام؛ محى العدل، ومنصف المظلوم من ظلم،
ملك العرب والعلم، والترك والديلم؛ ظل الله في أرضه، القائم بستنته وفرضه؛ ملك
البرين، وسلطان البحرين؛ حامي الْذمَار، وقائم الْكُفَار؛ مولانا وعمدتنا، وكهفنا وغياثنا،
مولانا أبوبيزید، لازال ملکه موقفور الأنصار، مقرورنا بالانتصار، مُخلد المأثر والأثار،
مشهور المعالي والفالخار؛ ومستأثراً من الحسنات بما يضاعف الله به الأجر الجزييل، في
الدار الآخرة والثنا الجميل، والنصر في هذه الدار. ولا يُرُحَت عَزَّماتَ العلية مختصة
بقضايا الجهاد، مجردة على أعداء الدين من يأسها، ما يُرُوي صدور السُّفُر والصُّفَاج،
وألسنة السلاح، سالكة سبيل السابقين الفائزين بربنا الله وطاعته يوم يقوم الأشهاد:

أَخْصُ بِهِ مُولَّاً خَيْرَ الْخَلِيفَةِ
وَمِنْ أَلْبِسِ الْكُفَّارَ ثُوبَ الْمَذَلَّةِ
وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ فِي كُلِّ وِجْهٍ
قُسْطَنْطِينِيَّةَ أَكْرَمَ بِهَا مِنْ مَدِينَةِ
بِجْنَدٍ وَأَتْرَاكَ مِنْ أَهْلِ الرِّعَايَا
وَزَادَكُمُ الْمُلْكَ عَلَى كُلِّ مَلَّةٍ
مِنْ الْعُلَمَاءِ الْأَكْرَمِينَ الْأَجْلَةِ
وَمِنْ كَانَ ذَا رَأْيِي مِنْ أَهْلِ الْمُشَوَّرَةِ
بِأَنْدَلُسِ الْغَرْبِ فِي أَرْضِ غُرْبِيَّةِ
وَبِحَرِّ عَمِيقٍ ذُو ظَلَامٍ وَلُجَّةِ
مُصَابِ عَظِيمٍ يَالَّهَا مِنْ مُصِيبَةِ
شُيُّوبِهِمْ بِالنَّتَّفِ مِنْ بَعْدِ عَزَّةِ
عَلَى جَمْلَةِ الْأَعْلَاجِ مِنْ بَعْدِ سَتَّةِ
يَسُوقُهُمُ الْبَاطِقَهْرَاءِ لِخَلْوَةِ
عَلَى أَكْلِ خَزِيرٍ وَلَحْمِ لَجْيَفَةِ
وَنَدْعُوكُمْ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَعَافَاكُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَخْنَثَةِ
وَأَسْكَنَكُمْ دَارَ الرِّضاِ وَالْكَرَامَةِ
مِنَ الضُّرِّ وَالْبُلُوغِ وَعَظَمِ الرَّزْيَةِ
ظَلَّمُنَا وَعُوْمَلَنَا بِكُلِّ قَبِيحةٍ
نَقَاتَلُ عُمَّالَ الصَّلَبِ بِنِيَّةٍ
بَقْتَلُ وَأَسْرَرُ ثُمَّ جُوعَ وَقَلَّةٍ

سَلَامٌ كَرِيمٌ دَائِمٌ مُتَجَدِّدٌ
سَلَامٌ عَلَى مُولَّا ذِي الْمَجْدِ وَالْعُلَا
سَلَامٌ عَلَى مَنْ وَسَعَ اللَّهُ مُلْكَهُ
سَلَامٌ عَلَى مُولَّا مِنْ دَارِ مُلْكَهُ
سَلَامٌ عَلَى مَنْ زَيَّنَ اللَّهُ مُلْكَهُ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ شَرَفُ اللَّهِ قَدْرُكُمْ
سَلَامٌ عَلَى الْقَاضِيِّ وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ
سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الدِّيَانَةِ وَالنِّقَّى
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ عَبْيِدٍ تَخَلَّفُوا
أَحاطَ بِهِمْ بَحْرٌ مِنَ الرُّومِ زَاهِرٌ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ عَبْيِدٍ أَصَابَهُمْ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ شُيُوخِ عَزَّقَتِ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ وُجُوهٍ تَكَشَّفَتِ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ بَنَاتِ عَوَاقِنِ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ عَجَائِزِ أَكْرَهَتِ
نَقْبَلُ نَحْنُ الْكُلَّ أَرْضَ بَسَاطَكُمْ
أَدَمُ إِلَهُ مَلَكَكُمْ وَحِسَابَكُمْ
وَأَيَّدَكُمْ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِالْمَدَا
شَكُونَا لَكُمْ مُولَّاً مَا قَدْ أَصَابَنَا
غَدَرْنَا وَنُصَّرْنَا وَبُدَّلَ دِينَنَا
وَكَنَا عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ
وَنَلَقَنَا أَمْوَالًا فِي الْجَهَادِ عَظِيمَةٍ

بسِيلٍ عظِيمٍ جَمْلَةً بَعْدَ جَمْلَةً
 بِجَدٍ وَعَزْمٍ مِنْ خَيُولٍ وَعُلَوَّا
 فَنَقْتَلُ فِيهَا فَرْقَةً بَعْدَ فَرْقَةً
 وَفُرْسَانَنَا فِي حَالٍ نَقْصٍ وَقَلَّةً
 وَمَالَوْا عَلَيْنَا بَلَدَةً بَعْدَ بَلَدَةً
 تَهْدَمُ أَسْوَارُ الْبَلَادِ الْمُنْيَعَةُ
 شَهْوَرًا وَأَيَامًا بِجَدٍ وَعَزْمَةً
 وَلَمْ نَرْ مِنْ إِخْوَانَنَا مِنْ إِغَاثَةٍ
 أَطْعَنَاهُمُ بِالْكَرْهَةِ خَوْفَ الْفَضْيَحَةِ
 مِنْ أَنْ يُؤْسِرُوا أَوْ يَقْتَلُوا شَرْقَتَلَةَ
 مِنَ الدَّجَنِ مِنْ أَهْلِ الْبَلَادِ الْقَدِيمَةِ
 وَلَا نَرَكَنَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الشَّرِيعَةِ
 بِمَا شَاءَ مِنْ مَالٍ إِلَى أَرْضِ عُلَوَّةَ
 تَزِيدُ عَلَى الْخَمْسِينِ شَرْطًا بِخَمْسَةِ
 لَكُمْ مَا شَرْطَنَمْ كَامِلًا بِالْزِيَادَةِ
 وَقَالَ لَنَا هَذَا أَمَانَى وَذَمَّتِي
 كَمَا كُتُّمْ مِنْ قَبْلٍ دُونُ أَذْيَةٍ
 بَدَا غَذْرُهُمْ فِينَا بِنَقْضِ الْعَزِيزَةِ
 وَنَصَرَنَا كَرْهَهَا بُعْثَنَفْ وَسَطْوَةُ
 وَخَلَطَهَا بِالْزَبَلِ أَوْ بِالنَّجَاسَةِ
 فِي النَّارِ أَلْقَوْهُ بِهُزْءٍ وَحَقْرَةٍ
 وَلَا مُصْحَّفًا يَخْلُى بِهِ لِلسَّقْرَاءَةِ

فَجَاءَتْ عَلَيْنَا الرُّومُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 وَمَالُوا عَلَيْنَا كَالْجَرَادِ بِجَمِيعِهِمْ
 فَكُنَّا بِطُولِ الدَّهْرِ نَلْقَى جَمِيعَهُمْ
 وَفُرْسَانُهُمْ تَزَادَدُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
 فَلَمَّا ضَعَفْنَا خَيَّمُوا فِي بَلَادِنَا
 وَجَاءُوا بِأَنْفَاسِطِ عَظَامِ كَثِيرَةٍ
 وَشَدُّوا عَلَيْهَا فِي الْحَصَارِ بِقُوَّةٍ
 فَلَمَّا نَفَاتْ خَيْلُنَا وَرَجَالُنَا
 وَقَلَّتْ لَنَا الأَقْوَاتِ وَاشْتَدَّ حَالُنَا
 وَخَوَفَّا عَلَى أَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا
 عَلَى أَنْ نَكُونَ مِثْلَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا
 وَنُبْقِى عَلَى آذَانِنَا وَصَلَاتِنَا
 وَمِنْ شَاءَ مِنْ الْبَحْرِ جَازَ مُؤْمَنًا
 إِلَى غَيْرِ ذَاكَ مِنْ شَرِوطِ كَثِيرَةٍ
 فَقَالَ لَنَا سُلْطَانُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ
 وَأَبْدَى لَنَا كُتُّبًا بِعَهْدِ وَمَوْثِقٍ
 فَكَوْنُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ وَدِيَارِكُمْ
 فَلَمَّا دَخَلْنَا تَحْتَ عَقْدِ ذَمَامِهِمْ
 وَخَانَ عَهْوَدًا كَانَ قدْ غَرَّنَا بِهَا
 وَأَحْرَقَ مَا كَانَتْ لَنَا مِنْ مَصَاحِفٍ
 وَكُلَّ كِتَابٍ كَانَ فِي أَمْرِ دِينِنَا
 وَلَمْ يَتَرَكُوا فِيهَا كِتَابًا مُسْلِمًا

فِي النَّارِ يُلْقَوْهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 يَعَاقِبُهُ الْبَاطِشُ شَرَّ الْعَقُوبَةِ
 وَيَجْعَلُهُ فِي السُّجْنِ فِي سُوءِ حَالَةٍ
 بِأَكْلٍ وَشُرْبٍ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ
 وَلَا نَذْكُرْهُ فِي رَخَاءٍ وَشَدَّةٍ
 فَأَدْرَكَهُمْ مِنْهُمْ أَلْيَمُ الْمَضَرَّةِ
 بِضَرْبٍ وَتَفْرِيمٍ وَسَجْنٍ وَذَلَّةٍ
 يُذْكُرُهُمْ لَمْ يَدْفَنُوهُ بِحَيْلَةٍ
 كَمْثُلِ حَمَارٍ مَيْتٍ أَوْ بَهِيمَةٍ
 قِبَاحٍ وَأَفْعَالٍ غَزَارَ رَدَّةٍ
 بِغَيْرِ رَضَا مَنَا وَغَيْرِ إِرَادَةٍ
 بِدِينِ كَلَابِ الرُّومِ شَرَّ الْبَرِيرَةِ
 بِأَسْمَاءِ أَعْلَاجٍ مِنْ أَهْلِ الْغَبَاوَةِ
 يَرْوَحُونَ لِلْبَاطِشِ فِي كُلِّ غُدُوْةٍ
 وَلَا يَقْدِرُوا أَنْ يَمْنَعُوهُمْ بِحَيْلَةٍ
 مَرَازِيلَ لِلْكُفَّارِ بَعْدَ الطَّهَارَةِ
 نَوَّاقِيسُهُمْ فِيهَا نَظِيرُ الشَّهَادَةِ
 لَقَدْ أَظْلَمْتُ بِالْكُفَّرِ أَعْظَمَ ظُلْمَةٍ
 وَقَدْ أَمْنَوْا فِيهَا وَقْوَعَ الإِغَارَةِ
 وَلَا مُسْلِمٌ نَطَقُهُمْ بِالشَّهَادَةِ
 إِلَيْهِ بَجَادَتِ الْدَّمْسُوعُ الْفَزِيرَةُ
 مِنَ الضُّرِّ وَالْبُلُوى وَثُوبُ الْمَذَلَّةِ

وَمَنْ صَامَ أَوْ صَلَّى وَيُعْلَمُ حَالُهُ
 وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنَّا لِمَوْضِعِ كُفَّرِهِمْ
 وَيَلْطِمُ خَدِيهِ وَيَأْخُذْ مَالَهُ
 وَفِي رَمَضَانَ يُفْسِدُونَ صِبَامِنَا
 وَقَدْ أَمْرَوْنَا أَنْ تَسْبُّ نَبِيَّنَا
 وَقَدْ سَمِعُوا قَوْمًا يُغَنُّونَ بِاسْمِهِ
 وَعَاقِبَهُمْ حُكَّامُهُمْ وَوَلَائِهِمْ
 وَمِنْ جَاهَهُ الْمَوْتُ وَلَمْ يُحَضِّرْ الَّذِي
 وَيُتَرَكُ فِي زَبَل طَرِيقًا مُجَدَّلًا
 إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْ أَمْوَالِ كَثِيرَةٍ
 وَقَدْ بُدْلَتْ أَسْمَاوْنَا وَتَحَولَتْ
 فَآهًا عَلَى تَبْدِيلِ دِينِ مُحَمَّدٍ
 وَآهًا عَلَى أَسْمَائِنَا حِينَ بُدْلَتْ
 وَآهًا عَلَى أَبْنَائِنَا وَبَنَائِنَا
 يُعْلَمُهُمْ كَفَرًا وَزُورًا وَفَرِيَةٌ
 وَآهًا عَلَى تَلْكَ الْمَسَاجِدِ سُورَتْ
 وَآهًا عَلَى تَلْكَ الصَّوَامِعِ عُلِّقَتْ
 وَآهًا عَلَى تَلْكَ الْبَلَادِ وَحَسِنَهَا
 وَصَارَتْ لِعَبَادِ الْصَّلِيبِ مَعَاقِلًا
 وَصِرَنَا عَيْدًا لَا أَسَارِي فَنُفَنَّدَى
 ثُلُوْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ مَا صَارَ حَالَنَا
 فِيَا وَيَلَنَا ، يَا بُؤْسَ مَا قَدْ أَصَابَنَا

سَأْنَاكِ يا مَوْلَانَا بِاللهِ رَبِّنَا
 وَبِالسَّادَةِ الْأَخْيَارِ آلِ مُحَمَّدٍ
 وَبِالسَّيِّدِ الْعَبْدَانِ عَمِّ نَبِيِّنَا
 وَبِالصَّالِحِينِ الْعَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ
 عَسَى تَنْظَرُوا فِينَا وَفِيمَا أَصَابَنَا
 فَقُولُكَ مَسْمُوعٌ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ
 وَدِينُ النَّصَارَى أَصْلُهُ تَحْتَ حُكْمِكَمْ
 فِي الْمَلَكِ يَا مَوْلَانَا مُنَوًا بِفَضْلِكَمْ
 فَأَنْتُمُ أُولُو الْإِفْضَالِ وَالْمَجْدِ وَالْعَلَا
 فَسُلْطَانُهُمُ اعْنَى الْمَقِيمِ بِرُومَةِ
 وَمَا لَهُمُ مَا لَوْا عَلَيْنَا بِفَدَارِهِمْ
 وَجَنْسِهِمُ الْمَغْلُوبُ فِي حَفْظِ دِينِنَا
 وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَدِيَارِهِمْ
 وَمَنْ يُعْطِ عَهْدًا ثُمَّ يَغْدِرُ بِعَهْدِهِ
 وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ الْمَلُوكِ فَإِنَّهُ
 وَقَدْ بَلَغَ الْمَكْتُوبُ مِنْكُمْ إِلَيْهِمْ
 وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا اعْتِدَاءً وَجُرْأَةً
 وَقَدْ بَلَغَتْ أَرْسَالُ مَصْرَ إِلَيْهِمْ
 وَقَالُوا لِتَلْكَ الرُّسُلَ عَنَا بِأَنَّنَا
 وَسَاقُوا عَقُودَ الزُّورِ مِنْ أَطْاعِهِمْ
 لَقَدْ كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ وَكَلَامِهِمْ
 وَلَكِنْ خُوفُ الْقَتْلِ وَالْحَرْقِ رَدَنَا

وَبِالْمَصْطَفَى الْمُخْتَارِ خَبْرَ الْبَرِّيَّةِ
 وَأَصْحَابِهِ أَكْرَمُهُمْ مِنْ صَحَابَةِ
 وَشَيْبَتِهِ الْبَيْضَاءُ أَفْضَلُ شَيْبَةٍ
 وَكُلُّ ولِيٍّ فَاضِلٌ ذَيٌّ كَرَامَةٌ
 لَعْلَ إِلَهَ الْعَرْشِ يَأْتِي بِرَحْمَةٍ
 وَمَا قَاتَتْ مِنْ شَيْءٍ يَكُونُ بِسُرْعَةٍ
 وَمِنْ ثُمَّ يَأْتِيهِمْ إِلَى كُلِّ كُورَةٍ
 عَلَيْنَا بِرَأْيِيْ أوْ كَلَامِ بُحْجَةٍ
 وَغَوْثُ عَبَادِ اللَّهِ فِي كُلِّ آفَةٍ
 بِمَاذَا أَجَازُوا الْغَدَرَ بَعْدَ الْآمَانَةِ؟
 بِغَيْرِ أَذْيَى مَنَا وَغَيْرِ جَرِيمَةٍ
 وَأَمْنِ مَلُوكَ ذَيِّ وَفَاءِ أَجْلَةٍ
 وَلَا نَالُوهُمْ غَدَرٌ وَلَا هَتَّكٌ حُرْمَةٌ
 فَذَاكَ حَرَامُ الْفَعْلِ فِي كُلِّ مَلَةٍ
 قَبِيعٌ شَنِيعٌ لَا يَجُوزُ بِوْجَهَةٍ
 فَلَمْ يَعْمَلُوا مِنْهُ جَمِيعًا بِكَلْمَةٍ
 عَلَيْنَا وَإِقْدَامًا بِكُلِّ مَسَاءَةٍ
 وَمَا نَالُوهُمْ غَدَرٌ وَلَا هَتَّكٌ حُرْمَةٌ
 رَضِينَا بِدِينِ الْكَفَرِ مِنْ غَيْرِ قَهْرَةٍ
 وَوَاللهِ مَا نَرْضَى بِتَلْكَ الشَّهَادَةِ
 عَلَيْنَا بِهَذَا الْقَوْلِ أَكْبَرُ فَرِيَةٍ
 نَقُولُ كَمَا قَالُوهُ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ

وتوحيدنا لله في كل لحظة
ولا بالذى قالوا من أمر ثلاثة
بغير أذى منهم لنا ومساءة
أسارى وقتلى تحت ذل ومهنة
لقد مُزقوا بالسيف من بعد حسرة
كذا فعلوا أيضا بأهل البشرة
بعجامهم صاروا جمِيعاً كفحمة
فهذا الذى نلناه من شر فرقة
كما عاهدونا قبل نقض العزيمة
بأموالنا للغرب دار الأحبة
على الكفر فى عز على غير ملة
ومن عندكم تُقضى لنا كل حاجة
وما نالنا من سوء حال وذلة
وعزتُكم تعلو على كل عزة
بملك وعز فى سرور ونَعْمة
وكثرة أجناد ومال وثروة
عليكم مدى الأيام فى كل ساعة

ودين رسول الله ما زال عندنا
ووالله ما نرضى بتبدل ديننا
 وإن زعموا أننا رضينا بدينهم
فشل وجرا عن أهلها كيف أصبحوا
وسَلْ بلفيقا عن قضية أمرها
ومنيافة بالسيف مرق أهلها
 وأندرش بالنار أحرق أهلها
نها نحن يا مولاي نشكوا إليكم
عسى ديننا يبقى لنا وصلاتنا
ولَا فيجلونا جمِيعاً من أرضهم
إنجلاؤنا خير لنا من مقامنا
فهذا الذى ترجوه من عز جاهكم
ومن عندكم نرجو زوال كُروينا
فأنتم بحمد الله خير مُلوكنا
فسَلْ مولانا دوام حياتكم
وتهدين أوطنان ونصر على العدا
وثم سلام الله تتلوه رحمة

الهوامش

- (*) النص الإسباني لا يتضمن سوى القصيدة ، لكننا رأينا من المناسب أن تورد المقدمة كما جاءت في كتاب "أزهار الرياض في أخبار عياض" للقرى (القاهرة ١٩٣٩) ، ص ١٠٨ - ١١٥ (المترجم) .
- (١) يقول مارمول إن زيارة وفد المماليك تمت عام ١٥٠٠ (انظر: *Rebelión y castigo...., p. 156*) .
- (٢) انظر : *Los moriscos españoles...., t. I,p. III.: Boronat Monroe :* A curious morisco appeal to the Ottoman Empire", en *Al Andalus*, 1966.
- (٣) المصدر السابق ، ص ٢٨٣
- (٤) انظر طبعة القاهرة عام ١٩٣٩ المجلد الأول ص ١٠٨ - ١١٥ . انظر أيضا *Soulah: Une elegie andalouse sur la Guerre de Grenade, Argel, 1914, p. 143.*
- حول هذا النوع من الرسائل انظر دراسة عبد البغيل التعميمي " *Une lettre des Morisques de Grenade au Sultan Suleiman Al Kanuni en 1541*"
- Cartulario de Alonso del Castillo, M HE, 1852, p. 41*
- Lea : The moriscos of Spain....,pp. 434 y sigs.*

رسالة من فقهاء المغرب إلى إخوانهم من العرب المتنصرين في غرة رجب ٩١٠ هـ (نوفمبر سنة ١٥٠٤ م)

تتضمن الفتوى التالية مجموعة من القواعد تسهل للموريسيكين الاحتفاظ بدينهم الإسلامي، والرسالة محتواها مزيوج : فهى تشير إلى مبادئ الإسلام الأساسية الخاصة بضرورة ممارسة الشعائر حتى فى بيئة غير إسلامية ، ثم هى تعرّض التطبيق العملى لهذه المبادئ : ماذا يفعل المسلم إذا أجبر على التخلّى عن عقيدته، والدخول فى دين آخر؟ كل ذلك تتضمّنها "الحقيقة" التي شرعت فى عصور الإسلام الأولى حين كان المسلمين فى حاجة إلى إخفاء أمر دينهم ، ويستطيع المسلم طبقاً لذلك أن يتظاهر بالكفر مؤقتاً حتى يتجنّب مشاكل كبيرة ^(١) .

يسمح الإسلام إذن لاتباعه بعدم الوفاء بالتزاماتهم الدينية فى حالة الاضطرار، إن دين لا يريد لاتباعه أن يلقوه بنيديهم إلى التهلكة ، بل يشترط فقط إخلاص القلب، على هذا الأساس كان يمكن للموريسيكى ممارسة الشعائر المسيحية وهو مستريح الضمير، على اعتبار أن طقوس الكنيسة الكاثوليكية مجرد واجبات اجتماعية . إن الحقيقة تشكل ركناً أساسياً فى حياة الموريسيكى . وقد فطن أعضاء محكمة التفتيش إلى هذه الحقيقة تماماً ^(٢) .

إجابة مفتى وهران ^(٣) على أسئلة وردت إليه من الأندلس فى ٣ مايو عام ١٥٦٣ (٤٠) :
الحمد لله، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.
إخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر ، فمن أجزل الله ثوابهم ، فيما لقوا

(٤٠) نقلت المؤلفة هذه الوثيقة عن كتاب بدرى لونفاس "حياة الموريسيكين الدينية" ، ولها رأينا أن ترجمة لونفاس مختصرة فضلنا أن نورد النص الكامل لهذا الوثيقة الهامة ، نقلأً عن محمد عبد الله عنان : "رواية الإسلام فى الأندلس" : الجزء السابع ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ٢٠٠١ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٤ (المترجم) .

(٤٠) يذكر محمد عبد الله عنان أن تاريخ الفتوى هو عام ١٥٠٤ ، أما كتاب لونفاس - الذى نقلت عنه المؤلفة - فيذكر أن تاريخ الفتوى هو عام ١٥٦٣ . هناك احتمال وجوه أكثر من فتوى (رغم التشابة الواضح) . وهناك احتمال أن يكن لونفاس قد أخطأ عند ذكر التاريخ (المترجم) .

في ذاته، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته، الغرباء القراء إن شاء الله، من مجاورة نبيه في الفريوس الأعلى من جناته، وارثو سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق، وإن بلغت النفوس إلى الترافق ، نسأله أن يلطف بنا ، وأن يعيتنا وإياكم على مراعاة حقه، بحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً .

“ بعد السلام عليكم، من كاتبه إليكم، من عبيد الله أصغر عبده، وأحوجهم إلى عفوه ومزيده ، عبيد الله تعالى أحمد بن يوجمة المغراوى ثم الوهراني .

كان الله للجميع بلطفة وسترها، سائلًا من إخلاصكم وغريبتكم حسن الدعاء، بحسن الخاتمة والنجاة من أحوال هذه الدار، والحضر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار، ومؤكداً عليكم في ملازمة دين الإسلام أمررين به من بلغ من أولادكم. إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عنكم بطريقكم ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وإن ذاكر الله بين الغافلين كالحى بين الموتى، فاعلموا أن الأصنام خشب منجور، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع، وأن الملك ملك الله ما اتخذ من ولد، وما كان معه من إله، فاعبدوه واصطبروا لعبادته، فالصلة ولو بالإيماء ، والزكاة ولو كانتها هدية لفقيركم أورياً، لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم، والفضل من الجناية، ولو عموماً في البحور. وإن متعتم فالصلة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء، وعليكم بالتيمم ولو مسحًا بالأيدي للحيطان، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد، إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتيمم به ، فاقصدوا بالإيماء ، نقله ابن تاجي في شرح الرسالة لقوله عليه السلام: فأتوا منه ما استطعتم .

“ وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجدة للأصنام أو حضور مصلاتهم فأحرموا بالنية، وانزوا مصلاتكم المشروعة، وأشاروا إلى ما يشيرون إليه من صنم، ومقصودكم الله، وإن كان لغير القبلة تسقط في حكم كصلاة الخوف عند الاتحام، وإن أجبروكم على شرب خمر، فاشريوه لا بنية استعماله ، وإن كلفوا عليكم خنزيرًا فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم، ومعتقدين تحريمه ، وكذا إن أكرهوكم على محرم، وإن زوجوكم بناتهم،

فجائز لكونهم أهل الكتاب ، وإن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم ، فاعتقدوا تحريم
لولا الإكراه ، وإنكم تاكررون لذلك بقلوبكم، ولو وجدتم قوة لغير تمونه .

”وكذا إن أكرهوكم على ربيا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم، ثم ليس عليكم
إلا رءوس أموالكم ، وتصدقون بالباقي، إن تبتم الله تعالى. وإن أكرهوكم على كلمة
الكفر، فإن أمكنكم التورية والإلغاز فافعلوا، والا فكونوا مطمئن القلوب بالإيمان إن
نطقت بها ناكرين لذلك، وإن قالوا اشتموا محمداً فإنهم يقولون له مُدّ، فاشتموا مُدّاً،
ناوين أنه الشيطان، أو مد اليهود فكثير بهم اسمه. وإن قالوا عيسى ابن الله ،
قولوها إن أكرهوكم ، وانعوا إسقاط مضاف أى عبد الله مريم معبد بحق، وإن قالوا
قولوا المسيح ابن الله، فقولوها إكراها ، وانعوا بالإضافة للملك كبيت الله لا يلزم أن
يسكنه أو يحل به، وإن قالوا قولوا مريم زوجة له، فانعوا بالضمير ابن عمها الذى
تنزّل بها فى بنى إسرائيل ثم فارقها قبل البناء. قاله السهيلي فى تفسير المبهم من
الرجال فى القرآن. أو زوجها الله منه بقضائه وقدره. وإن قالوا عيسى قد توفى
بالصلب، فانعوا من التوفية والكمال والتشريف من هذه، وإماتته وصلبه وإن شاد ذكره،
وإظهار الثناء عليه بين الناس، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو، وما يعسر عليكم
فابعدوا فيه إلينا ترشدكم إن شاء الله على حسب ما تكتبون به، وأنا أسأل الله أن يُبدِّل
الكرة للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله، من غير محة ولا وجاة، بل بصدمة
الترك الكرام. ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به ، ولابد من جوابكم.
والسلام عليكم جميعاً. بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسعمائة عرف الله خيرة .

” يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى ”

الله وامش

Cahen : El Islam. Desde las origines hasta el comienzo del Imperio Otomano, Madrid, (1) 1970, p. 201.

Vid. Artículo Taquiyya en L'encyclopédie de l'Islam, y Cardaillac, pp. 175 y sigs. De (Y) La polémique antichrétienne ...

مذكرة السيد فرانشيسكو نونيز مولاي

فى عام ١٥٦٧ أذيعت فى غرناطة سلسلة بنود وأوامر أهمها ما يلى :

- حظر اللباس الموريسكى على الرجال والنساء وإلزام النساء - بالإضافة إلى ذلك - بكشف الوجه.
- فى الزفاف وفي كل أنواع الاحتفالات تمنع رقصة السمرة وإقامة الليلى بصحبة الآلات والأغنيات الموريسكية . حتى لو كانت لا تتضمن شيئاً مريئاً أو مخالفًا للديانة المسيحية .
- يجب أن تظل أبواب البيوت مفتوحة وتمنع النساء من التخبيب بالحناء ويحظر استعمال الأسماء والألقاب الإسلامية.
- حظر استعمال الحمامات.
- يحظر على الموريسكين أن يكون لهم عبيد من المقاتلين الغرباء ، وعلى الأحرار من هؤلاء المقاتلين مغادرة غرناطة فى غضون ستة أشهر.
- يحظر على الموريسكين كذلك أن يكون لهم عبيد من السود (١) .
كما نرى، لم تكن تلك الإجراءات مجرد وسائل قمع ديني أو سياسى، بل كانت تهدف إلى إلغاء وجود الموريسكين كجماعة مختلفة ثقافياً ، وكان المطروح هو ما يسميه براوديل "صراع الحضارات" .
- لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يحظر فيها على الموريسكين لغتهم وملابسهم... إلخ ، لكن الموريسكين كانوا يتمكنون - من خلال ثرواتهم - من تأجيل اللحظة التى توضع فيها هذه الإجراءات موضع التنفيذ.

وفي عام ١٥٧٦ ، حين لم يكن هناك مجال للتأجيل ، أرسل أحد أعيان الموريسكيين - وهو فرانثيسكو نونيبيث مولاي - إلى محكمة غرناطة منكرة نقل نصها^(*) . يضع نونيبيث في اعتباره أهمية القضية فيحاول تصوير هذه الخصائص على أنها مجرد عادات محلية ويسعى إلى أن يُقبل اللباس الموريسكي كما يُقبل الذي الخاص بقشتالة أو أراغون ، وأن تُقبل اللغة العربية كما تُقبل اللغة الفالنسية أو القطلونية.

لم تتحقق المذكورة أدنى درجة من النجاح ، وسيكون تنفيذ هذه القرارات هو السبب الرئيسي في ثورة البشرات :

عندما تحول أبناء هذا الإقليم إلى المسيحية لم يكن هناك أى بند يجبرهم على ترك زيهما أو لفتهم أو العادات الأخرى التي يمارسونها في حفلاتهم ، وإحقاقاً للحق فإن التقصير كان إجبارياً ومتناقضًا للمعاهدة التي وقعتها الملاكان الكاثوليكيان عندما سلم لهما الملك أبو عبد الله هذه المدينة ، وحينما كانوا على قيد الحياة لم أجد - رغم سني - ثمة محاولة لنقض المعاهدة. بعد ذلك ، خلال حكم أبنتهما خوانا ، بدا من المناسب (لا أدرى من) أن يصدر الأمر بأن نتخلى عن الذي الموريسكي ، وقد تعطل تنفيذ هذا الأمر لبعض الأسباب ، وهذا ما حدث أيضاً تحت حكم الإمبراطور كارلوس ، وبعد ذلك حدث أن تجراً رجل ينتمي من وطننا - استغل حُسن أخلاق مخلومه السيد بولانكون عضو هذه المحكمة - فكتب فصولاً ضد القساوسة ولم يتبع رأي أعيان الرجال الذين يرون ضرورة إخفاء هذه الأمور ، فحصل على توقيع بعض أصدقائه على ما كتب وقدم كتابه إلى صاحب الجلالة ، وفي إثر ذلك ترافع السيد باردو راهب سان سالفاليور بالبيان عن القساوسة وأفاد بأن المتصريين حديثاً مسلمون ويعيشون كمسلمين ، وأنه ينبغي إصدار أوامر لكي يتخلوا عن عاداتهم القديمة التي تمنعهم من أن يكونوا مسيحيين ، وقد أمر الإمبراطور - كأمير مسيحي - بالقيام بزيارات عبر هذه المملكة للتعرف على أسلوب حياة أبناء غرناطة ، وتمت الزيارة وقام القساوسة أنفسهم بالزيارات ، وكانوا هم الذين شهدوا ضد الموريسكيين من هنا جاء الاجتماع الذي تقررت فيه أمور تحد من امتيازاتنا ، رغم أننا حضرنا ذلك الاجتماع ، ومنذ سنوات أراد السيد غاسبار دي أبيالوس - عندما كان أسقفاً لغرناطة - أن يحرمنا من

(*) لم ينقل مارمول النص الكامل للمنكرة التي قدمها نونيبيث مولاي ، وإنما حذف منها عبارات تتضمن انتقادات حادة للسلطات السياسية والكتيبة (المترجم) .

زينا فبدأ بأهل القرى وأحال إلى هذه المحكمة بعض أهالى غوبخار لنفس السبب . إن رئيس المحكمة الذى كان فى موقعكم الحالى وأعضاء المحكمة وماركينز مونديخار والراجع ... كل هؤلاء عارضوه لنفس الأسباب ، وتوقفت القضية منذ عام ١٥١٠ وحتى الآن حين عاد نفس القساوسة إلى إثاراتها لكن يضايقونا من جهات كثيرة فى وقت واحد . إن من ينظر إلى القرارات الجديدة من الخارج يبدو له أنها سهلة التنفيذ ، لكن صعوبيات تنفيذها كبيرة جداً ، وسأعرض لكم هذه الصعوبيات تفصيلاً حتى تأسوا على هذا الشعب المسكين وترفقوا به وتعاملوه بالحب والرحمة وتركوه لدى صاحب الجلالة كما فعل ذلك رؤساء هذه المحكمة قبلكم.

إن لباسنا الخاص بالنساء ليس لباس المسلمين، بل هو زى إقليمى مثل زى قشتالة، والزى الخاص يستعمله الناس فى أماكن أخرى فى الزينة والأحذية، ومن الذى ينكر أن زينا مخالف لزى الآتراك والمسلمين ؟ بل إن أزياء المسلمين مختلفة فيما بينها، فزى فاس ليس هو زى تلمسان ولا زى تونس مثل زى المغرب، ونفس الشىء يقال عن زى تركيا وفى المالك الأخرى، ولو أن طائفة محمد لها زى خاص لكان زى واحداً فى جميع البلاد ، لكن الزى ليس هو الذى يصنع الفضيلة . إننا نرى قساوسة ومسيحيين من سوريا ومن مصر يرتدون الزى التركى وتصل قفاطينهم إلى أقدامهم، يتحدثون العربية والتركية، لا يعرفون اللاتينية ولا الإسبانية ورغم كل ذلك فهم مسيحيون.

اذكر - وأعتقد أن كثيراً من معاصرى يذكرون - أن لباس أهل غربناطة قد تغير بما كان معتاداً، فقد بحث الناس عن زى نظيف، قصير، أقل تكلفة. إن هناك من النساء من يتتكلف ثوبها بوقية واحدة وتحتفظ بثوب الزفاف والحفلات المناسبات ويتوارثن هذه الثياب لثلاثة أو أربعة أجيال. إذا كان الأمر كذلك ، فما هي الفائدة التى تعود على أحد إذا حرمنا من ثيابنا التى اشتريناها - فى حقيقة الأمر- ببوقيات كثيرة كانت حصيلة أعمال قمنا بها خدمة للملوك السابقين؟ لماذا يريدون أن يجعلونا نفقد أكثر من ثلاثة ملايين عملة ذهبية أتفقناها فى هذه الثياب وأن يخسر التجار والسماسرة وعمال الفضة وغيرهم من يعيشون من جراء صناعة الثياب والأحذية والمجوهرات المورييسكية ؟ إذا كانت مائتا ألف امرأة أو أزيد من يعيشن فى هذه المملكة سيعينن عليهن شراء ملابس جديدة من الرأس إلى القدم ، كم من النقود

يتكلّف ذلك؟ أية خسارة تلك التي تمثّلها الثياب والمجوهرات الموريسيكية التي سيخلّصن منها! لأن هذه الثياب مصنوعة من قطع فماش صغيرة لا يمكن استعمالها إلا في صناعة هذه الثياب؛ ولهذا فهي غالبة. ولا أنواع الزيّنة أيضًا يمكن استخدامها ولا الأحذية. هذه المرأة المسكينة التي لا تجد ما تشرى به ثوباً ولا عباءة وقيمة وحذاء فترتدى سروالاً وتلتحف بملاءة بيضاء، هذه المرأة ماذا تفعل؟ ماذا سترتدى؟ من أين لها بنقود لشراء ملابس؟ ثم هذه الإيرادات الملكية التي تستفيد من البضائع الموريسيكية والتي ينفق فيها الكثير على الحرير والذهب والمجوهرات، لماذا تخسر؟ إننا معشر الرجال نليس على الطريقة القشتالية رغم أن معظمنا يرتدى ملابس فقيرة. لو أن الملابس هي التي تصنّع الدين لكان الرجال أحقرن عليها من النساء، فقد ورثوا الدين عن الكبار والعلماء.

سمعت كثيراً من القساوسة أنه ستكون هناك مكافآت وتفضيل لمن يلبسون ثياباً قشتالية حتى الآن، من بين كل من ارتدى الثياب القشتالية، لا أرى واحداً فقط أقلّ تعريضاً للمضائقات ولا موضع تفضيل. إننا جميعاً نعامل بنفس الطريقة. إذا وجدوا سكيناً مع أحد يودعونه السجن ويفقد أمواله بين الغرامات والرشاوي، تطاردنا المحاكم الكنسية والمحاكم المدنية، ورغم كل ذلك فنحن رعايا مخلصون دائمًا ومطهرون لجلالة الملك ومستعدون لخدمته بأموالنا. لا يستطيع أحد إطلاقاً أن يقول إننا ارتكبنا خيانة منذ اليوم الذي استسلمنا فيه.

عندما قامت الثورة في البيازين^(٢) لم تكن ضد الملك، بل تأييداً لتوقيعه الذي نكن له الاحترام كشيء مقدس. قبل أن يجف مداد الحبر تُقضى بنود المعاهدة، فالآن القبض على النساء ذوات الأصل المسيحي لكي يجبروهن على التنصير. تأمل يا سيدي هل قام أهل هذه المملكة بالتمرد؟ لقد قاموا - تأييداً لصاحب الجلالـةـ بـمـرـافـقـةـ كلـ منـ مـارـكـيزـ مـونـديـخـارـ وـالـسـيـدـ أـنـطـوـنـيوـ وـالـسـيـدـ بـيـرـنـانـدـيـنـوـ دـىـ مـنـدوـثـاـ وـأـخـوـتـهـ ضدـ المـتـمـرـدـيـنـ بـيـرـنـانـدـوـ دـىـ كـورـدـوـبـاـ اوـتـخـيـ وـدـيـيـغـوـ لـوـبـيـثـ أـخـارـ وـدـيـيـغـوـ لـوـبـيـثـ آـثـيـراـ. كـنـاـ أـرـيـعـمـاتـةـ فـارـسـ مـوـرـيـسـكـيـ وـكـنـاـ أـولـ مـنـ حـمـلـ السـلاحـ فـيـ إـسـبـانـياـ ضدـ الجـمـاعـاتـ. وقد كان السيد خوان دى غرناتـةـ شـقـيقـ الـمـلـكـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ قـائـداـ لـلـجـيـشـ الـمـلـكـيـ فـيـ قـشـتـالـةـ. مـنـ العـدـلـ إـذـنـ أـنـ يـكـرـمـ هـؤـلـاءـ الـذـيـنـ أـثـبـتـواـ وـلـاـهـمـ وـأـنـ تـكـرـمـوـهـمـ سـيـادـتـكـمـ كـمـاـ فعلـ أـسـلـافـكـ مـمـنـ تـولـواـ رـئـاسـةـ هـذـهـ الـمـحـكـمـةـ.

إن حفلات الزفاف الخاصة بنا ورقصة السمرة وأفراحنا التي اعتدنا عليها لا تحول بيننا وبين المسيحية، بل إنني لا أدرى كيف يقول أحد إنها حفلات مسلمين؛ لأن المسلم الصالح لا يتواجد في هذه الأماكن، وقديما كان الفقهاء يغادرون المكان عندما يبدأ العزف والغناء، بل إن الملك المسلم عندما كان يغادر المدينة ويمر بحي البيازين الذي يسكنه القضاة والفقهاء كان يأمر بوقف العزف حتى يخرج من باب البيرا احتراماً لهم. ليست هناك حفلات رقص في إفريقيا ولا في تركيا. إنها عادة محلية، ولو كانت شعيرة دينية لكان لها نفس الطابع في كل الأماكن. إن الأسفاف الطيب^(٤) كان له أصدقاء من الفقهاء، وكان يستعمل أشخاصاً يتقاضون أجراً حتى يشرحوا له عبادات المسلمين، ولو علم أن حفلات الرقص من شعائر الإسلام لكان قد منعها أو على الأقل لم يتمتدحها فقد كان يأمر بأن تعزف موسيقى السمرة..... والاحتفالات الأخرى التي يحضرها كل الناس، وكانوا يتنافسون أيهم يجيد رقصة السمرة بشكل أفضل. وفي البشرات - حين كان يذهب لزيارة كنيسة - عندما كان يقوم بوعظ ملحن كان يستبدل الأرغون بموسيقى السمرة التي كانت ترافقه في طريقه إلى الكنيسة. أتذكر أنه أثناء الوعظ عندما كان يدير وجهه إلى الجمهور كان يقول بالعربية - بدلاً من اللاتينية - "بارك فيكم" ، ثم كانت تعزف موسيقى السمرة.

لا تجد كذلك أن تخذن النساء بالحناء شعيرة إسلامية ، بل هي عادة لتنطيف الرأس ، إذ تخرج منها أية قذارة، وهو أمر صحي، وإذا وضع مع الحناء شيء فذلك لصبغ الشعر، وأداء عمل يرونه جميلاً ، وهذا ليس ضد العقيدة ، بل هو شيء مفيد للجسم ويعالج الأمراض، وقد أراد السيد أنطونيو دى غيبارا قسيس غواديكس أن يقصر شعر النساء في ماركيزية ثنيتي وأن يزيل الحناء من أيديهن ، فلما ذهب لتقديم الشكوى إلى رئيس وأعضاء المحكمة وإلى ماركيز مونديخار اجتمعوا لمناقشة الأمر وأرسلوا له شخصاً يخبره بـلا يفعل ذلك ، إذ لا علاقة له بالدين.

سيدي، ماذا يُجدى ترك أبواب منازلنا مفتوحة؟ إننا بذلك نسهل للصوص سرقتنا، ونسهل لمن لا حياء لهم التجرف على نسائنا ، ونسهل للحجب تروع الناس الأمرين. إذا أراد شخص أن يكون مسلماً وأن يمارس الوضوء وشعائر المسلمين ، ألا يستطيع فعل ذلك ليلاً؟ يستطيع بالتأكيد لأن شعائر طانقة محمد تتطلب العزلة.

لا يجدى للدين فتح أو إغلاق الأبواب بالنسبة لمن كانت نتيته سينية ، ومن يفعل ما لا يجب فليعاقب ولا يخفى على الله شيء.

هل يمكن إثبات أن للحمامات علاقة بشعائر الإسلام؟ لا بكل تأكيد، في الحمامات يجتمع الناس، وفي معظم الحمامات يقوم بالعمل مسيحيون. إن الحمامات تمتلىء بالقانورات في حين أن شعائر الإسلام تتطلب النظافة والعزلة ، فكيف يذهب المسلم لتأدية الصلاة في مكان مريب؟ . إن الحمامات شيدت لتنظيف الجسد ، والقول بأن النساء يجتمعن هناك بالرجال قول لا يمكن تصديقه؛ لأن المكان الذى ترتاده الكثيرات لا يمكن أن تكون به أسرار. إن النساء والرجال لهم وسائل أخرى للاجتماع ، خاصة أن الرجال لا يدخلون إلى الحمامات عندما تكون النساء موجودة. لقد كانت هناك حمامات فى كل الأقاليم ، وإذا كانت حمامات قشتالة قد أزيلت بذلك لأنها كانت تضعف رغبة الرجال فى الحرب. ليس على أهل هذه المملكة أن يحاربوا ولا يتquin على النساء أن تكون لهن قوة بل أن يكن نظيفات، وإذا لم تفتسل النساء فى الحمامات فلن يفتسلن فى الأنهار ولا فى البيوت، أين يمكنهن الاغتسال إذن؟ ولكن تذهب النساء إلى الحمام كعلاج لأمراضهن فإنهن يتکلفن كثيراً من الجهد والمالي والوقت لاستخراج تصريح بذلك.

الأمر بإن تكشف النساء وجههن ، ما فائدته سوى دعوة الرجال لارتكاب المعصية إذا رأوا الجمال الذى يشتهونه؟ وإن تجد الدميمات من يتزوج بهن. إن النساء يغطين وجوههن لكن لا يُعرفن ، وهذا ما تفعله المسيحيات. إن هذا الفعل شرف يتجنبن به المشاكل ؛ ولهذا أمر الملك الكاثوليكى بـلا يكشف مسيحي وجهه موريسيكية تمثى فى الشارع ولا عوقب. إذا كان الأمر كذلك ولا يتعارض مع الدين فلماذا تخسب أهل غربناطة بسبب كشف أو عدم كشف وجوه زوجاتهم؟

إن الألقاب القديمة التى تحملها إنما هي لكنى نعرف بعضنا بعضاً وإلا تاه الناس وضاعت الأنساب، ما فائدة ضياع الأنساب؟ لو فكرنا فى الأمر جيداً فإن المحافظة على الأنساب ترفع من شأن الملوك الكاثوليكين الذين تمكنا من الاستيلاء على مملكة غربناطة . هذا بالضبط كان هدف صاحبى الجلة وهدف الإمبراطور ، ومن أجل هذا يُراعى القيام على شئون قصر الحمراء وقصور أخرى صغيرة بحيث تتطل كما كانت

موجودة في عهد الملوك المسلمين. بهذه الطريقة تدل هذه القصيدة على سطوة المتصرين^(٥).

ترحيل المقاتلين الغربياء من هذه المملكة أمر عادل ، فلا فائدة تعود على أحد من اتصالهم بأهل البلاد ، لكن هذه الأوامر صدرت سابقاً ولم تُنفذ أبداً، وتنفيذها الآن تترتب عليه مشاكل : لأن معظمهم أصبح الآن من أهل البلاد ، فقد تزوجوا وأصبح لهم أولاد وأحفاد وهؤلاء قد تزوجوا ولذلك فإن طردتهم من البلاد سيؤدي إلى تأييب الضمير.

وليست هناك مشكلة كذلك في أن يكون لأهل غرناطة عبيد. لا يحق لأهل غرناطة أن يكون لهم خدم ؟ هل كل الناس متساوون ؟ القول بأن الشعب الموريسيكي تعداده يزيد مع وجودهم هو مجرد توهّم ؛ لأن صاحب الجلالة لما سأله عن تعداد العبيد السود في هذه المملكة قيل له إن عددهم عشرون ألف وقد أصبحوا الآن أربعين ألف فقط ، وفي الوقت الحاضر لا توجد مائة تصريح بامتلاك عبيد. هذه المسألة أيضاً أثارها القساوسة. إنهم هم الذين مكثوا أصحابهم من أملاكهم وهم الذين استقروا من وجودهم.

تنقل إلى اللغة العربية وهذه تمثل أكبر مشكلة، كيف يمكن أن يُحرِّم الناس من لغتهم الطبيعية التي ولدوا وتربوا عليها؟ إن المصريين والسوريين والمالطيين وجماع آخر من المسيحيين يتحدثون ويكتبون ويقرءون باللغة العربية وهم مسيحيون مثلكنا. ولم يحدث في هذه المملكة أن كتب عقد أو وصية باللغة العربية منذ تحولنا إلى المسيحية. كلنا يتمنى أن يتعلم اللغة القشتالية ، لكن هذا ليس في مقدور الناس. كم من الأشخاص موجودون في هذه المدينة وفي قرى خارجها لا يتحدثون اللغة العربية إلا وكل منهم له لهجة مختلفة عن الآخر بحيث أنه بمجرد أن تسمع شخصاً من البشرات يتحدث تعرف أنه من البشرات؟ لقد ولد هؤلاء الناس وتربوا في أماكن صغيرة ولم يسمعوا اللغة الأعجمية أبداً، وليس هناك من يفهمها إلا القسيس والعربيف ، وهذا ينطبق دائماً باللغة العربية، وسيكون من الصعب بل من المستحيل أن يتعلم كبار السن اللغة القشتالية في

(٥) كان الشعراء الإسبان المتعاطفون مع المسلمين في القرن السادس عشر يعلّون إشارتهم بالموريسكيين بأن ذلك يعني الإشارة بملوك إسبانيا الذين انتصروا على أمّة قوية . انظر : د. جمال عبد الرحمن «صدى سقوط غرناطة الإسلامية في الأدب الإسباني»، أعمال المؤتمر الدولي الخامس للدراسات المورييسكية ، تونس ١٩٩٣ ، الجزء الثاني من ١٨٥ - ٢٠٩ (المترجم).

ما تبقى لهم من عمر ، ناهيك عن فترة السنوات الثلاث، حتى لو لم يفعلوا شيئاً سوى الذهاب إلى المدرسة والعودة منها. من الواضح أن هذا البند وضع لتعجيزنا : ففي حين لا يوجد من يعلمها الأعجمية يريدون أن تتعلمها بالقوة، وأن تتخلى عن اللغة التي نجيدها؛ وهكذا يسبّبون لنا الأحزان والصدمات ، وهكذا عندما يرى أهل البلاد أنهم لا يستطيعون رفع الظلم فسيتركون البلد خوفاً من العقوبة ويدهبون إلى بلد آخر ويتحولون إلى قطاع طرق. إن من أمر بهذا رغبة منه في خلامن النفوس عليه أن يعي أن ذلك سيؤدي إلى خطير عظيم. ليتأمل الوصية الثانية من الوصايا العشر ، وعندما يحب الآخر لن يحب له ما لا يحب لنفسه . ليتأمل في أنه لو أمر مسيحيو قشتالة أو أندلusiا بشيء واحد من الأوامر التي صدرت لنا لما توا حزننا ، ولا أدرى ماذا كانوا سيفعلون.

لقد كان رؤساء هذه المحكمة دائمًا يحمون هذا الشعب البائس، إذا أهم شعبنا شيء كان يهرب إليهم، وكانوا يعالجونه كأشخاص يمثّلون الذات الملكية ويتمنون الخير لرعايا جلالة الملك. هذا بالضبط ما أمله منكم جميعاً.

هل هناك على وجه الأرض من هم أدنى من أهل غينيا السود؟ . لقد سمح لهم بالتحدث بلغتهم لإرضائهم. سامحني الله إذا كنت قد قلت ما قلت ببنية سيئة ، لأنني حسنة. لقد عبّدت الله ربنا وأخلصت للقاج الملكي ولأهل هذا الوطن وعملت من أجل خيره؛ هذا الواجب يجري في دمى ولا أستطيع التخلّي عنه. منذ ستين عاماً وأنا أؤدي هذا العمل. في كل مرة كنت أحد المختارين، إذا نظرتم إلى هذه الأمور إذن بعين الرحمة فلن تتخلوا سيادتكم عن محدودي الإمكانيات وهم يواجهون من يملكون قوة الدين في جانبهم. الفتوا نظر صاحب الجلالة، وعالجوا هذه الأضرار الكثيرة كما نأمل وافعوا ما يجب أن يفعله رجل مسيحي شريف. نتمنى أن يكون في ذلك رضا الله ورضا صاحب الجلالة ، وسيكون أهل هذه المملكة مدينون لكم على الدوام.

الهوامش

Mármol: *Rebelión y Castigo*....., p. 161

(١)

(٢) كما وردت في كتاب مارمول ص. ١٦٣ - ١٦٥ . المذكورة مودعة في مكتبة مديرية الوطنية (المخطوطة رقم ١١٧٦) وقد نشرها غاراد ودرسها في مقال بعنوان :

"The original Memorial of Don Francisco Núñez Muley", en *Atlante*

(٣) يشير إلى ثورة البيازين عام ١٤٩٩ إثر عمليات التنصير الإجبارية وحرق الكتب نتيجة لتشدد الكاردينال ثيسنيرس، وقد اعتبر المورисكيون ذلك بمثابة انتهاء لاتفاقية تسليم غرناطة.

(٤) يقصد إيرنандو دي تالابيررا.

(٥) كان فقدان الأسماء العربية مؤثرا ، فهو يعني ضياع الأنساب العربية القديمة ومعها النظام الاجتماعي الذي يستند إليها. أنظر :

Julio Caro Baroja: *Los moriscos del reino de Granada*, pp. 52 y sigs.

نبوءة مورييسكية

كانت النبوءات التي تسمى "وصايا" شائعة خلال القرن السادس عشر، وكانت السمة المشتركة التي تجمع بين كل تلك النبوءات هي الأمل في تحقيق النصر والإيمان بانتصار الإسلام انتصاراً كاملاً. وفي معظم هذه النبوءات نلاحظ الترغيب في الإسلام، وكان من الشائع كذلك التنبؤ بأن يأتي النصر على يد الأتراك أو على يد مسلمي البربر.

كانت الوصايا أو النبوءات تكتب بالآخمياني أو باللغة العربية ، كالنبوءة التي سنعرضها الآن والتي عرضت على محكمة التفتیش في غرناطة وترجمها ألفونسو ديل كاستيو^(١). وقد أدرج مارمول هذه الوصية مع وصيتين آخرين في كتابه "قصة تمرد الموريسيكين وعقابهم"^(٢) وتنسب إلى هذه الوصايا سرقة واستمرار ثورة البشرات .

وقد اخترنا الوصية الثانية من هذه الوصايا^(٣) أنها تنسب إلى النبي نفسه ؛ ولأنها تصور المأساة التي حلت بالموريسيكين على أنها عقاب من الله لهم بسبب فساد أخلاقهم، وبعدهم عن الإسلام في أواخر دولة الأندلس.

نبوءة وجدت في كتب صادرتها محكمة التفتیش في غرناطة (*)

بسم الله الرحمن الرحيم. جاء في الآخر أن رسول الله كان جالساً ذات يوم بعد صلاة الظهر يتحدث مع الصحابة - رضي الله عنهم جميعاً - وفي هذه اللحظة

(*) تحمل الكتابات المورييسكية بالأحاديث الموضوعة ، كما ذكرنا في أكثر من مناسبة . لاحظ كذلك اضطراب الأسلوب وتغير الفسقان والخطأ في ذكر الآيات القرآنية (المترجم) .

دخل ابن أبي طالب وفاطمة الزهراء - رضى الله عنهمَا - وجلس بجانبه. قالوا له: « يا رسول الله دلنا على حال أمتك في آخر الزمان... » فقال لهم : « ستقوم القيامة عندما يكون الناس أشراراً ، وسيكون هناك جيل من أهلى (أمتى) في آخر بلاد الغرب في مكان يسمى جزيرة الأندلس ، وسيكون هؤلاء آخر من يسكنها من أمتي (أهلى). سيكونون آخر الناس، يرحمهم الله في ذلك الوقت ». قال ذلك وامتلأت عيناه بالدموع ثم قال: « هم المضطهدون والمكرهون ، هم الذين يدمرن أنفسهم ، هم التعبسae الذين قال الله عنهم : (لا تفني أمة إلا ونحن نذنب بذلك) (*) يقرأ إلى آخر السورة ما هو مكتوب ويتعلق بذلك ، وفيه يشير الله تعالى إلى هذا الذي ذكرت ، وسيكون ذلك بسبب نسيان أهل الأندلس لأمور الدين واتباعهم لأهوائهم وحبهم الدنيا وترك الصلاة ومنع الزكاة وحب الشهوات والقتل؛ ولأنه سيشيع بينهم الكتب ، وإن يحترم الصغير الكبير ، وسيشيع بينهم الجهل والظلم والخلف الكاذب ، وسيتعامل التجار بالربا والغش فيما يبيعون ويشترون. كل ذلك بسبب الجشع والرغبة في زيادة أموالهم وكثتها دون التأمل من أين جاء المال » قال ذلك وامتلأت عيناه بالدموع مرة أخرى، ويكي فبكتنا كلنا معه ثم قال : « عندما تظهر في الأمة هذه الشرور سيبعث الله عليهم أنساناً أسوأ منهم ، تعجبهم الجرائم المنكرة. حينئذٍ سيطلبون العون من العادلين فيهم وإن يجيبونهم. وسيبعث الله عليهم من لا يرحم الصغير ولا يوقر الكبير ، لأن كل إنسان سيُعاقب بذنبه وعليه أن يتحمل جزاءه. لم تر أبداً أن الربا استقر في أمة ولا الغش في البيع والشراء والوزن والمكيال إلا وعاقبها الله تعالى بقطع الغيث من على وجه الأرض. لم تتفش الفاحشة إلا وأرسل الله الفتنة والموت ، ولم ينتشر في أمة الربا في البيع والشراء والخلف الكاذب والتكبر إلا وعاقبها الله بكل أنواع المرض. ولم ينتشر في أمة ما في أمة ما موت السوء والقتل إلا وأذلها الله وأخضعها لاعدائها ، ولم ينتشر في أمة ما عمل قوم لوط إلا وعاقبها الله بأن أرسل عليها الدمار والخسف ، ولم يظهر في أمة ما القسوة وانعدام الرحمة وعدم الخوف من الله بارتكاب المعاصي إلا وعاقبها الله بعدم الاستجابة لدعائهما عند الكروب : لأن النتوء عندما تنتشر في الأرض يرسل الله تعالى العقاب من السماء ، ولا يلعن الله أحداً من أمتي إلا وينزع التراحم بينهم ، ولا يعاقب

(*) الآيات القرآنية تقدر أن لكل أمة أجل ، لكن المؤرخين ربما أخطأوا في ذكر الآية (المترجم) .

الله عبداً في الدنيا بأكثر من قسوة القلب ، وعندما يقسو قلب الإنسان يلعنه ربه ولا يسمع دعاءه ولا يرحمه ، ويشتد غضب الله على عباده حين يقترب يوم الحساب بسبب كثرة العاصي وترك المعروف والبعد عن طريق الحق ». عند ذلك بكى وقال: « فليرحم الله أهل هذه الجزيرة عندما تظهر فيهم الذنوب والمعاصي ويستعدون بما جاء في القرآن؛ لأن معظمهم حينئذٍ سيبتغون الدنيا وسيلبسون أصناف الغنم الفقيرة وستكون ألسنتهم أحلى من العسل والسكر لكن قلوبهم ستكون قلوب ذئاب وستكون أفعالهم دنيئة وشريرة ، وسيبعث الله عليهم عقابه، ولن يسمع دعاءهم لأنهم سيفضلون الظلم ، ولن يدخل ضمن أمني الظالمون أبداً. ومن يبتسم في وجه ظالم أو يفسح له مكاناً يجلس فيه أو يساعدته أو يسهل له ارتكاب المعصية فإنه يوشك أن يهلك . وإذا طفى ملك في أرضه ولم يعدل بين رعيته سينقص الله من مملكته الخير والفاكهه والخيرات ، أما إذا حكم بالعدل ولم تكن في مملكته شرود ولا ظلم فسيرسل الله تعالى بركاته على أهله وعلى مملكته وسيزيد في خيراتهم . وعندما يظهر في هذه الجزيرة أهل الظلم وترك الحق والخيانة وعندما يسود التكبر والخيانة ويظلم الأيتام ويترك رحمة الله ويُطاع الشيطان فترتكب العاصي ويشهد بالزور ويتواضع للأغنية ويُتکبر على الفقراء بسبب قسوة القلب والتکبر، حينما تكون ألسنتهم حلوة وأفعالهم مرة... حينئذٍ سيرسل الله عقابه ». ثم بكى مرة أخرى وقال: « أقسم برحمة الله وبعظمته أسمائه أنه لو لا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولو لا حب الله لم لا رسول الله عليهم عذاباً شديداً ». ثم بكى بمرارة وقال: « اللهم ارحمهم » - كررها ثلاثاً - « لكن الله سيرسل عليهم بسبب أفعالهم حكاماً قساة وأشراطاً ياخذون أموالهم دون حق، ويدخلونهم في دينهم و يجعلونهم يعبدون الأصنام معهم و يجعلونهم يأكلون الخنزير معهم و يستخدمونهم في أعمالهم. ويعذبونهم حتى يجعلوهم يخرجون اللعن الذي رضعوه من أطرافهم، وسيرون الظلم في ذلك الوقت لدرجة أن أحدهم سيمر على القبر الذي يدفن فيه أخوه أو صديقه ويقول « ليتني كنت معلمك ». سيستمرون على ذلك إلى أن يفقدوا الأمل في الموت على دين الرحمة. معظمهم سيخرج عن دين الحق » هنا بكى ثانية وقال: « فليرحمهم الله تعالى برحمته ولينظر إليهم بعين الرحمة والشفقة والعطف. سيكون ذلك عندما يشتت عليهم أعداؤهم، عندما يحرقون كثيراً منهم ، رجالاً ونساء ، وأطفالاً صغاراً وشيوخاً ، وعندما يخرجونهم من ديارهم، ويطردونهم من بلادهم...في

ذلك الوقت ستثور الملائكة في السماء وسيذهبون جماعةً ليسجدوا لله وليقولوا له : « إن ناساً من أمة حبيبك ورسولك محمد يحرقون في النار وأنت القوى المنتقم » هنا يرسل الله القوى من ينجدهم ويخرجهم من هذا الكرب العظيم . هنا بكى على - رضي الله عنه - وبكتنا كلنا معه وقال له : « في أى عام سيرسل الله النجدة ويسر القلوب المکروبة؟ » أجاب « يا على سيكون ذلك في جزيرة الأندلس عندما تكون بداية العام يوم سبت والعالمة الدالة على ذلك أن يرسل له سحابة من الطير يكون من بينها طائران ميزان أحدهما سيكون الملك جبريل والطائر الآخر سيكون ميكائيل ، أما الطير فستكون من أرض اليبغاوات ، وسيؤذن قدمهم بقدوم ملوك الشرق والغرب نجدة لجزيرة الأندلس ، والعالمة ستكون هجوم أهل الغرب أولًا . وإذا تحدثت هذه الطير ستتحدث صدامات وحروب بين أهل شريعة المسلمين وأهل دين النصارى ، وسيعود الناس كلهم إلى شريعة المسلمين ، لكن ذلك سيحدث بعد ضيق شديد . ذلك العام سيكون فيه ضباب كثيف وماه قليل وستحمل الأشجار ثماراً كثيرة وسيكون الخير أكثر وفرة في الجبال الباردة منه في السواحل ، وسيملا النحل خلية في ذلك العام المبارك » .

الهوامش

(١) حول هذه الشخصية انظر .

El morisco granadino Alonso del Castillo, interprete de Felipe II^o, en MEAH, y "Cabanelas: morisco granadino Alonso del Castillo.

١٧٤ - ١٦٩ (٢)

١٧٢ - ١٧١ (٣)

حرب البشرات

تشكل ثورة مسلمي مملكة غرناطة وما ترتيب عليها من حرب البشرات (٦٨) - (١٥٧١) فصلاً من أهم فترات حكم فيليبي الثاني وأكثرها دموية.

نعرف تفاصيل حرب غرناطة بفضل روايات مؤلفين معاصرین للأحداث مثل: أورتالو دی منتوثا ومارمول كاريماخال. ونستطيع من خلال قراءة ما كتبوه رسم لوحه لحرب همجية بلا هواة.

إن عدم انضباط وجبن القوات المسيحية ، التي كانت تفرّ إزاء أي تحرك للمسلمين بهدف حماية ما نهبوه ، كان عاملاً آخر يضاف إلى الصراعات على السلطة بين سادة إقليم أندلوسيا . كان النهب والقتل يشكلان نمط الحياة اليومية آنذاك.

انزعجت السلطة المركزية من جراء تأثير حرب غرناطة على مسالة هولندا ، ورغم عدم استطاعتها السيطرة على الثورة إلا أنها رفضت أي تنازل. حيثك المؤامرات حول ماركيز مونديخار الذي كان ينادي باتخاذ موقف مرن وتقديم تنازلات^(١) وحيثك مؤامرات حول خوان دی اوستيريا الذي لم تكن تعجبه هذه الحرب منذ البداية ، هذه الحرب الدموية ذات العمليات والمفاوضات المتهيبة مع الموريسكيين الخونة.

أما من ناحية الموريسكيين - والذين شاعت بينهم أيضًا المنافسات والعداوات - فقد ثارت ثورتهم ضد القساوسة ضد المسلمين الذين تنتصروا. إن الحديث عن القتل والنهب والقضاء على قرى كاملة وحملات الانتقام والعقوب الوحشى المتداول بين الفريقين ، هذا الحديث يملأ صفحات أخبار ذلك الزمان. تبقى بطولات بعض النبلاء المتطوعين وهم "أناس متميزين" كما يسميهم أورتالو الذي كانت بطولاته جديرة بأن تُنسب إلى الأزمنة القديمة.

انتهت حرب غرناطة بترحيل الموريسكيين الغرناطيين إلى قشتالة ، وقد تم الترحيل بشكل عشوائي متجلب خلال شتاء عام ١٥٧١ - ٧٠ ، عندما لم يكن المسيحيون يسيطرون بالكامل على الوضع. كان ذلك - على حد قول بتشت (٢) - فضلاً من أفشل الفصول التي سجلها التاريخ.

يبدأ مارمول - وهو أهم مؤرخ لحرب البشرات - حكايته على النحو التالي:

فصل يتعلق بالثورة العامة لمسلمي البشرات (٣)

إن التفكير في الأموال التي ارتکبها الموريسكيون وقطع الطريق في البشرات وفي مختلف بقاع مملكة غرناطة شيء يدعو إلى الحزن حقيقة. كان أول ما فعلوه هو اتخاذ أسماء وألقاب خاصة بطاقة محمد وإعلانهم أنهم مسلمون خارجون عن العقيدة الكاثوليكية المقدسة التي كانوا يؤمنون بها هم وأباهم وأجدادهم. كان من المستغرب أن ترى كيف كانوا - كباراً وصغاراً - على دراية بتعاليم طائفة محمد العينة: كانوا يؤدون الصلاة لحمد، وإليه يوجهون دعائهم ، وكانت النساء المتزوجات يكشفن صدورهن وكانت العذاري يكشفن رؤوسهن ويسدلن شعورهن على أكتافهن. كن يرقصن علينا في الشوارع ويعانقن الرجال (٤). كان الشباب يسيران أمامهن يجلبون لهن الهواء بالمناديل ويقولون بصوت عال إن وقت البراءة قد حان وإنهم سيذهبون إلى الجنة لأن دينهم متحرر ، وكانوا يسمونه دين اللطف؛ لأنه يسمع بكل أنواع السرور والمعن. في الوقت نفسه كانوا لا يحترمون الله ولا الناس؛ لأنهم أعداء كل دين وأعداء الخير، تملؤهم القسوة والغضب الشيطاني. لقد سرقوا وحرقوا الكنائس وحطمواها. حطموا التمثال المقدسة وحطموا منصات القساوسة وامتدت أيديهم بالسوء إلى القساوسة الذين كانوا يعلمونهم أمور العقيدة. اقتادوهم إلى الشوارع والميادين وهم عرايا وحفاء ، وكان ذلك إهانة علنية لهم، ضربوا البعض وحرقوا البعض الآخر حياً ،

(٤) لاحظ الاقتراء على مسلمات الأندرس . إن السلطات الإسبانية كانت تحثهن على كشف جوههن ، ولكن يرفضن ذلك ، أما الآن فالمؤرخ يتهمهن بكشف صدورهن ومعانقة الرجال في الشوارع ! (المترجم) .

وتسببوا في أن يعاني الكثيرون أصناف العذاب. وقد استخدمو نفس القسوة مع المسيحيين من غير رجال الدين من كانوا يسكنون في تلك الأماكن ، ولم يراعوا حق الجار على الجار ولا حق الصديق على الصديق، ورغم أن بعضهم حاول احترام حقوق الجوار وحقوق الصداقة (إلا أن ذلك لم يفده) لأن غضب الأشرار كان شديداً فكانوا يقتلون كل من يلقونه، وكانوا يقتلون من كان يريد أن يمنعهم من القتل. سرقوا بيوتهم وحاصروها من لجأوا إلى الأبراج والأماكن الحصينة بالثار وحرقوا كثيراً منهم ، وحتى من استسلموا لهم فقد قتلوا. فقد كانوا يريدون ألا يبقى مسيحي واحد على ظهر الأرض حياً من تزيد أعمارهم على عشر سنوات. بدأت هذه الأعمال في لاتخارون وامتدت إلى أورخيبا عصر يوم الخميس..... ومنها امتدت روح التمرد والشر بسرعة حتى أنها فجأة غطت كل أنحاء تلك البقعة كما ستحدث بالتفصيل.

الهوامش

Morel- Fatio "Memoria presentada al rey Felipe II por Inigo López de Mendoza, (1)
Marques de Mondejar..... para justificar su conducta durante la campana que dirigió contra los
moriscos en 1569 " en L'Espagne au XVI sieclers.

L'expulsion des morisques de Grenade et leur repartition en Castille,p. 223. (1)

Marmol: Historia del rebellion y castigo...,libro IV,cap. VIII. (1)

موريسكيو قشتالة

لم يكن موريسكيو قشتالة يشكلون جماعة مستقرة مثل موريسكيي مملكة أراغون التي كانت تضم المجنين^{*} القدماء الذين ظلوا في أراضيهم منذ أن غزاهما المسيحيون وبعد أن تحولوا إلى المسيحية بموجب قرار صدر في عام ١٥٢٦ . كانت حملة قشتالة تهدف إلى طرد المسلمين صوب الجنوب بحيث أن عدد المسلمين الذين بقوا في أراضيهم كان ضئيلاً جداً^(١) وقد أجبر هؤلاء المسلمين على التنصير عام ١٥٠٢ ، وكانوا يشكلون جماعة صغيرة ومسالمة تعمل في الحرف اليدوية وتتألف التعايش مع المسيحيين القدامى في قشتالة : ولهذا فلم تكن لهم مشاكل كبيرة.

طرحت المشكلة في قشتالة اعتباراً من عام ١٥٧٠ حين أمر فيليب الثاني - في أعقاب حرب البشرات - بطرد موريسكيي غرناطة إلى قشتالة.

شكل الفرنانطيون في قشتالة جماعة غير أصلية (رغم محاولات الدولة لكي يستقروا) وكانوا أكثر تمسكاً بالإسلام من موريسكيي قشتالة ، وكانوا يثيرون كل أنواع المشاكل. كانوا متهمين بالنهب وقطع الطريق فثاروا عدم الطمأنينة في جميع أنحاء المملكة ، وقد تسببوا في انخفاض الأجور إذ كانوا يقبلون أجوراً لا يقبلها مسيحي قديم ، واتهموا برفع الأسعار عن طريق احتكار السلع، فقد كان الكثيرون منهم يعملون بالتجارة وخاصة نقل البضائع . لم يكن لهم مكان في مجتمع قشتالة ، فقد كانوا جسداً غريباً ومشيناً للمشاكل. جاء قرار ترحيلهم إلى قشتالة عام ١٥٧٠ تمهيداً لطردهم بين عامي ١٦٠٩ - ١٦١٤ .

فيما يلى نقدم وثيقة تشيد بموريسكيي قشتالة، وقد كانوا مجموعة عُرف عنها الجد والاجتهاد والقتاعة وحب الأدخار والتضامن ، كما نقدم مقتطفات من الشكاوى

(*) المجنون : هو المسلم الذي بقي في أرض استولى المسيحيون عليها ، وظلوا يحتفظون بهذا اللقب إلى عام ١٤٩٢ فنطق عليهم وعلى مسلمي غرناطة لقب " موريسكيين " (المترجم).

التي كانت تظهر دائمًا في محاضر اجتماعات نواب قشتالة بخصوص المشاكل التي كان يسببها موريسكيو غرناطة .

موريسكيو أكسترديمادورا

كانوا يعملون في زراعة البساتين ويعيشون مبعدين عن التعامل مع المسيحيين القدامى ، وكانوا لا يريدون أن يرى أحد طريقة معيشتهم . كان بعضهم يعمل بالتجارة . كانت لهم محلات أطعمه في أفضل الواقع بالمدن والقرى ، وكانوا يقتاتون من عمل أيديهم . وكان بعضهم يعمل في صناعة الآلات والأواني والنعال والصابون ، وكان بعضهم يعمل كحمل . كانوا يتميزون بأنهم يدفعون الضرائب عن طيب خاطر ، وبأنهم مقتصدون في الملك والمشرب . كانوا في الظاهر يبدون أنهم يذهبون إلى أي مكان بحب ورغبة ، وكانتوا يهتمون بزيادة أرباحهم . كانوا يتذادون أن يتسلل نورهم . كل منهم كانت له حرفة . إذا ارتكب أحدهم خطأً ما كانوا يشهدون لصالحه ، حتى لو كان الخطأ واضحًا . كانوا لا يتشاجرون فيما بينهم ، بل كانوا يعالجون الاختلافات . كانت سماتهم الصمت والصبر والانتقام إذا تمكنا . كانت مهنتهم العامة هي صناعة الملابس والتقليل بين بلد وأخر . لا يعرف عنهم أنهم أرادوا مصاورة المسيحيين القدامى ، ولم يُعرف عنهم كذلك أنهم طلبوا موافقة البابا على زيجات بين درجات القرابة الممنوعة بحكم القانون ^(٢) .

الغرناطيون في قشتالة

من خلال القضايا المرفوعة ضد الموريسكيين والتي فحصها الدكتور ليبيانا بتكليف من المجلس يتضح ما يلى:

- أنه بين عامي ٧٧ - ١٥٨١ مات أكثر من مائتي شخص نتيجة جروح خطيرة ، بالقرب من الأماكن التي يسكنون فيها مثل طليطلة وغوادادا لاخارا وبايانوليد وسيغوبيرا ، وقد نسبت هذه الجرائم والسرقات إلى الموريسكيين الذين قدموا من مملكة غرناطة .
- من الثابت أن هناك ست أو سبع جماعات موريسكية قامت بأعمال القتل والسرقة ونشرت الفزع في كل البقاع .

- إن كل من قاموا بأعمال السرقة هم من الذين تمردوا في غرناطة، وهم الذين يقتلون الناس في الطرق العامة ، لاعتقادهم أن في إمكانهم الاختفاء في أى منزل تابع لبني قومهم.
- إن الموريسيكين يقتلون بشكل عام الحمالين أو الذين يسيرون بمفردهم أو من لا يحملون السلاح ، وبشكل عام فإن كل الموريسيكين الذين يشربون الخمر هم من قطاع الطرق.
- وصل الموريسيكيون إلى قشتالة عام ١٥٧٠ ولم يبدعوا في القيام بأعمال النهب حتى عام ١٥٧٧ : لأنهم لم يكونوا على دراية بطرق الاختباء وتتجنب العقوبة.
- لما كانوا لا يراعون القانون فقد تجرءوا وعاد الكثيرون منهم إلى غرناطة ، وكان المراجعون ورجال السلطة أنفسهم يخشونهم.
- إن عدد الموريسيكين كبير ويتضاعف بسرعة: لأن الحرب والدين لا يهلكانهم، ولأنهم دهاء بحيث أنهم أتوا إلى قشتالة ولم يكن لديهم ولا شبر أرض، وكان ذلك في سنوات الجفاف، لكنهم الآن جميراً أثرياء بحيث أنهم من الآن وبعد عشرين عاماً سيكون المسيحيون القدامي خدماً لهم.
- لا يجب أن يثبت أحد في تحولهم حقيقة إلى المسيحية. لم يحدث أبداً أن ثبتوها ذلك رغم محاولاتهم، وعليه فإنه يجب البدء في العلاج. ولا يجب أن تثق في موريسيكي أبيلا واريال وأنماكن أخرى فهم ليسوا أكثر مسيحية من غيرهم.
- بناء على عدم اهتمامهم بالإصلاح وعلى إصرارهم على اتباع شريعتهم الإسلامية يُخشى أنهم سيقوضون دعائم المسيحية ^(٣).

من مجلس نواب مدريد المنعقد عام ١٥٩٤ إلى فيليب الثاني في الاجتماع السابق طلباً من صاحب الجلاله أن يتفضل بإصدار الأوامر لمعالجة المشكلة التي قد يؤدي إليها مستقبلاً وجود عدد كبير من موريسيكين مملكة

غرنطة كالعدد الموجود حالياً، لم تُتَّخذ إجراءات ونرى الضرر يزداد باطراد، إننا كلما أجلنا اتخاذ الإجراءات سيزداد عددهم وسيتحكمون في كل أنواع التجارة والعقود، خاصة التخزين فهو العمل الأساسي الذي يستحوذون به على المال، إنهم يجمعون المحاصيل ويخفونها ويحتاج المرء إلى الشراء منهم... ولكن يستغلوا ذلك أحسن استغلال أصبح منهم صناع الخبز والجزارون وأصحاب محلات السقاون؛ وهم بذلك يجمعون النقود ويخفونها، ليس فيهم من يشتري ولا من يملك عقارات ثابتة، ولهذا فهم أثرياء وأصحاب سطوة، وقد وصل نفوذهم إلى المحاكم الكنسية والمدنية، فالمحاكم تتحيز لهم بشدة؛ ولهذا فهم يعيشون متحررين، وهذا ما يفسر عدم تدينهم المسيحي . وكل يوم يعبرون إلى بلاد البربر ، وحتى اليوم لم نر أنهم قد طلبوا إننا للزواج فيما بينهم ، وهم يقيمون حفلاتهم الخاصة بالزواج وحفلات السهر، ويحملون السلاح علينا، وقد ارتكبوا ويرتكبون أبغض الجرائم منذ عشر سنوات وحتى الآن، وبينما على الخدمات التي قدموها إلى جلالتكم فقد وفق لهم على التواجد بالعدد الحالى.... ولعالجة هذا الوضع يبدو أنه من المناسب أن تتفضلاً جلالتكم باتخاذ الإجراءات التالية.....

إحدى الوسائل التي اقترحوها باللحاج كانت إجبار الموريسيكين على الاشتغال بأعمال الزراعة فقط.

في محضر اجتماع نواب غوا للأخارا بتاريخ ٢٩ يوليه ١٥٩٨ ، وتحت عنوان "رأينا حول الزراعة" جاء ما يلى:

لكى تزدهر الزراعة نرى من المناسب أنه:

نظراً لوجود عدد كبير من الموريسيكين القادمين من مملكة غرنطة الذين لم يخرجوا من المملكة ولم يدخلوا في الدين المسيحي ، ونترا لانه قد تزايد عددهم ويستمر في الزيادة (و الأسوأ من ذلك أنهم استغلوا بأعمال السمسرة وبمختلف أعمال التجارة والمؤن في المدن والقرى ، لأنهم يحققون من هذا النشاط أرباحاً هائلة مقابل جهد قليل)، فقد تركوا مجال الزراعة وأثروا وأصبح لهم سلطان . هذا بالإضافة إلى المشاكل الأخرى التي يمكن أن يقودي إليها هؤلاء الناس إذا امتلكوا ثروات كبيرة

وأصبح لهم سلطان في القرى . ونظرا لأنهم تركوا زراعة الأراضي التي تعاقدوا على زراعتها في غرناطة وكانت من أفضل الأراضي وأجودها ثماراً في كل أنحاء إسبانيا

ولما كان المورисكيون كما هم من حيث الجشع والتطلع إلى السلطة فسيكون من المفيد أن يقوموا ب أعمال الزراعة ورعى الماشية.... إذا فضلوا ذلك فلن تكون لهم تجارة كبيرة، ولن يكونوا على صلة فيما بينهم كما يحدث الآن ، حيث أنهم - بسبب التنقل - يتصلون فيما بينهم، ويتراءون مع بني قومهم . من المناسب إذن أن تصدر الأوامر بـألا يعمل أهل غرناطة وأبناؤهم في التجارة، وألا يكون بإمكانهم إلا العمل في زراعة الأراضي....

Fernández y González: *Estado social y político de los mudejares de Castilla, Madrid.* (1)

1866

انظر أيضاً الفصل الخاص بموسيكى قشتالة في

H. Lapeyre: *Géographie de l'Espagne morisque.*

Fray Alonso Fernández: *Historia de Plasencia*, libro III, cap.25 ; apud Janer : Condición social, p. 162. Véase también Fernández Nieva "Un censo de moriscos extremeños de la Inquisición de Llerena", en Revista de Estudios Extremeños.

Janer : Condición social, p. 272 (T)

هذه معركة بدر وحنين

كتموذج للأدب الموريسي المكتوب بالأخميميابو^(١) نقدم هذه القصة التي يدرجها غاليس دي فوينتيس في "كتاب المعارك".^(٢) وكتاب غاليس عبارة عن مجموعة قصص فروسية تحكي بطولات حذت في صدر الإسلام . في هذه القصص ييلو المسلمين كأبطال أسطوريين يحققون النصر دائمًا . ولا شك في أن الموريسيين - الذين كانوا يشعرون بوما بأنهم جزء من العالم الإسلامي- كانوا ينتشرون بتذكر هذه الانتصارات ويعتزون بها في زمن تعرضوا لهم فيه للمنـ.

ورغم أن هذه القصص ترتدى ثوب الفروسية وتتضمن أحداثاً عجيبة ، إلا أن بعض الأحداث التي ترويها حقيقة . هذه هي حالة " معركة حنين" التي وقعت في العام الثامن للهجرة (عام ٦٣٠ م) ودارت أحداثها على النحو التالي: بعد فتح مكة شعرت قبيلتنا هوازن وثقيف بالخطر الذي يشكله التوسيع الإسلامي على علاقاتهما التجارية مع الطائف.

واستطاع مالك بن عوف زعيم هوازن أن يعد جيشاً قوامه عشرون ألف رجل (وهو رقم هائل بالنسبة لزعيم قبلى) وتوجه للقاء المسلمين، وأصطحب معه النساء والأطفال والماشية وكل ما يملك . كان محمد صلى الله عليه وسلم بالاستعدادات التي يجريها مالك ، فجهز جيشاً من عشرة آلاف، وخرج من مكة للقاء العدو . وعندما كان يتأنى لنصب الخيام في حنين فوجئ بجيش الأعداء . عم الفزع في أوساط المسلمين فلم يتمكنوا من الرد على الهجوم وشرعوا في الهرب . نادى محمد - وهو محاط بنفر من أصحابه - الرجال فاستجابوا للنداء وعادوا إلى المعركة وحققوا نصراً حاسماً بالإضافة إلى الفنائم الكثيرة التي كان الأعداء يحملونها .^(٣) القصة - كما سنرى - تتضمن كثيراً من عناصر الخيال ، لكنها تقرب كثيراً من الواقع التاريخي .

هذه قصة معركة بدر وحنين (*)

رُوِيَّ عن عبد الله بن عمر أنه قال: عندما غزا النبي ﷺ مكة حطم الأصنام وقتل نفراً كثيراً من أهلها ، وأسر بعضهم وفر البعض الآخر ومنهم خلف بن أمية ووعكرمة بن أبي جهل ، وظل هؤلاء يقاومون النبي شهراً ، ثم بعد ذلك صاروا مسلمين طيبين وحسن إسلامهم.

ووصلت الأخبار إلى مالك بن عوف الأنصاري ، وكان ذا نفر كثير في قومه مطاعاً بينهم ، فأمر بأن ينادي في جميع البلاد وبين كل قبائل العرب كي يأتوا لمساعدتهم ضد محمد بن عبد الله ، فأجابوه جميعاً بأن ذلك يسرهم وأنهم سيدهبون مشاة وفروسنا .

وهكذا كانت أول قبيلة هم بنو النضير، فجاءوا وفي مقدمتهم قائد يُدعى سابق بن مروان. ثم جاءت مزيان في أربعة آلاف فارس، وكان في مقدمتهم قائد يُسمى مازن بن مازن. ثم جاء بنو عامر وعلى رأسهم فارس اسمه عطاء بن طارق. وكان مع كل قائد أربعة آلاف فارس، ومثلهم مشاة. ثم جاء بنو مواح في أربعة آلاف فارس يتقدمهم قائد يُدعى الحارث بن مواح، وهكذا احتدم بين فارس وراجل ستة وعشرون ألفاً.

فاما ساروا ووصلوا قرب قصر مالك بن عوف رأهم مالك وخرج للقائهم وقال لهم:

- أيها الناس، يا فرسان العرب، تعرفون كيف غزا محمد بن عبد الله مكة وظهر عليه، قريش بالسيف والرمح، وأخشى أن يحتاج محمد أراضيكم، ويقتل رجالكم وشنّ هاجكم، وبينما يحصونكم، ويأسرون نساءكم وأولادكم.

فَأَجْهَيْهِ جَمِيعًا وَقَالُوا لَهُ :

- إذن نود أن نذهب إلى محمد بخيانا ورجلنا حتى يعود هيل إلى مكة.

عندئذ قال مالك :

- أيها الناس، مادامت هذه مشيّتكم فأدعوا سلامكم وخليكم فاني أريد أن أطلب
مزيداً من العون من عروة بن مصعب.

(+) وجدها النص مترجمًا في كتاب «ملحمة المغارى الورسقية»، لاستاذنا الدكتور صلاح فضل، وقد
لاحظنا - كعهدها باستاذنا - دقة الترجمة ورصانة الأسلوب، فاثرنا أن نقدمه كما هو ولم ندخل عليه سوى
تقديرات طفيفة (المترجم).

فقال له الناس :

- حسناً تفعل

فأمر بحبر وورق، وكتب رسالة إلى ثيف يقول فيها :

- لقد كنت دائمًا حليقًا لكم، والآن جهزت الجيوش وجمعتها كي تقضي على هذا الساحر الكذاب محمد بن عبد الله ، فتعالوا لمساعدتي يا بني عروة

فلما وصلت الرسالة إلى عروة، وأدرك أن الجيوش والأجناد قد حُشدت أمر بجمع قواته فجاءه أربعة آلاف فارس وقالوا له :

- أيها السيد، ماذا حدث لك ؟

قال لهم:

- يا أصحابي ، وصلتني رسالة من مالك بن عم عوف الانصارى يطلب مني ومنكم العون ضد محمد بن عبد الله، وأنا أقول إن محمداً معانٍ وغالب، وهو لا يضر ولا يضار، لكنه يحارب من يقاتله ويحطمه ويأخذ أرضه، فمشورتى أن تتظلو ساكين.

فأجابه قومه وقالوا له :

- وكيف يصير الأمر؟ إن كل قبائل العرب ستتمضى في عونه، ولو لم نذهب نحن لقاتل العرب إننا تخلفنا خوفاً من محمد.

قال لهم عروة :

- يا قوم، مادامت هذه رغبتكم فعليكم أولاً بتقوية حصونكم كي تضعوا فيها أمتعتكم ونساءكم وأبنائكم.

قال الراوى إنهم تركوا من يعمل على تقوية حصونهم، وكان لهؤلاء القوم قلاع وحصون شديدة.

وعندئذ أمر عروة بإعداد السلاح والخيل ، وساروا إلى حيث كان مالك. فلما رأى مالك عروة وقومه فرح فرحاً عظيماً وأمر بأن تزور لهم النبات العديدة، وتتوفر لهم اللحوم والأطعمة من كل نوع والمشروبات الكثيرة، فأكلوا وشربوا حتى ثملوا.

وقال مالك :

- كيف ترضي أن يقضى علينا محمد بهؤلاء الناس .

وجاء إبليس يرتدي دثار نعام ويتفاخر بقطاعين للرأس أحدهما أصفر والأخر أشهب، ويمتطي فرساً يصعد أكثر من غيره، ويتكلم وهو يبكي قائلاً :

- يا قوم، دعوا المتع والترف واحملوا جميعاً أسلحتكم حتى لا تفقدوا شرفكم .

فلما سمع الناس قول إبليس لعنه الله قالوا له :

- ومن أين أتيت ياشيخ؟

قال لهم :

- جئت من مكة .

قالوا له :

- وماذا فعل بها محمد؟

قال :

- دخلها بقوة السلاح ، واللات والعزى لقد حطم جميع الأصنام .

وقالوا له:

- ياشيخ ، وماذا فعل مع هُبَيل؟

قال :

- حطم جوانبه وأجزاءه كلها، وقذف به مكسوباً على الأرض، وداسه برجليه فركلة وقذفه إلى أرض الصفا حتى يفتته الكبار والصغار.

فقالوا له :

- وماذا فعل بأساف ونائلة؟

(وكان هذان رجلاً وامرأة ارتكبا الزنا في البيت العتيق فأحالهما الله حجرًا صلداً، وكانت قريش تعبدهما من دون الله) .

قال :

- حطمها كلها تحت أقدامه.

قال الراوى: فصاح مالك فى جنوده، وأمر بإعداد السلاح والخيل، فلم يعد يسمع إلا الصياح وصهيل الخيل وبريق السلاح والرماح والسيوف والمقافر، فعجب مالك من شدة ضجيج القوم.

وكانوا يقولون :

- هيا إلى متابع محمد، سنتقسمه فيما بيننا .

وسار رجال هوازن مع ثقيف، تعقبهم النساء والأطفال والإبل والشاة وكل ما يملكون.

وكلما صهلت خيول هوازن وثقيف ارتفع ضجيج الكثائب وانتشر الغبار الكثيف كأنه السحاب ، ولم يتوقفوا عن السير حتى وصلوا إلى نهر طون وأقام الناس هناك. وكان يقيم هناك في هذا الوادي دريد بن ثابت، وهو من الكفار.

فدخلت امرأة من الجيش بيت دريد وهي تحمل في ذراعيها طفلًا يبكي، وكانت هي أيضًا تبكي.

فقال لها دريد :

- يا امرأة إلى أين تذهبين؟

قالت المرأة :

- ألا ترى هذا الجيش؟

فنهض دريد، وذهب إلى الجيش وقال :

- يا قوم، مالى أرى لكم ضجيجاً شديداً ورغاءً وصهيلاً؟

قالوا له :

- يا دريد ، مالك ساكتاً هكذا؟ هذه هي الجيوش التي نزلت هنا كى تحارب محمداً بن عبد الله.

قال دريد :

- ويل لي ، أطعوني سلاحى وفرسى .
فأحضروا له فرسه ، وكان ضعيف البصر ، فركب وذهب إلى جماعة مالك بن عوف .
فلما رأه مالك نزع سيفه سروراً وفرحاً ، وقال له دريد :

- يا مالك ، أى جيش هذا ؟

قال له مالك :

- الجيش الذى جمعته لاحارب محمدًا بن عبد الله .

فقال دريد :

- مالى أراك قد أحضرت النساء والأطفال والأموال فى جيشه ، أليس من الأفضل إحضار المحاربين بالسيف والقوس والرمي ؟ إن هذا أحب إلى يا مالك ، فلو دارت علينا الدائرة كانت الأموال لحمد وأصحابه .

قال مالك :

- واللات والعزى عندما نلقى بفرساننا ومشاتنا ويروا نساعنا فسيصيهم الحزن
وسيرون الموتى في الأرض ويستكون الهزيمة لحمد .

قال دريد :

- واللات والعزى للسوائم التي ترعى في الجبال أعلم بذلك ، وللبلبل التي تُساق مع الماشية أحكم بذلك . أفتاتي لتحارب محمدًا بها وبالنساء والأطفال ؟
وكانت جيوش مالك معسكرة على نهر طون ، ولم يكن النبي محمد ﷺ يعرف ذلك .
حينئذ جاء أعرابي إلى النبي محمد ﷺ على فرس ، ووصل إلى مكة ، ونزل من على حصانه وربطه ، وذهب للنبي ﷺ وقال له :

- السلام عليكم يا رسول الله .

قال النبي محمد ﷺ :

- السلام على من اتبع الهدى و خاف عاقبة الشر والضلال.

قال الأعرابي :

- يا محمد، جئت لأحضرك وأنصلحك، فتقبل مني.

قال رسول الله :

- ما هي نصيحتك يا أعرابي؟

قال الأعرابي :

- يا محمد، لقد رأيت هنا أصحاب مالك من هوازن وتقيف، اجتمعوا على نهر طون بثلاثين ألف فارس ورماجل، وأقسموا على أن يحطموك في مكة ويعيدوا صنم هبل إلى مكانه.

قال رسول الله :

- ومتى يكون هذا يا أعرابي، فإن الذي رأيًّا هو عالم الغيوب والمطلع على الأسرار جميعاً.

قال الأعرابي :

- يا محمد، انظر إلى هنا بين يديك، فلو كنت أكب لقطعن رأسي، ولو كنت أقول الحق فحسبني ذلك من شرف هذه الدنيا.

قال (الراوى): وبينما كان النبي يتحاور معه نزل جبريل عليه السلام وقال له:

- يا محمد، إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إن الأعرابي يخبرك بالصدق، والله يأمرك أن تخرج إليهم.

عندئذ بادر النبي عليه السلام، ويرفقة مجموعة من صحابته ، ورفع راية من مدينة مكة وصالح قائلًا :

- أين أنس بن مالك ؟ أين سلمان الفارسي ؟ أين صفهيب ؟ أين بلال بن حمامة ؟

فأجابوه جميعاً :

- لبيك يا رسول الله .

فقال لهم النبي عليه السلام :

- اخرجوا يرحمكم الله إلى أحياء مكة وقولوا: أين المهاجرين والأنصار ؟ أجيروا
نبيكم عليه السلام (للأمر) الذي جاءه من قبل الله تعالى .

فنادى المؤذنون وجاء الناس من كل صوب واجتمعوا كلهم، وصعد النبي على
مضبة من الأرض، وألقى خطبة جامعة، فحمد الله حمدًا كثيرًا ثم قال :

- أيها الناس، رحمة الله، هؤلاء هم هوانن وثقيف، أخبرني الله ربى أنهم قد
جمعوا ثلاثين ألف فارس ورجل في وادي طون، والله يأمرني بالخروج إليهم فقد
أسمعوا على هدم مكة. فماذا تقولون رحمة الله؟

قال المسلمون :

- مشورتنا هي مشورتك، ورغبتنا هي طاعة الله وطاعتكم يا رسول الله.

فطلب لهم المثلية على ذلك ووعدهم بالفوز والخير العميم.

ثم أمر النبي عليه السلام أن يجتمعوا للرحيل ثم نادى على بن أبي طالب وقال:

- يا قوم، من كان منكم مريضاً أو جريحاً فلا يخرج إلى هذه المعركة التي
سيكون شأنها عظيماً.

فأجابه رجل يدعى ابن سفيان وقال له :

- يا على، كيف ت يريد أن تهزأ بالرجال وتتوهن عزيمتنا وتحط من قدرنا؟

فاغتاظ على من جواب ابن سفيان، وسل على سيفه وسل أبو سفيان سيفه ،
وحمل كل منهما على الآخر، فدخل النبي عليه السلام بينهما، ووضع يده اليمنى على
سيف على واليسرى على سيف أبي سفيان، وجعلهما يتعانقان فأطلاعاً أمره.

وعندئذٍ خرج النبي (عليه السلام) من مكة وسار في اثنى عشر ألف من جنوده، وأمر النبي بأن يحضرها راية، وأعطها لحباس بن مرادس، فأخذها في يده وألقى أبياتاً من الشعر، ثم أمر براية أخرى وأعطها لعمه العباس بن عبد المطلب، فأخذها وسار بها حتى جلس في مكانه، ثم أخذ راية أخرى وأعطها لأبي عبيدة بن الجراح، وأخذ راية أخرى وسلمها لسماك بن... (؟)، وأمر براية أخرى وأعطها للزبير بن العوام، ثم أمر براية أخرى وأعطها لعبد الرحمن بن عوف، وأمر براية أخرى وأعطها لأبي بكر الصديق. ثم أمر برايتين وأعطاهما لعلى بن أبي طالب فسار بهما، وسار معه بنو هاشم.

وأخذ النصر بن ثابت زمام ناقة النبي عليه السلام، وطلب النبي من عمه العباس أن يسير ويهدى بطريق الجلدان (؟) وعلى هذا النهر كانت هناك شجرة عظيمة، وكانت قريش تعظم هذه الشجرة وتتحر لها الذبائح الكثيرة من مواشيهما، فلما مرروا بها ورأواها سجد لها بعض أهل قريش، عندئذٍ قال النبي محمد:

- سبحان الله، عندما كنتم كفاراً كنتم تذهبون إلى الحرب تسوقون اللات والعزي والآن تذهبون إلى الحرب مع الله ورسوله، ولكن المغفرة والثواب العظيم.

حيث قالوا :

- يا رسول الله ، ادع الله لنا أن يغفر ذنبينا، فائت تعلم قُرب عهتنا بالإيمان والإسلام.

وسار النبي محمد ﷺ مع قواته، ورأى أن الفرسان يتدافعون إلى المؤخرة ويتلacon جماعات، فنادى فيهم النبي ﷺ وقال :

- ما هذا الذي تتدافعون عنه يرحمكم الله؟

قالوا له:

- يا رسول الله .. ثعبان ضخم يغطي كل الوادي.

قال النبي محمد ﷺ :

- أفسحوا لي مكاناً حتى أراه كله.

فَلَمَّا رَأَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَلَسَ عَلَى ذَنْبِهِ، فَنَادَى قَائِلًا :

- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَرَدَ النَّبِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَقَالَ :

- السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ وَخَشِيَّ عَاقِبَةَ الشَّرِّ وَالْفَسَالِ. قُلْ لِي يَا ثَعَبَانَ، أَوْ أَنْتَ مِنَ الْجِنِّ أَوْ مِنَ الْحَيَّوَانِ؟

قَالَ :

- أَنَا مِنَ الْجِنِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ حَتَّى يَوْمَ الْحُشْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّتْ لِأَسْاعِدُكَ فِي صَاحِبَةِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ جَنِّي.

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- عَدْ وَانْصَتْ لِمَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ.

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- وَأَيْنَ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ مِنْ أَصْحَابِكَ؟

(قَالَ الرَّاوِي) فَأَشَارَ إِلَى جَوْفِ الْوَادِي أَمَامَهُ.

فَالْتَّفَتَ النَّبِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

- أُوتُرُونَ شَيْئًا يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ؟

قَالُوا :

- نَعَمْ، لَقَدْ رَأَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ شَيْئًا مِثْلَ الدُّخَانِ الْأَخْضَرِ.

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- ابْتَعِدُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ أَيْهَا الْجِنِّ.

فَانْحَرَفُوا عَنِ الطَّرِيقِ، وَاسْتَنْقَفُوا السَّيْرِ.

وَرَأَوْا الْكُفَّارَ وَقَدْ اتَّقْلَوْا إِلَى نَهْرِ طَوْنَ (؟) وَأَقَامُوا فِي بَدْرٍ وَحَنْدِينَ. عِنْدَنَذِنْ نَادَى مَالِكٌ عَلَى فَرْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَمْرَهُمْ بِأَنْ يَكْرُوا عَلَى صَحَابَةِ مُحَمَّدٍ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِمْ

وينوا كأنهم قطيع ضخم من السوانم. فلما رأوا جيش النبي ﷺ عادوا إلى كتابتهم وقالوا لهم :

- ويلكم ، واللات والعزى لقد جاءكم محمد في جيش هائل من المشاة والفرسان.

فلما سمعوا ذلك وقع بينهم الصياح ، وكان رجل منهم قد دخل في جيش محمد، ورأى أن محمدا ... (بياض في الأصل) .

فأمر النبي ﷺ قومه بأن يتقدموا. فلما رأى مالك ذلك قال لقومه:

- أى شيء جعلكم تخافون وتفرعون؟

قالوا له :

- يا مالك، خوفاً من أصحاب محمد، واللات والعزى لو وصلوا إلينا ما بقي منها صغير ولا كبير.

عندئذ نادى مالك على عبد أسود كان عنده، وكان عظيم العلم شديد الفهم والفضلة، وقال له :

- يا غلام ، تعال معن نصعد إلى قمة هذه الهضبة.

فتصعدا ، وقال له مالك :

- يا غلام، انظر إلى هذا الجيش ، وانظر ما ترى فيه.

فنظر وقال :

- أرى رجلاً عريضاً الجبهة، وفي يده راية صفراء.

قال مالك :

- أنت تعرفه؟

قال :

- لا.

قال :

- هذا هو العباس بن مرادس السلمي.

قال الغلام :

- أرى رجلاً معه راية سوداء وثيابه سوداء.

قال مالك :

- هذا هو العباس بن عبد المطلب.

وأضاف قوله :

- أرى رجلاً معه راية صفراء، وثيابه حمراء ضاربة إلى الشقرة من بينهم جميعاً.

قال مالك :

- هذا هو الأقرع بن حابس.

وأضاف قوله :

- أرى فارساً يلبس ثياباً بيضاء ومعه راية بيضاء.

قال :

- هذا هو عبد الله بن راحلة

وأضاف قوله :

- أرى فارساً ومعه راية بيضاء وزرقاء وملابس زرقاء وعمامة زرقاء.

قال مالك :

- هذا هو مقداد بن الأسود الكندي.

وأضاف قوله :

- أرى فارساً طويلاً ، عظيم الهيئة، عريض المنكبين، ضخم العظام ومعه رايتان.

قال مالك :

- هذا الفارس هو على بن أبي طالب.

أردف قائلاً :

- أرى في قلب الجيش فارساً ليس بالطويل ولا بالقصير، أبيض، شعره يلمع مثل ضوء الشمس وتنتظر إليه الكتاب كلها.

قال مالك :

- هذا هو محمد بن عبد الله الهاشم الأكبر وغالب أبطالنا ، نبي هؤلاء القوم .

قال :

- هيا بنا إلى جيشنا فقد عرفنا أمرهم.

وعادوا إلى دريد وإلى أصحابهما، وقال لهم مالك :

- يا قوم، لا تخافوا منهم، فهذا هو محمد بن عبد الله جاء في اثنى عشر ألفاً من الفرسان ونحن ثلاثة ألفاً، ولن تقلبوا - وأنتم الكثرة - من القلة.

قال ناظم هذه الروايات، وتأهبت الجيوش وجهاً لوجه واصطفت الفرق، وتجهزوا بأسلحتهم، وصويبوا نوازيرهم، وشدوا لجم خيلهم ، وشرعوا رماحهم، واستعدوا للنزال، فتقديم الشرفاء، وتراجع الدهماء، وأنظهر الأبطال والفرسان زهورهم، واشتعلت حرارة الشمس وحمر الصميج بين الكتاب، فانبهر الفرسان والمشاة للطنين، وثار النقع الكثيف، وتعالت الأهات والصرخات حتى كاد غبار المعركة أن يحجب الشمس، وحيثئر صاح إبليس لعنه الله:

- مات محمد بن عبد الله.

فوقع وقر ذلك في قلوب المسلمين وعلى أسمائهم واشتتد بهم الفزع وفروا هاربين حتى لم يبق أمام النبي محمد صلوات الله عليه وسلم سداً عشرة من أصحابه.

قال ابن العباس (٤) :

- سبحان الله، والله لم أر من قبل مثل شجاعة النبي (عليه السلام). في هذا اليوم رمى بالعصابة من فوق رأسه وحمل على المشركين فأخذنا يفرون أمامه حتى يهونون في وادي حنين فيسقطون من الجبل وتندق رؤوسهم أمامه كما لو كانوا حصى يقع من السماء.

ثم عاد إلى صنابته، فلم يجد سوى عشرة منهم فقال للعباس:

- اهـ حد إلى الجبل، وناد المسلمين.

قال العباس :

- يا ابن عم (٥) وإلى أين يصل صوتي؟ فالناس قد هربوا في الوبيان والسفوح.

قال النبي عليه السلام :

- نادهم يا عم، فالله سيرفع صوتك.

فصعد العباس إلى الجبل ونادى وقال :

- إلى أين تذهبون يا صحابة محمد، الزموا نبيكم، فهو حي لم يمت، ارجعوا، ارجعوا إلى المعركة يرحمكم الله.

فسمع المسلمون صوت العباس، وعادوا إلى النبي عليه السلام.

وقالوا له :

- يا رسول الله، أدع الله لنا كي يغفر هذا الذنب، فالشيطان قد صرخ علينا، ومضينا مذعورين.

فدعى النبي ص لهم ثم طلب النبي (عليه السلام) علياً بن أبي طالب فقال :

(٤) لاحظ أن المدرسكي يخلط بين العباس عم النبي (ص) وابن عباس راوي الحديث. (المترجم).

(٥) هذا دليل آخر على الخلط : فالعباس عم النبي ومع ذلك يخاطبه بكلمة يا ابن عم. (المترجم).

- سبحان الله، وأين على رضى الله عنه فهو الذى لا يُغلب؟ والله بكل شيء علیم.

عندئذ نزل جبريل (عليه السلام) وقال :

- يا رسول الله، إن الله يأمر أن تصعد إلى الجبل وتنظر إلى ابن عمك على بن أبي طالب.

قال (الراوى) فصعد النبي ﷺ ونظر فرأه يقاتل الكفار بيده اليمين وبيده اليسرى ويسوقهم كالشياه أمامه فيتوزعهم الوادي عن يمينه ويساره.

وقال جبريل:

- يا محمد، إن الملائكة في السماء يُعجبون بعلی (*).

فتبعد النبي ﷺ ووجد هناك بحراً من الدم حوله فنظر إليه فرأى به سبعين جرحاً، فأخذ النبي ﷺ قدحاً من الماء، ومر بيده المباركة على الجراح فشفّيت بإذن الله وفضله.

قال (الراوى) ثم خرج من بينهم فارس يُسمى ذا الخمار وكان بطلاً صنديداً قوياً، فوقف في متصف الميدان كأنه وحش كاسر يطلب النزال وينشد الأشعار فخرج للقائه مسلم يُسمى زيد بن عمر، فشد كل منهما على صاحبه وجراحاً بضربيتين، ثم ضربه تو الخمار ضربة طرحته على الأرض فسقط ميتاً وسارع الله بروحه إلى الجنة ثم وقف بين الفريقين وقال :

- هل من يخرج إلى؟

فلم يجده أحد.

عندئذ قال تو الخمار :

- يا محمد، أين فرسانك وشجعانك ونحو الشأن من قومك؟ أين الليث الغاضب على بن أبي طالب؟

(*) الأدب الموريسكي حافل بالإشارات إلى بطولات على بن أبي طالب رضى الله عنه ، وينسب مسلمو الأندلس المؤمنين إلى على بطولات خارقة ، فهم يقولون إنه - حتى الآن - يعيش إلى الحياة لكي يحارب في صفوف المسلمين (المترجم) .

قال النبي ﷺ :

- يا علي، أتحب أن تخرج إلى هذا الفارس؟

قال :

- أجل يا رسول الله.

فخرج إليه علي وهو يقول :

- اللهم إني أتقى الكفر باسمك وقدرتك، وأعوذ بك من الخوف والفزع عند لقاء الأبطال.

ولما رأه ذو الخمار عرفه وقال له :

- يا علي، لكم اعتاد فؤادك الضرب والطعن. لقد خرجت منتصراً في معارك كثيرة، والآن تستحث فؤادك وفؤاد محمد بن عبد الله المصraعي، فأنْت بكل قوتك فإنك لم تحارب فارساً من قبل مثل من يقف أمامك.

وعندئذ حمل كل منهما على الآخر، وتصارعاً زماناً طويلاً، وتعلقت بهما أبصار الفريقين. فرأوا علياً وقد علاه بضررية شطرته نصفين، فبتر السيف الفارس والفرس وأنغرس في الأرض فشقها شقاً عميقاً، وسارع الله بروحه إلى جهنم.

وصاح على :

- الله أكبر.

فهتف المسلمون جميعاً :

- الله أكبر.

وبتبعوا علياً وهو يشتند على الكفار حتى كروا راجعين، وتفرقوا أشتناً، وقتل في نهر طون خلائق كثيرة، ووقع في الأسر كثيرون. وكانت تكبيرات المسلمين وتكبيرات الملائكة عجباً لمن يسمعها. وأمسك العباس بشخص معصوب بعصابة من الدبياج الأخضر، وقال :

- والله لقد حسبتها لفتاة ، فحملتها لأقدمها للنبي عليه السلام، فتقدم إلى فارس من فرسان المسلمين وقال لى :

- يا عباس، من صاحب هذه العصابة؟

فقال له :

- أظلنها لإحدى الجواري.

قال له :

- بئسما حسيت يا عباس، فلو كان هو إبليس الشيطان الرجيم وحل الظلام مع سواد الليل فربما انطلق ومس بالشر بعض المسلمين.

عندئذ جعله يكتشف عن نفسه، فإذا به دريد الملعون، وكان دريد هذا عدوًّا لحمد علیه السلام ، فقال العباس :

- أنت دريد يا عدو الله وعدو رسوله؟

وسل العباس السيف وضرب دريداً، غير أنه كان محسناً بالسلاح والحديد فلم يبلغ منه السيف شيئاً، ففك العباس مغفره وقطع رأسه وحملها إلى النبي علیه السلام و قال له :

- يا رسول الله، ها هي ذي رأس دريد الملعون.

فرح النبي (عليه السلام) فرحاً عظيماً، وأمر بإحضار الأمة والفنان والإبل، وأعطي لكل قائد مائة جمل، وأعطي المسلمين قسمتهم، ولعائشة جاريتين، ورجع النبي (عليه السلام) إلى المدينة فرحاً مظفراً متتصراً على الكفار ناشراً للإسلام.

وهنا تنتهي غزوة النبي محمد علیه السلام ضد مالك بن عوف الانصارى ببركة من الله تعالى رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الكريم (٤) .

(٤) من المعلوم أن الأدب الأخubiاني يختلط فيه الواقع بالخيال . هذا ما يفسر كون النص هنا يجمع بين غزوة بدر وحنين كما لو كانتا غزوة واحدة ، ويفسر أيضاً وجود عدد من المشاهد التي أرجح بها خيال المؤلف (المترجم) .

الهواش

(١) الأدب الألخمياني هو الأدب المكتوب باللغة الإسبانية أو البرتغالية أو القطلونية ويحروف عربية. كتبه موريسكيون على مدى القرنين من الرابع عشر إلى السادس عشر.

Gaudifory-Demombines: Mahoma, México, 1960, pp. 142 y sigs. (٢)

شعائر الموريسكيين الدينية

نستوحى وصف عدة شعائر من ملحق كتاب "الموريسكيون الإسبان وطردهم لبوروئات إى باراتشينا"^(١) وعنوان الملحق هو "شعائر المسلمين التي يؤديها الموريسكيون". والشعار التي نصفها هنا هي الشعائر الإسلامية الأساسية كما كان يؤديها الموريسكيون الإسبان والتي ترد تسميتها في مذكرات الاتهام المقدمة إلى محاكم التفتيش^(٢).

الظهور:

لكي يؤدى الظهور كان الموريسكي يتجرد من ملابسه تماماً ويوضع إياته فيه ماء ساخن وصابون ويغسل جسده كله ثم يفرغ الماء ويضع ماء آخر نظيفاً مكانه. يدخل المسلم يديه ويقول: « الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد لك أمام وجه الله »، وبهذه الطريقة يغسل كل أعضاء جسمه مبتداً بالرأس حتى ينتهي عند القدمين وهو يردد نفس الكلمات عند غسل كل عضو. بعد ذلك يجلس المسلم بجوار الإناء، ويأخذ الماء بكلتا يديه ثلاثة مرات ويلقى الماء على كتفه الأيمن ثم يضع يده اليمنى على كتفه الأيمن واليد اليسرى تحت ذراعه الأيسر(الأيمن؟) بحيث تلقى اليدان عند الظهر، وإذا لم تلقيا يأخذ عصا صغيرة لكي تلقيا وعند التقاء اليدين يقول:

«اللهم صل روحي بالجنة» ثم يضع الماء بكلتا يديه على كتفه الأيسر ثلاثة، ثم يضع الماء على كتفه الأيمن ثلاثة بحيث يصل المجموع إلى تسعة، بعد ذلك يرتدي قميصاً وملابس نظيفة.

الموضوع:

لكى يتوضأ المسلم يأخذ دورقاً من الماء النظيف البارد ويغسل يديه ثلاثاً، وفي كل مرة يقول : « اللهم نظف يدى عن أخذ الحرام، أنظفها لكى أؤكد وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » وبعد غسل اليدين يغسل عورته ويقول : اللهم نظف عورتى من الحرام ، ثم يربت على الماء بكفيه ثلاثاً ويعود إلى غسل اليدين ثلاث مرات مریداً نفس الدعاء ، بعد ذلك يتمضمض ثلاثاً ويقول: « اللهم اجعل أول وأخر كلامي لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، بعد ذلك يستتشق ويقول : « اللهم اجعل أنفى تشم رائحة الجنة » ، ثم يغسل وجهه ثلاثاً ويقول: « اللهم أثر وجهي كالبدر، ولا تسوده كما تسود وجوه الكافرين. أثر وجهي كما تضي وجه أحبائك. أمين » . بعد ذلك يغسل الذراع الأيمن حتى المرقوق ويقول : « اللهم أعطنى كتابي بيميني . أمين يا الله » . بعد ذلك يغسل الذراع الأيسر ويردد نفس الدعاء ثم يغسل الرأس حتى القفا وهو يقول : « اللهم ضع رأسي في الجنة... » ، بعد ذلك يغسل الأنفين لكى تسمعا القرآن في الجنة، ثم يغسل الرقبة ثلاثاً ويقول : « اللهم اعتق رقبتي من النار . أمين يا الله » ، بعد ذلك يغسل قدميه ثلاثاً اليمنى ثم اليسرى وهو يقول: « اللهم ثبت قدمى اليمنى على الصراط وألا تزل كما تزل أقدام الكافرين، بل أمر على الصراط كما يمر البرق، وأشهد بكلمة الحق أنه لا إله إلا الله لم يمت ولن يموت ولا شبيه له إلا محمد عبده ورسوله جاء بشريعة الحق. أمين يا الله » ، ثم يقول نفس ذلك عند غسل القدم اليسرى (*). يقول المسلمين إن هناك طريقاً يمر فوق الجحيم ويسمى الصراط وإنه رقيق كالشعرة.

الصلاه:

هناك صلاة تسمى صلاة (الصبيح) . يضع الشخص ملامة على الأرض ويقف عليها حافى القدمين ويوضع كفته يديه على وجهه ويقول ثلاث مرات (حى) على الصلاة (حى) على الفلاح « نشهد أن لا إله إلا الله » ثم يوجه يديه ناحية الأرض ويقول

(*) النص الإسباني مشئ إلى أقصى حد، ولابد أن برويات هو الذي شوه النص، وقد التزمت غالباً أرياناً بتقليل نص برويات دون أن تعلق عليه إلا في مواضع محددة (المترجم) .

« الله أكبير، الشكر يا الله، أى الحمد لله » ثم يقول « اللهم أرجوك بفضلك ورحمتك أن تغفر لي ولوالدى، وأن تتقبل مني صلاة الشكر هذه كما تتقبلها من عبادك الصالحين ومهن يشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أمين يا الله ». بعد ذلك يعود إلى إسدال اليدين بحيث تكون الكفتان ناحية الأرض ويقول « الله أكبير ». بعد ذلك يضع اليدين على الفخذين ويقول: « الحمد لله رب العالمين، الرحمن ». بعد ذلك يضع اليدين على الفخذين ويقول: « قل هو الله أحد، الله الصمد »، ثم يضع وجهه على الأرض فوق الملامة ويردد ثلاثاً « اللهم اغفر لي برحمتك ». بعد ذلك يقف مرة أخرى ويسجد مرة أخرى ثم يجلس على ركبتيه ويقول: « التحيات لله، الزكيات لله »، ثم ينظر ناحية اليمين ويقول: « السلام... ». هذه الصلاة تؤدى عند شروق الشمس (*).

صلاة الظهر:

تؤدى صلاة الظهر في منتصف النهار وهي من أربع ركعات يقال فيها:
« الحمد لله » أربع مرات، وتؤدى مثل الصلاة السابقة وبنفس الكلمات المذكورة .

صلاة العصر:

تؤدى هذه الصلاة بنفس الحركات والكلمات المذكورة، دائمًا تؤدى الصلاة والإنسان متوجه إلى القبلة ، وهو المكان الذي تخرج منه الشمس ، بعد ثلاثة ساعات من طلوع الشمس في الشتاء.

صلاة الأخيرة:

تؤدى بعد صلاة العصر في الساعة الرابعة مساءً بنفس الأركان إلا أنها ثلاثة ركعات؛ والرکعة هي خفض ورفع الرأس.

(*) نفس الملاحظة السابقة. على من يريد الوقوف على كيفية أداء المؤرسكين لشعائر الدين الإسلامي، عليه مطالعة كتاب بدر لونفاس، وهو يستند إلى مخطوطات المؤرسكين في معظم الأحوال. (المترجم) .

صلاة العتمة:

تؤدى هذه الصلاة في الليل، وهي أربع ركعات على التحو الموضع سابقاً

صلوة (الوتر) Tabalquet:

وهي تؤدى بعد كل الصلوات وينفس الطريقة وبها تنتهي صلوات اليوم ، وإنما كان هناك أشخاص كثيرون يقفون في صفوف ويؤدونها جماعة.

صيام رمضان:

ومدته ثلاثون يوماً، لا يأكل المسلم خلال اليوم إلا في الليل عند بزوغ النجم ، وفي كل ليلة يتسرح المسلم ، فيأكل بقية ما خلفه في أكل الليل. يأكل قبل الفجر ويفسّل فمه ويؤدي الصلاة، ويتطهر المسلم قبل بدء رمضان. يبدأ الصوم برؤية الهلال وينتهي برؤية الهلال. بعد ذلك ينتظر أحد عشر شهراً، والشهر الثاني عشر يكون هو رمضان^(٣) ، بحيث أن كل رمضان يبدأ قبل رمضان السابق له بنحو عشرة أيام ، إذ هكذا يكون حساب الأهلة.

بعد أن ينتهي شهر رمضان - ومدته ثلاثون يوماً - يحتفل المسلمون بعيد الفطر . وفي أول أيام العيد يقبل الآباء المسلمون يد أئبيه ويطلب منه أن يسامحه، والأباء يباركون الأبناء فيضعون أيديهم على رؤوسهم ويقولون « جعلك الله مؤمناً (أو مؤمنة) صالحًا (أو صالحة) » ، ويطلب كل مسلم من أخيه المغفرة قائلاً: « غفر الله لك ولدك » .

عيد الأضحى:

يُحتفل به في اليوم العاشر من الشهر الثالث بعد شهر رمضان ، ويصوم المسلمون الأيام العشرة التي تسبق العيد فلا يأكلون طوال اليوم حتى تخول الليل ويتسحرن في الفجر كما ذكرنا عندما تحدثنا عن رمضان. وللاحتفال بالعيد ينبع الموريسكي خروفاً على طريقة المسلمين. ويقول المسلمون إنهم يحتفلون بعيد الأضحى إحياء لشخصية إبراهيم بكبش بدلاً من ابنه.

الليلة الطيبة (*) :

بعد مرور ثمانية أشهر على عيد الأضحى وقبل حلول رمضان بشهر واحد يحتفل المسلمون بمناسبة يسمونها الليلة الطيبة يقولون إن الله يكتب فيها أسماء الذين سيموتون خلال هذا العام . ويؤدي المسلمون الطهارة والصلوة في تلك الليلة، ويقولون إن عليهم أداء مائة ركعة، في إحدى هذه الركعات يتلون سورة "الحمد لله" و "قل هو الله أحد" ، ثم «الحمد لله» .

ويعد الموضوع يجلس المسلم جلسة التشهد وينظر إلى ظله ، فإذا ظهر ظل أحدهم بلا رأس فمعنى ذلك أنه سيموت خلال هذا العام.

الجمعة :

يحتفل المسلمون بيوم الجمعة من كل أسبوع وإذا لم يتمكنوا من صلاة الجمعة لأنهم مراقبون فإنهم يؤجلون الصلاة ، ووقتها في الظهر .

الموئي :

يفسّل المسلمون موتهم أولاً ثم يكفنونهم في سبع قطع من القماش ثم يضعون شيئاً لتنطية العورة ، لأنهم يقولون إنه بدون الكفن لا يستطيع المسلم الوقوف أمام الله يوم القيمة، وعند التكفين يغطون الجسد كله.

ليلة القدر:

تقدي صلاة ليلة القدر بخمس عشرة ركعة وتؤدي النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأبنته فاطمة. ويكون ذلك بالنظر إلى الأرض ووضع اليدين على البطن وقراءة «إنا أعطيناك الكوثر».

(*) يعلم المسلم أنه ليست هناك مناسبة إسلامية بهذا الاسم، وإنما التأريخ الموضح هنا يشير إلى ليلة الإسراء والمعراج، ونظن أن تسميتها بهذا الاسم يعود إلى أثر مسيحي. (المترجم) .

سورة برب الفلق :

تقرأ سورة « برب الفلق » بوضع العينين والأيدي بالطريقة الموضحة سابقاً ، ويقول المسلم : « قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ». .

سورة برب الناس:

تقرأ «سورة برب الناس» بوضع العينين واليدين بالطريقة الموضحة سابقاً ، ويقول المسلم: «قل أعزك برب الناس». . بعد الانتهاء من هذه السور يسدد المسلم يديه ويقول : «نشهد أن لا إله إلا الله» . . بعد ذلك يخفض رأسه وجسده قائلاً: «نشهد أن لا إله إلا الله، الله أكبر». . بعد ذلك يعود إلى القيام ويردد نفس الكلمات. . بعد ذلك يجلس المسلم على ركبتيه فوق الملاعة ويقول : «اللهم إنك وعدت في القرآن الكريم أن تسمع من يدعوك، وأن تستجيب لمن يعبدك. أنا عبد من عبيدك وقفت ببابك أطلب الجنة لى وللوالدى والمؤمنين والمؤمنات ». .

الذكاء أو الذهن :

لا يأكل المسلم لحم حيوان مات مخنوّقاً ، لكنه يأكل مما ذبح . ولا تستطيع النساء أن تذبح فتحمل المرأة طيورها إلى رجل لكي يذبح لها . والرجل حين يذبح الطائر أو الحيوان يوجه وجهه إلى القبلة، ويخبر سنته قبل الذبح ويقول عند الذبح « بسم الله » .

النحو

يضع المسلم حبات من القمح والشعير وقطعها من الذهب والفضة في إناء ويصب عليها ماء ساخناً. يضع المولود وهو عارٍ فوق الإناء ويغمر جسده بالماء ثم يوضئه، ثم يلبسه ملابس نظيفة ويطلقان عليه اسمًا . بعد ذلك يضعان له غطاء رأس من الحرير، ويأخذ الموجدون في الحفل قطع قماش صغيرة ويسألون من يقوم ببطوره عن اسمه ويردد الآخرون الاسم، ثم يرفعون المولود جميعاً ويقولون بصوت عالٍ لى لى لى «

ويترعون عنه غطاء الرأس ويضعون كتاباً بالعربية على فم وأنف وعين المولود وهم يقولون : « جعلك الله مؤمناً صالحاً » .

بعد ذلك ينزعون الذهب والفضة من الإناء وتأخذهما امرأة وتلقي بالماء تحت سرير الأم وهي تضحك (لا يتواجد الرجال في هذا الحفل الذي يقام في اليوم السابع للولادة) .

الشهادة:

أى قول : « نشهد أن لا إله إلا الله » ، وهي كلمات يرددونها للمسلم الذي يموت لكي يحصل على الجائزة ويرثه الله ملك الحسنات.

الهـوـامـش

- (١) انظر المجلد الأول من، ٥٠٨ - ٥١٣
- (٢) الراية الأساسية عن أداء الوريسيكين لشعائر الإسلام هي كتاب بيدرو لوبيغاس "حياة الوريسيكين الدينية". وقد نشر غایاثقوس - في Memorial Histórico español, V - فصلاً لفقير سيفورينا عيسى بن جابر يتعلق بالأوامر والتواهي الأساسية في القرآن والسنّة. انظر أيضاً Credilla " : Ceremonias de moros que hacen los moriscos "، en Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos.

الاتهام والحكم في قضية نظرتها محكمة التفتيش ضد الموريسكي

فرانثيسكو دى اسبينوسا (كوبنكا عام ٦١ - ١٥٦٦)^(١)

فرانثيسكو دى اسبينوسا مسلم متصر حديثاً . عُرض أمره علينا نحن أعضاء محكمة التفتيش الخاصة بجرائم الإلحاد التي تقع في كوبنكا وسيغونينا وضواحيها .

.....

حضر أمامنا كل من ممثل الاتهام السيد سانتوس والمتهم فرانثيسكو دى اسبينوسا ، وهو مسلم متصر حديثاً من أهالى الإقليم .

وقد حضر ممثل الاتهام وقد اتهمه لفرانثيسكو اسبينوسا المذكور وقال إن المتهم كان مسيحيًا يتمتع بكل الامتيازات التي يتمتع بها المسيحيون الكاثوليك إذ أنهم يخافون ربنا وأمه المباركة العذراء ، لكنه ألد وسب عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة ، وسب ما نصت عليه كنيسة روما ، وارتكب جريمة الإلحاد هذه وتفوه بكلمات مشينة ومتافية للاحترام ، خاصة ما يلى :

١ - بما أن فرانثيسكو دى اسبينوسا المذكور كان مسلماً ثم تتصر وعمد وعمره عشرون سنة وأنه - بتأثير من طائفة محمد اللعينة التي كان يعتقد بها - قال وهو يشتكي زوجته إنه في أرض المسلمين يتزوج الإنسان خمس أو ست نساء فإذا غضب من واحدة ذهب إلى الأخرى ويقول هذه أحبها وتلك لا أحبها ، وأن المذكور كان يوافق عقيدة محمد التي تسمح للإنسان بالتزوج من نساء كثيرات.

٢ - وحيث أن المدعو فرانثيسكو دى اسبينوسا قد تحدث مع أشخاص آخرين عن الحرب التي كان المسيحيون سيخوضونها ضد المسلمين فقال إن هذه الحرب ضد

ال المسلمين لن تفيد شيئاً؛ لأن المسلمين أكثر عدداً من المسيحيين، ولأن كل مسيحي يذهب إلى الحرب يقابلها خمسة عشر مسلماً. قال ذلك وهو مسرور يضحك وسعيد.

٣ - وحيث أنه قد تربى على عقيدة المسلمين، وقد أثبت أنه تظهر منه الأخطاء التي تعلمها قبل أن يتم تعبيده إذ إنه حين كان يقول إن المسلمين قد انتصروا على المسيحيين. كان يقول ذلك وهو سعيد وكان يبدو من كلامه أنه مسرور لذلك وللنكسات التي حلت بال المسيحيين. (٢)

٤ - وحيث أنه استناداً إلى عقیدته الباطلة كان يقول - لمن يروى له إن سيدتنا العذراء قد أخرجت أحد الأسرى من أرض المسلمين - كان يرد «إنهم يدعون أن العذراء حررت الأسرى وهم يطلبون منها أن تخرج لهم كنوزاً لكي يدفعونها لمن يذلونهم » .

٥ - وحيث أن فرانشيسكو دي اسبيينوسا تحدث عن خسائر المسيحيين في الحروب ضد المسلمين فقال إنه كان يعلم بهذه الخسائر لأن نبومات القديس إيسيدoro لا يمكن أن تكذب (٣) .

٦ - وحيث أنه عندما كان بعض الناس يتحدثون عن شعائر المسلمين توجه المدعو اسبيينوسا إلى شخص من أصل مسلم كان يرافقه وقال له : « ... ذلك كنا نعرفه ». قال ذلك وهو مسرور، ويُفهم أنه كان يقصد الشعائر الإسلامية.

٧ - وحيث أنه عندما كان في مكان ما بيع فيه شراب وأحجار وقام شخص باختبار البضاعة ببيرة من المدعو اسبيينوسا وقال لشخص من أصل مسلم كان معه « الآخر » فرد الشخص الثاني « نعم نعم » وقد فهم شخص ثالث رأهما أن ذلك معناه مجوهرات محمد ، لأنه كان قدقرأ ذلك في تاريخ المسلمين (٤) .

٨ - وحيث أن المدعو اسبيينوسا عندما كان في أحد البيوت دخل شخص من أصل مسلم وقال إن المسلمين شرفاء، لم يرد عليه المدعو اسبيينوسا بل ارتبك . وقد فهم من رأوه أنه ارتبك لما علم أن من سمعه ليس على دينه .

وحيث أن المدعو اسبيينوسا عندما كان في زيارة شخص مريض من أصل مسلم قال له المريض: «أهلاً بالمسلم الطيب. لو أن السلطان التركي لديه جنود كثيرون من أمثال هذا المسلم لاستطاع أن يفعل الكثير»، فلم يعترض المدعو اسبيينوسا على الكلام الذي وجّه إليه.

٩ - وحيث أنه عندما كان يتحدث مع أشخاص قال «لدى قواطنا: الله والخنزير»، وأنه في مرة أخرى قال «لدى قواطنا: الله وأبنائي» .

١٠ - وحيث أنه كجاحد لنعم الله فإنه قال : «ليس لدى الكثير الذيأشكر الله عليه» وأنه رغم أن الله أعطاهم أشجار العنبر إلا أن أبناءه لا يريدون العمل.

١١ - وحيث أن المدعو اسبيينوسا كان موجوداً عندما كان أشخاص يقرءون في أحد الكتب أشياء عن محمد ودينه اللعين وخاصة كيف استطاع محمد أن يتسلط على أراضٍ كثيرة وأن اسبيينوسا لما سمعهم سرّ كثيراً .

١٢ - وحيث أنه عندما كان يتحدث مع أشخاص آخرين روى لهم أشياء عن دين محمد وقدم مدخلًا له وقال - فيما قال - إن المسلمين يسمون العذراء «مريم» وإنه إذا كان الله عظيماً وكريماً فكيف ترك نفسه لكي يصلبه أشخاص دينيون.

١٣ - وحيث أن اسبيينوسا كان يتحدث مع آخرين فقال لهم : لو لا محكمة التفتيش هذه لخرج الناس كلهم عن الكاثوليكية.

١٤ - وحيث أن المدعو اسبيينوسا عندما كان يتحدث مع آخرين سأله عمّا إذا كان للمسلمين صلوات، فطلب منهم أن يتركوه وأن الوقت ليس مناسباً للحديث عن ذلك، ولما كروا السؤال أجابهم « بكلمات عربية غير مفهومة» .

١٥ - وحيث أنه قد أهان هذه المحكمة وكذب عليها حين قال تارة إنه لا يعرف شيئاً عن دين محمد وتارة أخرى قال إنه يعرف.

١٦ - وحيث أنه كان من التواطئين مع الملاحدة ، إذ كان يعرفهم ولا يبلغ عنهم.

١٧ - وحيث أن اسبيينوسا في معرض الحديث عن حروب المسلمين ضد المسيحيين قال إنه سيحين الوقت الذي سيكون السعيد فيه هو من له قريب موريسكي

إذ سيتولى المسلمين الحكم في غرناطة وإن هناك منجم يقول إن الملك المسلم سيدخل غرناطة من الباب الذهبي، وسيستولي على كل الأرضين، وسيحرق عظام الملكة إيسابيل الكاثوليكية وإنه سينثر الرماد في الهواء^(٥). ولما قال شخص آخر « لا أراد الله أن تصلوا إلى ذلك » أجابه أسبينوسا « عندما يأتي المسلمين سيكون لمن له صديق موريسيكي حظ وافر ». قال ذلك بسرور بحيث يفهم من كلامه أنه يفرح لانتصار المسلمين وهزيمة المسيحيين الكاثوليك.

١٨ - وحيث أن أسبينوسا - المتعاطف مع دين محمد - قال إنه لا يغصب من يسميه موريسيكيا^(٦).

١٩ - وحيث أنه لما رمى شخص سهماً وقال : « انظروا ، هكذا أرمى المسلمين في الحرب » ورد عليه شخص قائلاً : « أنت مرهق ، استدعوا موريسيكية في الرابعة عشرة فهى أفضل رميأ أو أشد قوة » فلما سمع أسبينوسا هذا الحوار غضب وسبَّ الأخير قائلاً : « هل ربى الموريسيكى ابنته لكي يحضروها إلى هنا لتخدم ؟ » .

ولما كان أسبينوسا قد قال وفعل جرائم أخرى إلهادية ضد عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة - كما سيتضح عند نظر القضية - لذلك فإن ممثل الاتهام يطلب منا أن نأمر بمحاكمة المدعو فرانثيسكو دي أسبينوسا بكل قوة، وأن نعلن أنه ملحد وأنه متواطئ مع الملحدين؛ ولذلك فهو يقع تحت طائلة عقوبة الكفر الأكبر، وأن نصادر كل أملاكه، وأن نأمر بذلك اعتباراً من اليوم الذى ارتكب فيه هذه الجرائم، وأن نعلن أن أبناءه غير مؤهلين لتولي وظائف مدنية أو كنسية أو آية وظيفة عامة أو شرفية وفقاً لقوانين هذه المحكمة ، كما يطلب - بصفة خاصة - تطبيق أحكام القانون بشكلٍ تام.

ولما ثُبِّتَ على المدعو أسبينوسا مذكرة الاتهام هذه لكي يرد عليها قال إنها صحيحة، وذكر أنه اشتكتى من زوجته فقال: « إن فى بلاد المسلمين يتزوج الرجل من خمس أو ست زوجات فإذا غضب من واحدة ذهب إلى الأخرى، ويقول الرجل أحب هذه ولا أحب تلك » ، وأنه لما قال تلك الكلمات كان يعتقد أن الدين الذى يبيح الزواج من نساء كثيرات دين جيد. وذكر أنه قال أيضاً : إنه ليس من المفيد الذهاب إلى الحرب ضد المسلمين لأن المسلمين أكثر عدداً من المسيحيين، وإن هناك خمسة عشر مسلماً

مقابل كل مسيحي وإنه كان مسروداً وهو يقول ذلك. وذكر أنه قال أيضاً إن المسيحيين يدعون السيدة مريم لكي تخرج لهم الكنوز. وذكر أنه أثناء الحديث عن خسائر المسيحيين في الحروب ضد المسلمين قال : " كنت أعلم ذلك لأن نبووات القديس إيسيدرو لا يمكن أن تكون كاذبة، وهي تقول إنه ستكون هناك حروب ". وذكر أنه لا يعرف من اللغة العربية سوى « الحمد لله رب العالمين » وأنه لا يدرى معناها ^(٧) . وذكر أنه ليس لديه الكثير الذي يشكر الله عليه لأن الله أعطاه أشجار العنبر لكن أولاده لا يريدون الذهاب للعمل، وذكر أنه تحدث كثيراً عن دين محمد، وأنه قدم مدخلأً له وأنه قال إن المسلمين يسمون العذراء « مريم » وأنهم - أي المسلمين - يقولون إذا كان الله عظيماً وقوياً فكيف سمع لحالة البشر بأن يصلبواه وإن هذا ما كان يردده آباءه وأجداده. وذكر أنه قال إنه لو لا محكمة التفتيش لترك الناس الكاثوليكية.

ولما كنا قد رأينا أن المدعو فرانثيسكو دي اسبينوسا لا يعترف بالحقيقة كاملة فقد أمرنا بإعطائه نسخة من منكرة الاتهام هذه لعلها تساعده (على التذكرة)، وقد قرأتنا اعترافاته والاتهامات التي قدمت ضده، وقد أجاب وهو راض أنه يؤكد كل ما اعترف به وينكرباقي... وقد أعلنا الشهود وقدمنا صورة للمدعو فرانثيسكو دي اسبينوسا فاعترف بأنه تحدث مع شخص فساله ما هو أفضل ما كان لديك عندما كنت تعمل في نقل البضائع؟ أجاب اسبينوسا « كانت لدى قوادitan: إدahama الله الذي لا يرزقه طعاماً لأنبائه، والأخر أبناؤه فهم كثيرون » ، وذكر أنه كان يتتحدث مع شخص آخر عن حرب مستغانم ^(٨) فقال له « يجب ألا يفكّر المسيحيون في محاربة المسلمين... فلا يكفي العالم كله لمقاومتهم » وذكر اسبينوسا أنه ليست لديه أقوال أخرى يضيفها، وأنه يطلب المغفرة من الله ربنا، ويطلب منها أن تكون العقوبة تصاحبها الرحمة . وقد قال محامي المذكور إنه اعترف وقال الحقيقة، وإنه يتمسك بها وينكر أي شيء آخر، وإنه ليس لديه ما يضيفه إلى هذه الدعوى.

ولما كانت القضية على هذا النحو ، ولما كنا نرى أن المدعو اسبينوسا لم يعترف بعد بالحقيقة كاملة فيما يتعلق بما ذكره الاتهام وما شهد به عدد كبير من الشهود، الذين يرغبون في خلاص ثقفهم وفي ألا يظل هو حبيس جرانمه... لذلك فقد عدنا إلى تأثيره، وأفهمناه أنه من الضروري أن يعترف بالحقيقة. وقد تأثر المدعو فرانثيسكو دي

اسبيينوسا وأبدى رغبة طيبة وقال إنه يعترف بأنه كان مسلماً حتى اليوم، وإنه كان يعتقد أن الإسلام دين طيب، وإنه يدخل الجنة، وإن ذلك كان ما يجعل في صدره. وقال إنه رغم الذهاب مرات كثيرة لسماع الوعظ إلا أنه كان مسلماً. وقال إن ما ذكره الشهود حق وإنه كان يرى أنه سيدخل الجنة باتباع دين محمد كما أن المسيحيين سيدخلون الجنة باتباع دينهم، وقال إنه اعتباراً من اليوم سيلعن دين محمد وسيتصل منه؛ لأنه يفهم أنه دين سفيء وإنه يتآلم للإهانات التي وجهها إلى ربنا، وإنه يرجو ربنا أن يغفر له ذنبه، ويطلب منا الرحمة لأنه من الآن فصاعداً يريد أن يعيش ويموت على دين المسيح كمسيحي مخلص...رأينا كل ذلك كرجال قانون وأصحاب ضمائر سلية، وقد وضعنا الرب نصب أعيننا فهو الحكم الحق والعدل.

الحكم:

نظرنا في هذه القضية ورأينا أن مثل الاتهام قد وجّه اتهامه بشكل جيد، ورأينا أنه ثبت لدينا حُسن نيتها، وبينما عليه نعلن أن المدعو فرانثيسكو دي اسبيينوسا كان ملحداً؛ ولهذا فقد وقع تحت طائفة الحكم بالكفر الأكبر وتحت طائفة العقوبات الأخرى التي يُعاقب بها من يرتكب جريمة الإلحاد، ومنها مصادرة جميع ممتلكاته ، وهذا ما أمرنا به أن ينفذ اعتباراً من اليوم الذي ارتكب فيه المدعو هذه الجرائم؛ أي منذ ستين عاماً .

لكتنا نريد استعمال الرأفة معه وعدم تطبيق بنود القانون مراعاةً للاعتراضات التي صدرت منه أمامنا، والتي أبدى فيها التندم على الجرائم التي ارتكبها، وبينما على رغبته في التحول إلى عقیدتنا الكاثوليكية المقدسة وقوله إنه على استعداد لأى عقوبة تصدرها ضده.

ومadam المدعو فرانثيسكو دي اسبيينوسا سيتحول إلى عقیدتنا الكاثوليكية المقدسة بتقبّل خالص، وبإيمان لا شك فيه. وبما أنه اعترف بالحقيقة كاملة وقد قبلناها منه وقبلنا المصالحة وضمه إلى الكنيسة وإلى المؤمنين المسيحيين، فإننا نأمر بأن تكون عقوبته على جرائمها التي ارتكبها أن يخرج يوم الموكب مع المذنبين الآخرين بملابس صفراء عليها شارة ، وأن يتلقى عليه هذا الحكم، وأن يتنازل علينا عن الممارسات التي اعترف أمامنا

بها، وعن كل مظاهر الإلحاد. بعد إعلانه ذلك نعلن الصدق، ونلغي إعلان إلحاده. كما نأمر بسجنه، ويأن يرتدي لباس المذنبين فوق أى شيء يرتديه ، وأن يكون حبسه فى سجن هذه المدينة، وأن يذهب كل يوم أحد وكل عيد إلى الكنيسة لسماع الوعظ مع المذنبين الآخرين، وأن يذهب كل يوم سبت في موكب إلى كنيسة العذراء، وأن يصلى خمس مرات... كما نعلن عدم أهلية المذكور لتولي وظائف كنسية أو مدنية أو عامة أو شرفية، وعدم أهليته لحمل السلاح، ولا ركوب الخيل، ولا ارتداء الحرير أو التحلی بالذهب أو الفضة أو الأحجار الكريمة ولا بآى شيء محرم على فاقدى الأهلية طبقاً لقوانين المالك أو لقوانين محكمة التفتيش.

هذا ما نعلنه ونأمر به بناءً على توقيعنا

صدر في مدينة كوبنهاجن الخامس من شهر يوليه لعام ١٥٦٢

Archivo Diocesano de Cuenca, Leg. 218, num. 3670 (1)

(٢) يشعر المؤرخى أن بيته الحقيقة هي العالم الإسلامى. سعادة المؤرخى بانتصارات الأتراك كانت تشكل مادة اتهام مستمرة له.

(٢) فسر المسلمين والمسيحيون على السواء ثيوريات القديس إيسيدرو لصالحهم ، ففي كتاب *Prodiccion* على إسبانيا كلها فيقول: لقد تنبأ الكثيرون بذلك ، ومنهم القديس إيسيدرو الذي أساء المؤرسكيون تفسير

Guadalajara y Javier: *Prodición y destierro*, fol 72. (1)

(٥) كانت النبرات التي تتحدث عن استعادة السيطرة السياسية كثيرة. لاحظ أن فرانشيسكو أسيبنيوس لا يحاكم هنا بجريمة ضد الدين، بل بسبب أدائه السياسي ، بسبب شعبه ، مخالفاته ، المحسنين القدام.

(٤) يحاول اليهودي المتصر أن يتخلص من لقبه العائلي، وأن يندمج في المجتمع المسيحي ، أما المدرسكي فهو ينفي عائلته.

(٧) كان مدرس كهو قشالة شكل عام - عدا الواقفين من غنامته - بحملون اللغة العربية.

(٨) تعلم عروستياغانم على، سواحل العذاب، هي، المدقعة التي، انجزت فيها الإنسان، أيام الله ان عام ١٩٩٨ .

تنصير موريسيكيين فالنسيا

في الحروب التي دارت في فالنسيا بين السادة والجماعات كان الموريسيكيون - كتابع للسادة - يعتبرون سندًا للسادة ، ومن ثم كان المتمردون يطاردونهم مطاردة شديدة. كانت إحدى الوسائل التي اتبعها المتمردون هي تعميد المسلمين حتى لا يضطروا إلى لدفع الفرسان لسايدهم. ويروى أسكولانيو - في كتابه "عقود من تاريخ مدينة ومملكة فالنسيا" - يروى الأحداث على النحو التالي:

انتشر المتمردون في تلك القرى بحثاً عن المسلمين وعن سادتهم للقضاء على الجميع ، ولم يغفوا إلا عن المسلمين الذين كانوا يقبلون التعميد هرباً من الموت. كان أول من عددهم المتمردون هم أهالي غانديا كباراً وصغاراً: عذبوهم بالسعف المفعموس في ماء ساقية. قاموا بنفس الإجراء في كل قرى غانديا وأوليبا وماركيزية دينيا ، وكل القرى الأخرى حتى بولوب^(١).

كان موريسيكيو ذلك المكان - خوفاً من النهب والتعميد - قد احتموا بالقلعة الحصينة ، وبعد عدة أيام من المقاومة استسلموا بعد أن عاهدهم المتمردون ألا يتعرضوا لهم باذى إن هم قبلوا التعميد.

بناء على هذا العهد فتح الموريسيكيون الأبواب وقبلوا التعميد. وبعد أن تم التعميد قتل منهم المتمردون ستمائة دون مراعاة للعهد الذي أعطوه وقالوا: "هكذا نرسل الناس إلى الجنة، ونرسل التقدّم إلى الخزانة".

T. II, libro X, p. 690. Véase también García Cárcel y Ciscar Pallares : Moriscos y (1) agermanats ; Piles : Aspectos sociales de las Germanías de Valencia ; Danvilay Collado : Las Germanías de Valencia.

وبعد أن انتهت حروب الجماعات عاد المسلمين إلى دينهم. كانت القضية المطروحة أنتداب هى: هل كان التعميد صالحًا أم لا ؟ وما إذا كان من الواجب ترك المسلمين يعودون إلى دينهم.

فى عام ١٥٢٥ حسم كارلوس الخامس القضية حين قرر تنصير موريسكين فالنسيا ، وهو ما أدى إلى ثورات بفنواشيل وسيرا دى إسبادان . اعتباراً من ذلك التاريخ ستطرح للمناقشة بشكل واسع مسألة تعليم الموريسكين الدين الجديد الذى لا يعلمون عنه أى شئ .

**تعليم موريسيكيي فالنسيا العقيدة الكاثوليكية
القرارات التي اتخذتها اللجنة التي رأسها فرانشيسكو دى نابارا
بشأن تنصير الموريسيكيين عام ١٥٦١^(١)**

كانت البنود التي نوقشت بخصوص موريسيكيي فالنسيا هي :

- أن يقوم الأعضاء أو ممثوهم بزيارات كنسية، وأن يقوم بالزيارة في كل أسقفية منها حتى تنتهي الزيارات بسرعة، وأن يحملوا أثناء الزيارة رسائل من صاحب الجلالة إلى الأعيان بهدف تقديم التسهيلات لهم، وأن يقوم الموظفون الملكيون بمرافقة اللجنة حتى تتم الزيارة على النحو الأكمل ، وأن يجتمع في فالنسيا أو في مكان آخر مناسب كل من أسقف فالنسيا والقساؤسة الذين لديهم موريسيكيون، وأن تتم الزيارة بشكل رسمي.
- أن يحمل الممثلون أمراً بوعظ وإقناع الموريسيكيين بأن يعترفوا بذنوبهم، وأن يعاملوا بكل رحمة .
- أن ينبه الممثلون الموريسيكيين إلى أنه من الآن فصاعداً يجب لا يصلوا صلاة المسلمين ، وألا يصوموا رمضان ، وألا يختروا أبناءهم ، وألا يحتفلوا بالزفاف على الطريقة الموريسيكية ، وألا يقيموا أية احتفالات موريسيكية أخرى ، لأنهم إذا فعلوا غير ذلك ستتعاقبهم محكمة التفتيش بمقتضى ما ارتكبوه من جرائم. سيكون من المفيد أن يتمكن الممثلون من إيفاد أشخاص إلى الأماكن الرئيسية لسماع اعترافات الموريسيكيين، والصفح عن ذنوبهم.
- أن يتوجه الممثلون القيام بهذا العمل برقة بحيث لا يتآذى الموريسيكيون وحتى يعيش هؤلاء كمسيحيين مخلصين ، وحتى يعتنق الموريسيكيون العقيدة الكاثوليكية عن حب لا عن خوف.

- يلحق ببنود زيارة الكنيسة أو الأديرة ما يلى: أن يصدر الأمر البابوى سريعاً
بأن تكون لجنة الأديرة متنقلة ، وأن تتوزع اللجان الكبيرة بحيث تكون متساوية للجان
العائمة وأن يراعى ما ورد في المجمع المقدس.

البند التاسع " ب " أن يغادر الفقهاء المملكة، وألا يتواجدوا فيها : لأنهم يحبطون
عمليات تعليم العقيدة الكاثوليكية، وأن تناقض كيفية طردهم مع النائب. وأن يحدث
نفس الشيء مع القابلات ، وعلى النساء الحوامل أن يلدن بمعرفة مسيحية قديمة، وإذا
لم تكون هناك مسيحية قديمة فليتواجد القسيس والعربي، وذلك حتى لا يقوم
الموريسيكيون بختان الأطفال.

- أن يُمنع الموريسيكيون من القراءة والكتابة باللغة العربية وأن يُأمرُوا بتعلم اللغة
الشائعة في المملكة.

نتيجة المشاورات التي أمر صاحب الجلالة أن يجريها كل من أسقف تونسيا
التي تسمى الآن تاراغونا ، والسيد ميراندا عضو محكمة التفتيش مع دوق ماكيدا

- أولاً القيام بزيارات كنسية في جميع أنحاء مملكة فالنسيا، وأن يعين الممثل أو
الممثلون باسم صاحب الجلالة لكي ينفوا أوامر الملك... وأن يكون للممثلين سلطة البابا
أو سلطة رئيس محكمة التفتيش؛ لكي يمكنهم الصفع عن الجرائم التي يكن
الموريسيكيون قد ارتكبوا والعفو عن ماضيهم، وأن يعاقبوا مرتكبي الجرائم فيما بعد
بشكل متعقل، وألا يكونوا مجبرين على تطبيق كل بنود القانون.

- أن يحمل الممثلون أوامر من صاحب الجلالة إلى كل الحكام ورجال القانون
والضباط الملكيين والساسة وأخرين لكي يقدموا التسهيلات والمساعدة لإتمام الزيارة
بحيث لا يسمحوا بأن تقام في محال سلطاتهم - ولا من قبل رعاياهم - حفلات
المسلمين، وأن يأمروا بذلك، وأن يعاقب المخالفون.

- أن يذهب الممثل وهو يحمل صفة عضو محكمة التفتيش، وأن يصحب معه
الحجاب والمستشارين ، حتى لو كانوا من خارج محكمة التفتيش، وأن يذهبوا وهم
يتمتعون بصلاحيات رئيس محكمة التفتيش، كما حدث في السابق، ذلك حتى يكون لهم
الاحترام الواجب، وحتى لا يتهاون أحد.

- أن يذهب المفتشون مع الممثلين (كلُّ فِي أَسْقِفِيهِ) أو من يقوم مقام الأسقف، حتى يزوروا معاً الأماكن التي يجب زيارتها؛ ذلك لأنَّه لو لم يذهب الممثلون فلن يكون للزيارة الاحترام الكافي، وهذا ما نعلمُه بحكم التجربة.
- أن يقوم الممثلون - بصحبة زائري الكناس - بزيارة الأديرة والأماكن المتواجدية فيها لكي يروا ما إذا كانت هذه الأديرة ظاهرة ، إذ إنها عندما بُنيت أُنْجِلت على أن تتم زيارتها لإبداء الرأي حول ما يجب تغييره وما إذا كانت ظاهرة.
- التحرى عما إذا كان المسؤولون مقيمين وما إذا كانوا أشخاصاً شرفاء وأكفاء، وما إذا كانت الكناس مزخرفة وبها الأشياء الالزمة لأداء العبادة ، ويراعى عزل المسؤولين الذين ليسوا أكفاء وتعيين غيرهم من نوع الكفاءة ، وتزويد الأماكن القديمة بما يتولى إقامة الشعائر.
- التحرى عن الإيرادات التي كانت تدخل المساجد سابقاً ، والتي هي حالياً في حوزة السادة وأشخاص آخرين ، وقد خُصصت هذه الإيرادات بعد تنصير المسلمين للكناس، إعادة هذه الإيرادات، وتقديم حائزها للمحاكمة إنْ هُم رفضوا إعادتها، واتخاذ إجراء مع كل من يعرف شيئاً عن هذه الإيرادات ولا يبوح به .
- زيارة المتنصرين حديثاً، والوقوف على طريقة معيشتهم، والقضاء على الشعائر الإسلامية التي يؤمنونها ، وهي شعائر ثبت أنهم يؤمنونها ، وذلك من خلال زيارة قام بها ميراندا عضو محكمة التفتيش، وإقناعهم بتعظيم أبنائهم وبلا يختنونهم ، وبلا يطلقوا عليهم أسماء إسلامية وأن يعترفوا وأن يذهبوا لسماع الوعظ ، وأن يختلفوا بالأعياد التي وضحت لهم عند تعليمهم العقيدة الكاثوليكية ، وأن يعيشوا كمسحيين ، وأن يُعاقب الفقهاء ومن يجرؤن عمليات الختان ومن يفدون من الجزائر وغرنطة وقشتالة وأрагون.
- إصدار الأوامر بأن يتعلم المتنصرون حديثاً العقيدة المسيحية على يد القساوسة، واستدعاء الأطفال - بل والكبار إذا أمكن - في ساعة معينة من النهار لتعليمهم.

- تعين الحُجاب والنظار لراقبة تنفيذ التعليمات المذكورة ، وأن يتمتع هؤلاء الحُجاب والنظار بحماية محكمة التفتيش والممثلين ، وأن يتمتعوا كذلك بكل مزايا نظرائهم ، وذلك بمنحهم مرتبات مجانية، والحق في قبض ربع الغرامات التي يحصلونها.

- إصدار الأمر ببناء كنائس في القرى التي ليس بها كنائس يلقي فيها الوعظ، وتزويد هذه الكنائس بالقساؤسة والخدم، وإذا كانت القرى خطرة فتسلم الكنيسة إلى سيد القرية مع اتباع الاحتياطات التي أمر بها ميراندا عضو محكمة التفتيش لدى زيارته الكنسية.

- أن تكون للممثليين سلطة توقيع الغرامات على الجرميين، وأن توجه حصيلة هذه الغرامات لبناء الكنائس والصدقات على فقراء القرى؛ حتى لا يظن المسلمون أننا نفعل ذلك للاستيلاء على أموالهم، ولكن يخافوا من العقوبة.

- بما أن بعض المتصررين حديثاً هم من وجوه القوم ويرغبون في أن يتمتعوا بحماية صاحب الجلالة وحماية محكمة التفتيش ، وحيث أنهم عنصر جذب لترغيب الناس في اعتناق المسيحية ويدعونهم لن تتم الزيارة على الوجه الأكمل ، فمن المناسب أن يكون من بين المتعاونين معنا بعض هؤلاء الوجوه ، لأن هؤلاء الوجوه ينثرون في حياة العامة.

- أن تكون للممثليين سلطة توقيع الجزاء على المسيحيين القدماء إذا أهانوا المسيحيين الجدد وأطلقوا عليهم لقب " المسلمين الكلاب " بدلاً من " الموريسيكيين " وهذا قد حدث وعلمنا به .

- أن يُعاقب الممثلون بعض السادة الذين يقيم رعاياتهم حفلات الزفاف وغيرها على الطريقة المورييسكية، والذين لا يسمحون لخدم الكنيسة بإبلاغ محكمة التفتيش عن ذلك^(٢) .

- أن يستعلم الممثلون عن الأسلحة التي يمتلكها المتصررون حديثاً ، إذ يقال إنه بعد جمع السلاح منهم ظلت هناك أسلحة كثيرة مخبأة.

- حيث أنه في بعض القرى التي يقيم بها متنصرون حديثاً قد شيدت مساجد وزوايا يجتمع فيها الموريسكيون، ويؤدون شعائرهم، ويقومون ببعض الاعمال المحظورة يعصون فيها الله وصاحب الجلة، ويضررون فيها بمصلحة هذه المملكة، فيجب أن يكون للممثلين سلطة هدم تلك الأماكن أو تحويلها إلى كنائس أو أى شيء آخر يرونه، وأن يمنعوا اجتماعات الموريسكيين، وأن يصادروا منهم المصاحف وكتب السنة وكل الكتب والأنواع المتنوعة والتي يؤدون بها شعائرهم.
- أن تبدأ الزيارة الآن في الشتاء في الأماكن القريبة من البحر ، وأن تستمر في الصيف في الأماكن بعيدة عن البحر تجنباً للأخطار الموجودة في السواحل.
- أن يصطحب الممثليون معهم أثناء الزيارة مبشرين مسيحيين وأشخاصاً من الوجهاء ومن يعرفون اللغة العربية ، فإن لم يجدوا فليبحثوا عنهم في أماكن أخرى، حتى يقوم هؤلاء الأشخاص بتعليم الموريسكيين العقيدة الكاثوليكية، وأن يراعوهم فيما بعد ، رغم أنه يمكن الاستعانتة بالأديرة الموجودة في هذه المملكة وهي كثيرة ، كما يمكن الاستعانتة بالبعض في إخبار الممثليين بما يقع لاتخاذ الإجراءات اللازمة.
- أن يجري الممثليون التحريات في الأماكن التي يزورونها طبقاً لنمذج التحريات الموجود لدى ميراندا عضو محكمة التقاضي، وألا يوجه الممثليون أسئلة سطحية لا تتعلق بهمهمthem كما رأينا سابقاً، وإذا رأى الممثليون إضافة أو حذف سؤال فيمكنهم ذلك بحيث لا يتعارض ذلك مع محكمة التقاضي، ويحيث لا يضر ذلك بالساسة ولا بالتعاونين ، فكل هؤلاء يجب أن يكونوا راضين عن هذا العمل.
- أن يهتم الممثليون بالمدرسة التي أمر صاحب الجلة بتشييدها في مملكة فالنسيا لتعليم أبناء المتنصرين حديثاً من أبناء هذه المملكة، وأن يسألوا المعلم، وأن يتحروا عن الأطفال وعما يعرفونه والمواد التي يدرسونها، وحيث أن بعض الآباء وبعض الأشخاص قد حاولوا ومحاولون إخراج الأطفال من هذه المدرسة بحيث يذهبون إلى قراهم ويعودون إلى ممارسة دين آبائهم فعلى الممثليين تنبيه الآباء إلى إعادة البناء والأمر بأن تقبلهم المدرسة وأن يهتموا بهذه المدرسة حيث أنه قد ارتكبت أخطاء في الماضي ولم يتم الاستفادة من المدرسة على الوجه الأكمل.

- حيث أن الممثلين الذين عينهم صاحب الجلالة كانوا دائمًا من المقيمين في مدينة فالنسيا ولم يقوموا إطلاقاً بزيارة القرى الموريسكية، مما أدى إلى نتائج سلبية ، فيجب من الآن فصاعداً ألا يكتفى الممثلون بالإقامة في فالنسيا، بل عليهم أن يذهبوا لزيارة قرى الموريسكيين في هذه المملكة لأن هذا الإجراء مفيد.
- على الممثلين عند زيارتهم للقرى أن يحملوا معهم نقوداً لتوزيعها على فقراء المتصررين حديثاً : لأن ذلك سيرغبهم في اعتناق المسيحية.
- أن يعين الممثلون في كل قرية يزورونها شخصاً من المسيحيين القدامى إن وجد، فإن لم يوجد فليكن شخصاً من المتصررين حديثاً، يقوم على أمر تشييد الكنائس والدخول إليها والخروج منها بالتنسيق مع خادم الكنيسة ، وأن يكون للاثنين إذن بجمع الصدقات لتشييد الكنائس في زمن حصاد القمح والعنب وجمع الزيت والحرير، وأن يساعدوا المتصررين حديثاً.
- أن يكون للممثلين تصريح من قبل جلالة الملك حتى يتمكنوا من الإذن للمتصررين حديثاً - منمن ذهبوا إلى بلاد المسلمين - بأن يعودوا إلى مملكة فالنسيا إذا أرأنوا أن يعيشوا كمسيحيين، بأن يعودوا دون خوف على حياتهم أو على ممتلكاتهم. وأن تكون للممثلين سلطة الصفع عن الجرائم التي يكون الموريسكيون قد ارتكبواها رغم أي حظر سابق ، على أن يعترف الموريسكيون بما فعلوه؛ وأن يبيدوا الندم على ما فعلوه في الماضي.

نعرض فيما يلى أحد التقارير التى أرسلت من مدريد إلى مجلس القساوسة وعلماء اللاهوت الجتمعين فى القصر الملكى فى فالنسيا . يلخص هذا التقرير الخطوات التى تم تنفيذها من أجل تعليم الموريسكيين العقيدة الكاثوليكية، والخطوات التى يجب اتخاذها اعتباراً من الآن للحصول على أفضل النتائج.

بعض الوسائل المفيدة لتنصير موريسكيين فالنسيا^(٢)

أولاً : من الضروري جداً أن يكون من يتصدى لباشرة عملية التنصير مقتناً بإمكانية ذلك^(٤) ، لأن عقيدتنا المقدسة قوية جداً وتحظى برحمة الرب العظيم، وفي كل

الأماكن التي اتبع فيها هذا المنهج قد حركت قلوب الملحدين والكافرين ، كما يحدث الآن في أماكن كثيرة وكما حدث في هذه المملكة مع الموريسيكين الذين استجابوا لوعظ بعض البشرين المتدينين ، رغم أن هذه الاستجابة قد اختفت سريعاً لعدم اتخاذ الوسائل المناسبة.

إذا قيل إن هذا المنهج قد اتبع معهم بوسائل كثيرة وطيبة، وإنه رغم ذلك لم يفده، نجيب أن هذا ليس سبباً كافياً للیأس من إمكانية علاج هؤلاء المرضى ، فمن المؤكد أنه لم تُخُذ الإجراءات المناسبة ، بل كان العلاج خاطئاً ، فرغم أن المرض كان في القلب إلا أن العلاج قد وضع في مكان خارجي آخر، وهذا ما أبطل مفعول العلاج ، بل جعل المرض يستقل . وهكذا فإن إجبارهم على سماع الوعظ وأمور أخرى لا يُجدى إلا إذا كسبنا قلوبهم، بل على العكس فإن إجبارهم على سماع الوعظ قد أغضبهم أكثر وحملهم على الثورة، وهذا ليس غريباً، فإذا كانوا غير مؤمنين فإن جعلهم يسمعون الوعظ لا يُعتبر طاعة لله، بل هو إهانة خطيرة للدين.

ولكي نفهم ذلك بشكل أفضل وباختصار فإننا سنسرد هنا ما اتبع مع الموريسيكين. في عام ١٥٢٥ أمر الإمبراطور كارلوس الخامس طيب الذكر بأن يخرج كل المسلمين من هذه المملكة في ظرف شهر إذا كانوا لا يريدون التنصير. ولما كان الخروج من المملكة يضرهم أرسلوااثني عشر مسلماً إلى صاحب الجاللة للحصول على فترة سماع أخرى متطلعين بأن الكثيرين منهم سيتناصرون بشرط ألا تتدخل محكمة التفتيش في شئونهم لمدة أربعين عاماً، وهذا ما سمح لهم به السيد ألفونسو مانريكي أسقف أشبيلية ورئيس محكمة التفتيش ، وعلى ضوء ذلك فقد تم إرسال ممثلي في زيارات كنسية للقرى الموريسكية.

ولما كان زعماء الموريسيكين قد قالوا إن الموريسيكين جميعاً يريدون التنصير؛ فقد عمدوهم بشكل جماعي دون محاولة تعليمهم بشكل فردي ودون معرفة رغبتهم الحقيقية، بحيث أن البعض منهم - كما هو ثابت - قد أقام دعوى أن ماء التعميد لم يمسه لأن القسيس كان ينشره عليهم جماعة. بهذه الطريقة كانوا يتربكون الموريسيكين دون قساوسة ودون مبشرين؛ ولهذا ظلوا متمسكين بدين محمد اللعين كما كانوا من قبل.

بعد ذلك في عام ١٥٢٢ أُرسل إلى الموريسكيين ممثلي رسولين فعملوا ١٢٢ شخصاً، وأعطوا كل شخص ثلاثة جنيهات ، لكن الموريسكيين لم يقبلوا وحتى اليوم لم يستلموا النقود. بعد ذلك عقدت جلسات لمناقشة كيفية معالجة هؤلاء الناس التعساء، ولم يحدث أبداً أن تم تنفيذ وسائل للتنصير؛ وهكذا فإنه بشكل عام لم يتم تعليمهم الإنجيل وفق احتياجهم ، بل لم يتم التركيز سوى على إجبارهم على سماع العظة، وعلى أمور خارجية، وكانوا يجبرون على ذلك بالسباب، وبتوقيع العقوبات عليهم وبإعدام بعضهم من هنا نفهم بوضوح أن عدم علاج هؤلاء المرضى حتى الآن لا يمكن تفسيره باستحالة علاجهم بل بخطأ نوع العلاج. وهكذا يتضح أيضاً أن من عليهم القيام بهذه المهمة لم تنته مسؤوليتهم أمام الله بعد، لأنهم لم يتخلوا الوسائل التي أمر الله باتخاذها لعلاج هذا المرض. وحتى لو لم يتৎ عن أداء المهمة شيء آخر سوى تبرئة القائمين على المهمة أمام الله لكان من الضروري بذل كل الجهد اللازم لذلك : لأن سبب وجود هذا المرض يعود إلى عدم اقتناع القائمين على هذه المهمة بهذا الأمر.

يجب أن ننتبه أيضاً إلى أنه برغم أن المهمة ليست مستحيلة إلا أنها صعبة التنفيذ؛ لأن الموريسكيين أشد عناداً من مسلمي البرير؛ فقد صنموا على انتهاك الحرمات المقدسة وعلى ارتكاب الذنوب المخالفة لعقيدتنا المقدسة؛ ولهذا فمن الضروري اتخاذ وسائل أكثر فعالية من الوسائل التي تم اتخاذها حتى الآن، وعلى كل المسؤولين - صغاراً وكباراً - أن يتحدوا من أجل هذا الهدف وإلا فلن نجني من أي نشاط سوى إضاعة الوقت.

الوسيلة الأساسية التي حددها ربنا للتنصير هي التبشير بالإنجيل ، وقد أمر بأن يستعمل الناس هذه الطريقة، وهذه هي الطريقة التي استعملها ربنا كما هو ثابت في إنجيل مرقس. من هنا نفهم بوضوح أن ربنا يريد أن نستخدم هذه الطريقة نفسها الآن للتنصير الناس في الهند^(*) وفي أماكن أخرى. وكذلك يجب البحث عن مبشرين ذوي عقيدة قوية، ومن ذوى السمعة الطيبة، ومن المخلصين للتبرير، ومن ليس لهم

ـ (*) هي أمريكا الجنوبية وكانت تسمى الهند لاعتقاد كولون أن وصل إلى الهند (المترجم).

هدف آخر سوى تنصير الكفار والمذنبين، وأن يعظوهم بحب ودفق وبما يتفق مع احتياجاتهم؛ أى أن يضع البشر فى اعتباره أن هؤلاء الناس لا يؤمنون بعقيدتنا بل يخالفونها؛ أى أن تكون هناك طريقة خاصة لتنصير الموريسيكين لأن الطرق المتبرعة حتى الآن في الكنائس لم تتحقق أية فائدة. سيكون من المفيد كذلك أن يصطحب المبشرون معهم بعض الموريسيكين من تعلموا في مدرسة (فالنسيا). إن وجودهم سيكون ذا فائدة نظراً لإجادتهم اللغة العربية، ولأن الموريسيكين يحبونهم لأنهم من أهلهم، فيما أن هذه الوسائل تتطلب مصروفات فمن الضروري أن يأمر صاحب الجلالة الكنائس بالإتفاق لأنها مجبرة على ذلك.

ومن أجل مقابلة الناس - وهو أمر ضروري لإتمام هذه المهمة - يجب أن نضع في الاعتبار أن أسقفية فالنسيا وحدها بها ١٤١٠٠ أربعة عشر ألفاً ومائة موريسيكي موزعة على ٣٩٩ قرية منها قرى مجاورة للوديان ، ٤١ منها يختلط الموريسيكين فيها بالسيحيين القدامي، وأن هناك ١٨٥ لجنة مخصصة لكل هذه القرى.

من المهم جداً للحصول على فائدة من عمليات التبشير أن تتم العمليات في وقت واحد حتى لو تتطلب ذلك استدعاء مبشرين من ممالك أخرى؛ ذلك لأنه لو تم الأمر بالتدريج فإن المسلمين الذين يتصررون في مكان ما سيحاولون - بالدهاء والتخويف - إثناء الناس عن التنصير ، وهذا تعلمه بحكم التجربة. ولأن بعض الموريسيكين - بحكم عملهم في نقل البضائع - سيمشون بين بني قومهم لإقناعهم بعدم التنصير فسيكونون من المفید حظر انتقال الموريسيكين من مكان إلى آخر خلال فترة التبشير.

سيكون من المهم كذلك أن تقوم محكمة التقاضي باعتقال الفقهاء قبل بدء عملية التبشير؛ حتى لا يتسبب هؤلاء في إحباط العملية، وألا يعتقد أشخاص آخرون خلال عملية التبشير بل أن يكون الجو كله ودا، فإذا أبدى أحد الموريسيكين معارضه شديدة فليُعتقل - ولكن بتهمة أخرى - بحيث لا يُنظر إلى التبشير على أنه شيء بغيض.

ولكي تؤتي عملية التبشير ثمارها فسيكون من الضروري أن يتمتع المبشرون بالصلاحيات الثلاث التالية :

أولاً: أن يكون من حقهم عدم شكوى الموريسيكين إلى محكمة التفتيش إذا شاهدوا أو سمعوا شيئاً ، وأن يعلنوا لل العامة أن هدفهم ليس تقديم الشكاوى ضدهم بل معالجة أسباب الشكوى إن أمكن ، والخلاص أرواحهم، وأن يكون من حق المبشرين التعامل بحرية مع الموريسيكين والرد على أسئلتهم دون أن تقدم ضدهم شكوى ، وأن يتحدث المبشرون مع زعماء الموريسيكين، في لقاءات خاصة ، وأن يردوها على شبهاتهم؛ لأنه لو تنصر الزعماء فسيكون من السهل جداً تنصير الباقيين.

ثانياً: أن تكون للمبشرين صلاحية الصفع عن كل الذنوب الخاصة بالضمير ، لأننا لو قلنا من يريد أن يتصرّف إن يتحتم عليه أن يعرض على محكمة التفتيش لكنه يعترف ويبرأ من تهمة الكفر فسيرد بأنه لن يذهب إلى محكمة التفتيش إطلاقاً لأنه يخشاها، وإذا حكى هذا الشخص ذلك للآخرين فلن يأتي أحد للاعتراف إلا إذا كان للخداع وإخفاء الحقيقة، وهكذا سيكتن الموريسيكين مقتنيين بأن العملية مجرد تبشير واعتراف كذرية لتقديمهم إلى محكمة التفتيش.

ثالثاً: أن يكون من حق المبشرين إعفاء من ينصر من واجب إبلاغ محكمة التفتيش عن أخطاء الآخرين ضد عقيتنا المقدسة ؛ لأن القسيس عندما يقول للموريسيكي إن عليه واجب الإبلاغ عن أخطاء الموريسيكين فسيخاف ، لأن هؤلاء أهله وأصدقاؤه ، وسيبلغون أهله وأصدقائهم وسيؤدي ذلك إلى بث الرعب لدى الناس؛ لذلك من المهم إعفاء الموريسيكين بعض الوقت من هذا الواجب. من المناسب كذلك أن يكون بإمكانهم الاعتراف أمام الممثلين دون أن يتعين على الموريسيكين الذهاب بعيداً. إذا لم تُفعَّل هذه الصالحيات الثلاث بأمر من البابا أو من رئيس محكمة التفتيش، فمن المؤكد أن أي شخص عاقل لن يذهب للتبرير، وإن ذهب فسيعود محملاً بالأحزان والتحفظات.

سيكون من المناسب أن يزود المبشرون بكل ما هو ضروري بحيث لا يتحمل الموريسيكين أية تكاليف ، لأن هؤلاء المساكين إذا رأوا أن هناك من يستغلهم فسيظلون أن عملية التبشير تتم من أجل مصالح خاصة ، ولما كان ذلك عائقاً أمام اعتناق

المسيحية، فسيكون من المفيد تخفيف العقوبات المادية، وعدم بناء كنائس على نفقة الموريسيكين، وألا توجه تركات ذويهم إلى الكنائس أو إلى الأعمال الخيرية، لأنهم يتضررون من ذلك، وأن يتعقل السادة عند فرض الضرائب ، بل يجب أن يحمل المبشرون معهم صدقات لتوزيعها على فقراء الموريسيكين. من الضروري - خاصة إذا تعين على هؤلاء دفع مبالغ مادية كتكفير عن ذنب ارتكبوه مخالف للدين - ألا يُسمح لهم بذلك بل أن يُشرح لهم أنتنا لا نسعى إلى تحصيل أموالهم بل إلى خلاص أرواحهم. إذا فشلنا في ذلك فقد خسرنا كل شيء لأنهم حينئذ سيفهمون أن التنصير يهدف إلى الاستيلاء على أموالهم.

من الضروري كذلك أن يأمر صاحب الجلالة السادة الذين لهم نفوذ لدى الموريسيكين بأن يولوا هذا الأمر اهتماماً شديداً، وأن يتواجدوا في قراهم أثناء فترة التبشير، فإذا لم يتمكنوا من ذلك طيلة الوقت فلينبيوا عنهم أشخاصاً من ذوى الورع والقرة، وأن يمنعوهم صلاحياتهم، وعلى هؤلاء بالحب وبنقديم النموذج - أن يحاولوا أن يحضر الجميع الوعظ - خاصة النساء فهن أكثر عناداً - وأن يوقروا من يُبدى دلائل على اعتناق المسيحية، خاصة من يقنعون غيرهم باعتناق المسيحية. ذلك لأننا نخشى ألا يساهم السادة في عمليات التبشير ظناً منهم أن الموريسيكين لو ظلوا على وضعهم الحالى فسيكونون أكثر فائدة لهم. من المناسب أن يفهم السادة أن الموريسيكين سيت昰 طردهم إن هم لم يتنصروا.

إذا حدث أثناء عملية التبشير إن أبدت قرية بكمالها رغبةً في التنصر الجماعي فسيكون من المفيد أن يُطرد من القرية الأشخاص الذين لم يرغبا في التنصر، وإذا كان الذين يتتصرون قليلاً فسيكون من المناسب إقناعهم بطف بالانتقال إلى مكان آخر يكونون فيه آمنين ويُستقبلون فيه بترحاب ، وسيكون من المناسب لهم جميعاً أن يتقبلوا القربان المقدس لكي تكون لهم القوة المعنوية للصمود أمام إغراءات الشيطان، وإذا حدث أن انتهي الوقت المناسب للتبرشير وظل هناك بعض المعاندين فيجب أن يُعاقبوا، أو يطردوا من إسبانيا؛ لأنهم في وقت وجيز سيهدمون كل ما فعله المبشرون في وقت طويل ، ويجب كذلك أن يُنزع من هؤلاء المعاندين أطفالهم الذين لم يبلغوا سن

الرشد، والأولاد الذين بلغوا سن الرشد، ويريدون أن يتتصروا، وإذا ظل بيننا أشخاص مسلمون فيجب التفكير في الطريقة التي يقدم لهم بها قریان الزواج، وكيف يحضرون الوعظ مع أنهم ملحدين، وكيف يُدفنون في مدافن المسيحيين، وكيف تترك لهم الأولاد الذين تم تعميدهم والذين هم في عهدة الكنيسة، مع العلم بأنهم سيحاولون التشويش عليهم وأن هذا الوضع سيؤدي إلى زيادة انتهاك الحرمات المقدسة، وإذا لم يعالج الوضع فيخشى أن يرسل الله ربنا على إسبانيا عقاباً كبيراً.

ولكي تتم عملية التبشير بشكل جيد ولكي تستمر فائدتها فمن المناسب استعمال وسائل خاصة أخرى: منها تعيين قساوسة من ذوى العقيدة القوية والأخلاق القوية، وهذا لن يحدث إلا إذا نفذنا قرار منع المتتصرين مكافأة، وهو قرار اتخذه قداسة البابا وصدق عليه.

ينبغي تشديد كنائس ولو متواضعة تكون صالحة وبها زخارف : لأن وضع الكنائس حالياً يدعو إلى فقد العقيدة لمن هو غير راسخ فيها بدلأً من اكتساب العقيدة لمن هو فاقداً؛ ولذلك يلزم تخصيص ثلاثة ألف بوصية وافق عليها قداسة البابا وصاحب الجلالة لهذا الغرض. كما يجب أن يكون في كل كنيسة ومدفن مقبرة أو مقبرتين لدفن موتاهم، وهكذا تنتهي الشعائر اللعينة التي يُؤديها المؤرسكين عند دفن الموتى. يجب زيادة دخل المدرسة الموجودة هنا لتعليم أبناء المؤرسكين، وتشديد مدارس أخرى في أسفنجيات أخرى، وأن يُعهد بها إلى اليسوعيين ، فهم سيدرونها بلياقة وحب بحيث تعود بالفائدة على مدارسهم فيما بعد. كما يجب أن يقيم في كل قرية بعض الأسر المسيحية القديمة يكون من بين أفرادها معلم يعلم الأطفال القراءة وعملية تعلم البنات الأعمال المنزلية، ويقوم هؤلاء بتعليم العقيدة الكاثوليكية بعد ذلك. ينبغي أن يستفيد السادة والمسيحيون القدامى من أبناء المتتصرين حديثاً، وأن يعاملوهم بلطف وأن يختاروا من بينهم خديماً للكنيسة.

لكي يتم تنفيذ كل ذلك فمن الضروري بعد إتمام عملية التبشير تعيين عدد من الزائرين يتجلوون في القرى المؤرسكية، ويسجلون أمام كاتب شرعى بيوت المتتصرين

حديثاً وأسماء الأشخاص الذين يقيمون فيها، وأن يسألوا كل شخص عن أمور العقيدة، لا عن الصلوات فحسب. يجب أن يعهدوا أمر من لا يعرفون إلى القسيس فيكتبون له قائمة بهم، ويحتفظون هم بنسخة من القائمة. يجب أن يقوموا بزيارة بيوتهم، وأن يضعوا لهم تماثيل فيها، وأن يعطوهم صدقات، وأن يجمعوهم في الكنيسة لتعليمهم مبادئ العقيدة المقدسة. يجب أن يعود الزائرون بعد ذلك لسؤال القسيس عن تطور عملية التعليم. يجب أن يقوم الزائرون والقساؤسة بإزالة أى أثر للمساجد بحيث لا يبقى لها ذكر، وكذلك الحمامات في البيوت ومحال الجزار الخاصة بال المسلمين إن كانت لا تزال موجودة، وإزالة أى شيء قد يؤدي إلى قيام الموريسيكين بأداء شعائرهم الضالة.

يجب أن يكون هناك حُجَّاب من بين المسيحيين القدامى لهم سلطات أوسع من السلطات التي يتمتعون بها حالياً. يجب أن يكونوا معروفين لدى محكمة التفتيش، وأن يقوموا - مع القساوسة - بتسجيل أسماء الأطفال الذين يتم تعميدهم، وأن يخصصهم بين الحين والأخر لأن كل الأطفال تقريباً في الوقت الحاضر قد أجريت لهم عملية الختان. وفي شهر رمضان يجب أن يدخل الحجاب والقساؤسة فجأة ساعة الفداء فإذا لاحظوا أن أهل البيت يصمونون فعلتهم بإبلاغ محكمة التفتيش. يجب أن يكون الحجاب مفروضين من قبل المحكمة لتنفيذ ما يرى القساوسة أنه ضروري لمصلحة المتصristين حديثاً.

وبيما أن البعض قد يتهاون في القيام بالأعمال التي يؤمر بها فمن الضروري تواجد مبعوث رسولي يخصص له راتب - بمعرفة الأسقفيات - يراقب ما يمكنه مراقبته ويستعلم عما لا يعرفه، ويحاول معالجة الأخطاء بخلاص وحمية دينية، ويحاول تنفيذ كل ما سبق.

سيكون من المفيد كذلك الإطلاع على بعض التعليمات التي أصدرها في هذا الشأن بعض القساوسة الذين اجتمعوا منذ سنوات هنا وفي أماكن أخرى ، واستطلع رأى الذين يتعاملون مع موريسيكين ، فلابد أنهم يعلمون الكثير عن هذا الأمر رغم أن التعليمات السابقة لو نفذت بغيره دينية وتقوى لوهبنا الرب أضواء جديدة في هذا

الشأن، كما أن التجربة نفسها ستساعد. ندعوا أن يجعل رب كل شيء يسير بحثي يؤدي إلى خلاص نفوس هؤلاء التعساء، ويؤدي إلى حلول الأمن في إسبانيا. أمن.

المذكورة التي قدمها الراهب نيكولاوس ديل رو إلى فيليبي الثالث والمؤرخة في فالنسيا في ١٣ يونيو عام ١١٠١ بشأن تعليم الموريسيكين العقيدة الكاثوليكية وتصرفاتهم مع محكمة التفتيش^(٤)

مذكرة

سدي النقى :

في مرات كثيرة ومتعددة ، لما رأى الملوك الكاثوليك وسادتنا كارلوس الخامس وفيليبي الثاني طيب الذكر - بغيرتهم على الدين وبقلبه المسيحي، يحرکهم نشر عقيدةنا الكاثوليكية المقدسة وديننا المسيحي - لما رأوا بوضوح عناد المتصرين حدثاً في مملكة فالنسيا هذه وفي أراغون وقطالونيا ومرسيه، وأنهم متمسكون بعقيدتهم السينية، فقد حاولوا علاج الأمر، ومن أجل ذلك عقدت اجتماعات عديدة ، خاصة ذلك الاجتماع الذي دعا إليه صاحب الجلالة في مدريد عام ١٥٦٤ . ورغم أن هذه الاجتماعات قد تمخض عنها صدور قرارات تهدف إلى تعليم الموريسيكين العقيدة المسيحية، وتزويدهم بمن يعلمهم، إلا أننا رأينا أن ذلك كله لم يكن له أثر كبير لأنهم في الحقيقة يعيشون الآن متمسكون بعقيدتهم السينية علانية، ويسخرون من مقدسات الكنيسة كما يتمسك المسيحيون بعقيدتهم الكاثوليكية المقدسة. إن حياتهم السينية وصلت إلى حد أنهم لهم مساجد مليئة في القرى يذهبون إليها - كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء - لمارسة شعائرهم، وأسوأ شيء وأشد إيلاماً للنفس هو أن قدامى المسيحيين وال CHRISTIANS يذهبون إلى هذه المساجد ويشوش الموريسيكين على أفكارهم فيتحولون إلى الإسلام ، وهناك حالات كثيرة من هذا النوع أمام محكمة التفتيش. إن

الموريسكيين يقومون بذلك بمهارة لدرجة أن من يعلمون بهذا الأمر لا يستطيعون البوح به إلا بدمجموع حارة، ولما كان متذمبو محكمة التفتيش يعلمون ذلك ويرونه بأعينهم، ولما كت أريد طاعة الرب وجلاة الملك ومصلحة المسيحية فقد تجرأت على كتابة هذه المذكرة لكي تتفضلو سموكم بالاطلاع عليها ومعالجة هذا الأمر وإن أكون قد برأت ساحتى ولهذا أقول ما يلى:

رغم أن هذه الاجتماعات تم خص عنها اتخاذ قرار بإمدادهم بالعلميين لوضوح أهمية ذلك، ولأن الموريسكيين أنفسهم كانوا يقولون إنهم ليس معهم من يعلمهم ، وهذا لا يجب أن يصدقه أحد لأنهم لو كانت لديهم الرغبة في الإيمان بالرب فلديهم خدم الكنيسة في كل مكان، ولأن أكثر الناس برأيهم بأمور عقيبتنا المقدسة هم الفقهاء وهم الذين يساندون المسلمين، ولو أنتا زودناهم بعلميين فقد رأينا أن ذلك لم تكن له فائدة ، وهكذا نرى عناد الموريسكيين، فرغم حصولهم على قرارات لصالحهم إلا أن عدد من أرموا التنصر والاستفادة من المنح لم يزد على ستة أفراد ، بل وقد لوحظ أن هؤلاء الأفراد كانوا يعودون إلى الإسلام كما أتوا منه ، كما لوحظ أن اعترافاتهم كانت مزيفة، فكانوا لو اعترفوا بممارسة شعيرة يخفون ممارستهم لشعائر أخرى كثيرة وإذا اعترفوا على أنفسهم كانوا يخفون ممارسة النساء والأبناء والاقارب والجيران لنفس الشعائر. من كل هذا يتضح أن السبب يكمن في عناد الموريسكيين وليس في عدم وجود معلم معهم. أستطيع أن أؤكد لسموكم أننى في خلال الثمانية والعشرين عاماً التي قضيتها في العمل لم أر شخصاً (موريسكي) واحداً يمكن أن أثق فيه.

هناك في محكمة التفتيش طرق عديدة لتحديد الأسباب وخطوات العلاج ؛ من هذه الطرق أن يأتي بعض الأشخاص من يخشون أن يُتهموا، ويعرفون اعترافاً مزيفاً، فإذا اعترفوا بالصوم لا يعترفون بممارسة شعائر أخرى، ولا يتحدثون عن أسرهم ولا عن أي شخص آخر. يتم التصالح مع هؤلاء الذين يعترفون ثم يعودون إلى بيوتهم مسلمين كما كانوا من قبل.

وهناك أشخاص آخرون يتم إلقاء القبض عليهم ولا يوجد سوى شاهد واحد، فيخضعون لعملية تعذيب ثم تسقط القضية. هؤلاء يعودون إلى قراهم ويخبرون الآخرين

أنه حتى لو ألقى القبض عليهم فلا يجب أن يعترفوا ، فمن الأفضل تحمل ساعة من التعذيب خير من السجن إن هم اعترفوا.

وهناك أشخاص آخرون يشهد عليهم أربعة أو خمسة شهود وي تعرضون للتعذيب ثم يودعون في السجن لمدة ثلاثة أو أربع سنوات، بعد ذلك يعودون إلى بيوتهم ويعتبرهم الناس أبطالاً ورموزاً^(١) . وهناك أشخاص يقدمون اعترافات ناقصة ويتم التصالح معهم ويودعون في السجن الدائم ويعيشون في السجن بشكل أسوأ مما يعيشون في بيوتهم، لكن أشخاصاً آخرين من المقتنيين بالإسلام يهونون الأمر عليهم قائلين إن من يُعاقبون لأنهم مصممون على الإنكار قليلاً. وهذا يضع منهم الخوف واحترام الله ومحكمة التفتيش. ولكن يوجد هذا الخوف ولا يُهان الرب على مرأى من الكاثوليك فسيكون من المناسب الاستماع إلى شهادة أشخاص متدينين وذوي مصداقية مثل أعضاء محكمة التفتيش، والكتبة الذين يعملون لدى محكمة التفتيش، أما في القرى التي يسكنها الموريسكيون فيمكن الاستماع إلى شهادات وجهاء ومثقفين يعرفون الموريسكيين ، وعلى هؤلاء الوجهاء إبداء رأيهم في تدين الموريسكيين وحسن سلوكهم.

يمكن لأعضاء محكمة التفتيش اختيار ثلاثة أو أربع شهادات ، فلديهم علم بكل الشهادات، وكل شيء يوجد شاهد واحد عليه، يجب جمع هذه الشهادات وبناء عليها يجب أن يُعذب المتهم ، لأنهم لا يعترفون على أنفسهم كما يفعل الآخرون. يجب أن يُودع كل منهم السجن وقتاً مناسباً، وأن يأمر صاحب الجلالة قادته بإطلاق سراحهم عندما يطيعون الأوامر، وأن يُطرد البعض خارج المملكة لأن أقصى عقوبة لهم في الحقيقة هي طردهم من أرضهم وديارهم.

يجب أن يكون هناك سجن دائم للنساء والضعفاء لا يخرجون منه أبداً لאי سبب إلا بأمر سموكم... ويجب على كل من يخرج من السجون السرية إذا كان غنياً دفع غرامة قيمة لكي تبني في السجن كنيسة يلقى فيها الوعظ ولتعيين معلم ذي خبرة وحسن خلق لتعليم الناس ومراقبة نشاط الجميع ، ويجب تعيين عدة للقرية من بين من نثق فيهم ، وأن يتقاضى الجميع مرتبات يدفعها الموريسكيون.

إذا رأيتم بناء السجن وشراء بيوت مملوكة لمحكمة التفتيش - وهى رخصة لأنها موجودة فى أفراد أراضى فالنسيا وبها أفنية وهى مجاورة لمحكمة التفتيش - فليكن بالسجن قسمين أحدهما للرجال والأخر للنساء.

يمكن أن يُشيد هذا السجن دون أن تتحمل محكمة التفتيش شيئاً لأنه فى الوقت الحالى هناك رجال ونساء من ذوى الثروة يمكن أن تعرض عليهم غرامات تزيد على ألفى يومية سيدفعونها عن طيب خاطر حتى لا يودعوا السجن أو يُطردوا ، ويمكن إلقاء القبض كل يوم على أشخاص آخرين.

إذا قال الموريسيكون إنه لا يمكن فرض عقوبات عليهم بناء على اتفاقهم مع محكمة التفتيش فهذا الاتفاق ضار لأنه يؤدي إلى أن يعيشوا بشكل سيء كما يعيشون الآن. إن تقسيم محكمة التفتيش به ٢٤٢٦١ بيت يعيش فيها ٩٨٩٠٨ شخص (هذا إحصاء السيد/ فيليبي دى تاسيس ممثل محكمة التفتيش عام ١٥٩٤) .

هذه البيوت تدفع كل عام ضرائب قدرها خمسين ألف راتب أو ٢٦٣٠٠ ريال تقريرياً ، ورغم أن القرى التى لا تدخل فى الاتفاقية قليلة جداً ، ورغم أن الضرائب التى يدفعها كل بيت لا تتجاوز ريالاً ونصف ريال تكون الأسرة بمقتضاهما آمنة من نزع ملكيتها وتستطيع العيش بحرية وتمارس شعائرها الإسلامية علانةً، فحتى لو حصلت غرامات لبناء السجن فهذا لن يمثل شيئاً ، خاصة إذا كان البيت ملكهم.

سيكون من المفيد جداً تحصيل ما يدفعه المحكوم عليهم بالسجن ثم الطرد مقابل إطلاق سراحهم.

يجب أن يراعى خادم الكنيسة أن يعيش المعاقبون بشكل مسيحي وأن ينبه على الذين لم يعترفوا بعد لكي يعترفوا، لأنهم لو اعترفوا بذنبهم وأرشدوا عن إخوانهم فستستعمل سموكم معهم الرأفة وستخرج بعضهم من السجن لتشجيعهم. هكذا سيتقدم الكثيرون للاعتراف وسيكون ذلك مفيداً جداً وسيتتصدّر الكثيرون من لم يجد معهم التعنيف، ومن يأملون فى تفضيل سموكم ومنحهم الحرية، وسيعتقدون عقيدة ربنا.

من الواضح أن الموريسكيين لا يخشون شيئاً إلا الخروج من أرضهم وديارهم ، فلو هددوا بذلك فسيؤدى التهديد إلى أن يعيشوا خائفين ومتذمرين . ورغم أن ذلك لا يبدو أنه يمثل علاجاً وعقاباً لمن يستحقون العقاب ، إلا أنه علاج مناسب لحين وجود علاج أنساب .

أهم إجراء ينبغي اتباعه مع الموريسكيين هو انتزاع الفقهاء والفقihات منهم ، وهم موجودون بكثرة، وكذلك القابلات ، لأن هؤلاء جميعاً هم الذين يشجعون المسلمين ، وانتزاع الكتب والأوراق العربية منهم حتى لو كانت خاصة بالطبع . وأن تعين محكمة التفتيش حجاباً يقتدون بسلطات أعضاء المحكمة .

يبدو أن محكمة التفتيش عاجزة عن إلقاء القبض على الفقهاء في الواقع لأن الحاجب عندما يذهب إلى أي قرية لإلقاء القبض على فقيه فإن القرية يكون لديها علم فينتقل الفقيه من قرية إلى أخرى ، ونظراً للمعاملة الطيبة التي يتداولونها بينهم فإن القرية الجديدة تخفي الفقيه بحيث تعجز محكمة التفتيش عن إلقاء القبض عليه ، ومن المؤكد أننا لو ألقينا القبض على الفقهاء فسيكون أمر تنصير الموريسكيين سهلاً .

يوجد في دائرة محكمة التفتيش هذه قرية اسمها شيئاً لا يعيش بها مسيحي واحد . لها بابان يطلان عليها وبها مرفقعتان يستخدمونها للمراقبة ، والبيوت ينفذ بعضها إلى بعض ، ورغم وجود شهود كثيرين فليس من الممكن إلقاء القبض على أحد ولا يجرؤ عضو محكمة التفتيش على الدخول إلى القرية ولو دخل فسوف يقتلونه . إن سكان القرية على درجة من العناد ، حتى أن حاجباً من طرويل معه أمر من محكمة التفتيش أفلت منهم بأعجوبة بعد أن أصابوه بجروح بالغة . وإذا ألقى القبض على أحد من القرية فذلك لأنهم يلقون القبض عليه وهو في طرويل أو في البرازين . وهذه هي الصعوبة في إلقاء القبض على الفقهاء في قرى المسلمين .

إن أسوأ شيء يجب أن تتفصل سموكم بعلاجه هو أن محكمة التفتيش لديها علم بأنه لما أريد إلقاء القبض على بعض الفقهاء والموريسكيين الآخرين هدد سادة القرى أعضاء المحكمة بأنهم لو ألقوا القبض عليهم فإن رعاياهم سيقتلونهم ، فهذا ما يفعله

الموريسيكين، والشىء الواضح والحقيقة هو أنه لو أن أحداً أخبر عنهم محكمة التفتيش فإنهم يقتلونه بعد ذلك ب أيام قليلة ، وقد حدث في عيد القدس لوثيا الماضي أن قتلوا معلم سوت ، ومنذ سنوات قليلة قتلوا شخصاً من كفريتيس، وقبل ذلك قتلوا أشخاصاً في غانديا وأوندا وفي أماكن أخرى لدرجة أن أحداً لا يجرؤ على الحضور للشهادة أمام محكمة التفتيش ، وهكذا يكون من الصعب إلقاء القبض على المتهمين إذا كانوا من الفقهاء.

ولكي تستطيع محكمة التفتيش القيام بمهامها المقدسة والضرورية فسيكون من المفيد أن تفضلوا سموكم بمعالجة الأمر في قرية شيئاً المذكورة؛ وذلك بمراعاة أنه إذا تم إرسال أعضاء محكمة التفتيش والحجاب لإلقاء القبض على شخص ما ولم يمكن إلقاء القبض عليه أن يتم التنبيه على رجال القانون ومسئولي الجماعة بضرورة تسليم المتهم وإلا توقع عليهم غرامة قدرها مائتا نوقيه، أو العقوبة التي ترونها ، على أن يتم تنفيذ العقوبة بصرامة ، وعلى أن يكون من حقهم تحصيل الغرامة من الشخص الذي كان مطلوبًا، وأن يُنفذ هذا الإجراء مع الموريسيكين حتى لو كانوا من الفقهاء.

كل من لا يمثل أمام محكمة التفتيش - سواء من قرية شيئاً أو من القرى الأخرى، خاصة الفقهاء والفقهاء - يجب أن يقوم أعضاء محكمة التفتيش بمحاكمتهم غيابياً، ويعاقب من تشعلهم الاتفاقية بفرامات تحصل لصالح سجن الرأفة ، أما من لا تشعلهم الاتفاقية ف تكون عقوبتهن مصادرة ممتلكاتهم، وأن تُنفذ العقوبة بشكل صارم ، لأنهم إذا علموا بأمر البحث عنهم فإنهم يتغيبون ويختبئون في منازل مجاورة، بل في منازلهم دون أن يعاقبوا ، وهذا شئء لابد من تجنبه.

إذا وافقتم على طلبنا ألا تتم محاكمة الموريسيكين أمام محكمة تفتيش فالنسيا بشكل علني، بل إذا كانت هناك عشرة قضايا أو اثنتنا عشرة قضية يتم الحكم فيها داخل الكنيسة، فإن ذلك يسهل الأمور كثيراً ويوفر النفقات التي يتتكلفها عقد المحكمة بالخارج.

رغم أنكم قد ترون أن طريقة السجن هذه شائكة إلا أنها في الحقيقة ليست كذلك، بل هي سهلة ، لأن محكمة التفتيش هذه بها الآن ستمائة سجين منهم مائة وخمسون فقيهاً وفقيقاً من المشهورين . ورغم أن بعضهم لم يشهد عليه إلا شاهد واحد إلا أن هذه الشهادة معتمدة ، فإذا ألقينا القبض على الكثيرين فإنهم سيعرفون وسيرسدون عن آخرين. والآن يوجد من بين السجناء نفر من الآثرياء يريدون تجنب مصادرة ثرواتهم إن هم أودعوا السجن العادى أو إذا تم نفيهم... هؤلاء لن يرفضوا دفع الفرامات.

في الحقيقة فإن سجن الرأفة التابع لمحكمة التفتيش هذه يحتاج إلى النظر فيه بشكل ضروري، لأن الأشخاص الذين يودعون فيه يعيشون فيه بنفس الحرية التي يجدونها في بيوتهم ويمارسون شعائرهم، لأنهم لا يجدون من يمنعهم من ذلك ولأنهم جميعاً مسلمون ، أما النساء اللاتي يودعن في هذا السجن فيفقدن شرفهن وتتحول بعضهن إلى بغايا ، ولذلك فإننا لا نجرؤ على إيداع النساء السجن.

ها أنا قد تجرأت على طرح ذلك أمامكم وأعلامكم بمدى الحرية التي يعيش فيها هؤلاء المسلمين ، ولا يقتصر الأذى الذي يسببونه على إقنان كثير من المسيحيين القدامى باتباع دينهم السني: أسأل الله ألا يكون من يتعاملون معهم من النبلاء ، لأن المصلحة الخاصة والرنيلة يؤثران كثيراً.

الراهب نيكولاوس ديل ريو.

الهوامش

- (١) انظر كتاب بورونات *Los moriscos españoles* ، الجزء الأول من، ٩٢٥ - ٤٢٥، حول تعليم المورисكين العقيدة الكاثوليكية راجع كتاب مارتن دي أيالا.
- (٢) كان سادة أراغون وفالنسيا يحمون رعاياهم الموريسكين مما سبب لهم مشاكل عديدة مع الحكومة المركزية ومع محكمة التفتيش .
Boronat: *Los moriscos españoles...*,t. II,p. 493 - 99. (٢)
- (٣) لاحظ البداية الغريبة للنص، كان المسيحيين القدامى على يدى يفشلهم في عملية تنصير الموريسكين .
Boronat: *Los moriscos españoles...*,t. II,pp. 444 - 49(٣)
- (٤) كانت العلامة التي يجبر الموريسكيون على وضعها مثار فخر لهم ، فهي تعنى ثباتهم على دينهم الإسلامى .

قضية السيد / سانشو دي كاردونا

نسخة من القضية التي نظرتها محكمة التفتيش في فالنسيا ضد السيد / سانشو دي كاردونا أميرال أراغون المتهم بحماية الموريسكيين وإبقائهم على دينهم الإسلامي^(١).

تبدأ هذه القضية الشهيرة بنقل شهادات قديمة كانت لدى محكمة التفتيش ضد أميرال أراغون السيد سانشو دي كاردونا. كان الشاهد الأول هو السيد / لويس مانريسا الذي أكد في ١٤ أغسطس ١٥٤٠ أن السيد / خوان دي كاردونا شقيق الأدميرال تحدث معه لكي ينفي ما كان قد اعترف به، وذكر أنه قد استجاب له، وفي السابع والعشرين من شهر مارس عام ١٥٤٠ أحضر من السجن وأدلى بشهادته من جديد. رأى السادة أعضاء المجلس في ٩ سبتمبر ١٥٤٠ أنه يجب أن يعدل عن شهادته. وفي رسالة أخرى بتاريخ ٢٥ نوفمبر قالوا: اطلعنا على شهادات كل من السيد / فيرناندو دي إيخار والقاضي ميديس حول ما حدث في البلدية وما نتج عنه ضد الأدميرال، وسيكون من المناسب أن نضيف هذا إلى ما ذكره مانريسا وأن تحفظ هذه المعلومات إلى أن يحين وقت الحاجة إليها، من المهم جمع كل المعلومات الممكنة حول هذا الموضوع ضد أي شخص، وذلك لرفع دعوى ضده في الوقت المناسب، وإذا كان ميديس أو الأدميرال أو أي شخص آخر قد قال إنكم يا دكتور أورتيث قد حصلتم على معلومات من هذا المجلس ضد زميلنا، فهذه المعلومات غير صحيحة؛ ولذلك فلدينا أسباب للشك فيها.

نفى ميفيل دي ميديس أنه أدلى بقوله أمام خوان غوتثاليث عضو محكمة التفتيش تتعلق بالأدميرال. إن غوتثاليث نفسه هو مصدر هذه المعلومات.

Apud Boronat: Los moriscos españoles.....,pp. 443 - 469 (١)

وقد أعلن ميغيل ثاراغوثا في ٦ مارس ١٥٤٢ أنه يقوم بتعليم المتصرين حديثاً في بال دى أكالا منذ ست سنوات وحتى الآن، وأن هناك قريتين مجاورتين لبال دى أكالا تتبعان الأدميرال، وفي الوقت الذي كان فيه سكانهما مسلمين كان الناس يؤذون الصلاة في مسجد بال دى أكالا ، وبعد أن عُين الشاهد كمعلم حاول جلب الناس لحضور الوعظ مثل غيرهم من سكان بال دى أكالا ، كما سعى إلى أن يعمدوا أطفالهم، ولا كان الشاهد يضغط عليهم لتعميدهم فقد لجأوا إلى الأدميرال وطلبوه منه أن يتفضل بمخاطبة النائب العام لكي يوافق على ذهابهم إلى بال دى سيتا لسماع الوعظ ولتعميده الأطفال؛ وهو مكان بعيد عن القرىتين، وليس به خدم كنيسة ولا يعمدون فيها أحداً، ولا يلقن فيها وعظاً ، وقد وصلت إليه هذه المعلومات لأن كاتباً شرعياً من بناغيلا يدعى فينيوار أخبره بكتاب من النائب العام يأمر فيه بالاً يتدخل أحد في شئون القرىتين، وأنه منذ بضع سنوات حتى الآن ولد في القرىتينأطفال ويعلم أنهم لم يُعمدوا ، ولما أراد أن يستعلم عن الموريسيكين في بال دى سيتا قالوا له إنه منذ سنوات لا يدخلها قسيس ولا يعمد فيها أطفال، وأضاف أن كل المتصرين حديثاً في هذه المملكة والمسلمين والعرب الذين يأتون من الجزائر يصلون أولاً إلى بال دى سيتا لدى السيد / رودريغو دي بيامونتي للاسترشاد فيرشدهم المدعو رودريغو ، وهكذا يصلون إلى هنا ثم يتوجهون إلى بالوب حيث يرشدهم السيد / غاسبار سانس ومن بالوب يبحرون، وهذا عرف الشاهد لأنه عاش في بال دى أكالا التي يصلون منها إلى بال دى سيتا ورأى أكثر من ألف شخص يمررون من خلالها إلى بال دى سيتا ورأى أشخاصاً يصلون من بال دى سيتا وغواداديت إلى بلانيس لكي يرافقوا بعض موريسيكي قرية مار غاليدا (التابعة لبال دى بلانيس) وقد رأهم الشاهد يذهبون إلى بلانيس ويعودون برفقة أهل القرية whom يحملون الأسلحة . وقد رأى أوليبا سافر إلى الجزائر، إن كل الموريسيكين الذين يتحدثون يقولون إنه أمر معلوم تماماً في هذه الناحية أن كل من يسافرون يرشدهم السيد / رودريغو دي بيامونتي أو السيد / غاسبار سانس وبعد ذلك يستقلون قوارب في الليل من هناك حتى سينغوربي طبقاً لما سمعه من الموريسيكين أنفسهم ، فهم يقولون إن القوارب تضيء البحر ليلاً

ولإن النار ترد على موقع في جبل غواداليت يُسمى أيتانا ، وهذا الجبل تتبعه منه نار ردًا على نار تتبعه من سيتا وبلافيس، ومن هذا الجبل إلى أماكن أخرى حتى سيغوربي. يقول التصريح « أنا / رودريغو دي بيامونتي نائب عام بالدي سيتا وغواداليت - بناء على أوامر سيدي الأدميرال - أمر بعبوركم بصحبة الزوجة والأبناء والملابس منطقة بالدي سيتا وغواداليت لكي تأتوا العيش فيها ... »، وهكذا يصلون ويستقرن إلى أن يجدوا فرصة لركوب السفن والمغادرة. وهذا ما يحدث يومياً بحيث لا يبقى أحد يعيش في هذه الناحية . وأنهى الشاهد حديثه قائلًا: إن هذه السفن تحصل مبلغ دوقة واحدة أو اثنتين أو ثلاثة حسب شخصية الراكب. وذكر الشاهد أنه قيسис من أكالا.

في ١٧ يوليه عام ١٥٤٤ أدلّى بالشهادة الراهب بارتولوس دي لوس أتخيليس، مبشر ومتّرجم وموفد إلى المتصرين حديثاً ، فقال إنه لدى وصوله إلى غورغا ، وهي بلدة الأدميرال كاربونا ، للتعميد ولزيارة الموريسيكين تحدث مع السيد رودريغو دي بيامونتي، وأفهمه أنه سيقوم بالتعميد في الناحية فأرسلوا إلى الموريسيكين في مليانة ، وقد أخبرته ليكون شاهداً على التعميد والتّبشير ، وبينما كنت أسير برفقة ابن السيد رودريغو ويدعى السيد / بورو قالوا له إنهم مشمّرون من مجئه ، وبعد أن أطلعهم على القرارات التي كان يحملها قالوا له إنهم يرغبون في حضور الأدميرال ، وقد أرسل الشاهد رفيقه لكي يخبر أسقف سيفويبيا. وقد حدث مع الأدميرال أنه لما كان الشاهد في قرية تابعة لكونثيتيانا اسمها مورو جاء شخص يدعى فينيوير خادم الأدميرال قال له إنه جاء لكي يمنع التعميد والتّبشير . ولما سُئل عن السبب أجاب: لأنهم يظنون أنكم ما جئتم إلا لتعميدهم وذبحهم، فإذا عمدوهم الآن فسيغادرون المكان، وسيفقد الأدميرال دخله وسيفقد صاحب الجلالة أحد كبار رعيته كما سي فقد خمسين فارسا وخمسين مقاتلاً راجلاً كان سيقدمها إليه سيدى عند الطلب، وقال الشاهد إن عليه إتمام عملية التعميد حتى لو انهار العالم ، وهكذا انصرف وذهب إلى التّبشير. أخبره مويان بلقائه مع الأسقف ، ولما سأله ميغيل فينيوير لماذا لا يذهبون للتعميد في بالوب فقد ساروا إلى هناك ، وفي الطريق التقوا بموريسيكي من القرية وافق على التعميد . وهكذا وصلوا إلى القرية وعمدوا أهلها جميعاً وعادوا إلى مكانهم وقال فينيوير للشاهد

«يا سيدى لقد عُدمنا» . طلب منه قائمةً بأسماء المعذبين ونظر فيها وحملها معه . وسار نحو قرية بالفوج مائة وثمانين شخصاً لم يُعدوا، ورافقه السيد / بدرو دي بيامونتى وقال له : « لقد قال هذا إنكم لن تأتوا إلى هنا مرة أخرى ولكن لا تدخلوا إلى هنا فقد جمع من القرية مبلغ ٢٨٠٠ دوقية ، ولما رفضوا الدفع في البداية قال لهم: ادفعوا ، ادفعوا فقد طردت لكم الراهب من هنا، ولن تتعرضوا لمحكمة التفتيش وإن يأتى إلى هنا راهب آخر ولا أدميرال آخر لكن افعوا لي لكي أحبركم، ولكن تعيشوا كما تحبون» . وقال لهم الشاهد في أول موعظة القاما في مليانة مساء يوم أحد « قال لكم ميغيل فينيوار إننى لن أتى ولن أجرب على الدخول، هأنتم تروننى هنا، حيث جئت بفضل الله، قولوا له يأتى لكي يمنعنى فأنت لا تخشى الأدميرال، ولا تخشى أى شخص آخر إلا الله، وحتى لو أمر الإمبراطور بآلا أبشر فلن أترك التبشير». في تلك الليلة بقى الشاهد للمبيت في بال دى سيتا وقال السيد / بدرو « حتى الآن كان الشيطان ينام على هذا السرير، والآن ينام الملك » . قال ذلك لأن فينيوار هو الذي كان ينام قبل ذلك ثم نام الشاهد.

هذه الشهادة أكدتها خادمه خوان دى ميراندا وعمره تسعة عشر عاماً.

وأكَدَ غابرييل مونيوث في ١٣ مارس عام ١٥٦٢ - كخادم لأدميرال أراغون - أن الأدميرال لم يعترف منذ عشرين عاماً ، وأنه عندما كان يحيي الأسبوع المقدس كان يذهب إلى مكان اسمه بيتشي، وكان يعود ليلة العيد.

وأعلن ميغيل خوان دى توريث أنه في بال دى غوادالبيت وفي القرى الأخرى المجاورة يعيش المتصرون حديثاً كمسلمين، وأنه كان لهم مسجد في مكان ما في بال دى غوادالبيت اسمه أدثانيا . وكانوا يذهبون إليه لأداء الشعائر الإسلامية.

وأكَدَ أنطونيو خوان أثثار - قسيس وراعي بال دى سيتا - أن كل المؤرسكيين المقيمين في دائرة يعيشون كمسلمين ، وأن مسجد أدثانيا قد أعيد بناؤه بأمر من الأدميرال. وكان الشاهد قد رسم عدة صلبان في المسجد، وعلى إثر ذلك كانت له حوارات مع الأدميرال. وأضاف أن المسلمين في هذه القرى يمارسون شعائرهم بثقة لا مثيل لها في هذه المملكة، ويقيمون احتفالاتهم، ويورقون أغصانهم علانية، وكلهم - كباراً وصغاراً - مختتنون ويؤدون شعائر المسلمين دون خوف.

وأكَدْ فيرناندو دي أوردونيا خايم الأدميرال أن هذا الأخير قد أصدر أمراً بإعادة بناء مسجد اثنينيتا، كما أكَدْ أن الموريسكيين في هذه القرى يعيشون كمسلمين ويُؤدون شعائر المسلمين .

أما فراتشيسكو بيريث دي تيران - كاتب بيتishi الشرعي - فلم ير الأدميرال يعترف، ويضيف أن موريسكي يعيشون كمسلمي الجزائر. ويوُكَدْ بدور سانشو - وهو كاتب كنسى - أن الأدميرال لا يعترف منذ سنوات بل إنه لم يعترف طوال حياته.

وقال ميغيل دي براديس إنه عندما اعتقلت محكمة التفتيش بعض الفقهاء وأحرقتهم ابتعد الموريسكيون عن بعضهم البعض، ولم يكونوا يجتمعون أبداً كما كان يحدث في السابق، وكانتوا أذلاء، وعندما سافر بعض الأعيان إلى العاصمة لرفع المعاناة عنهم نشطوا وعادوا للاجتماع كما كانوا يفعلون من قبل. إن هذه الحماية كان وراءها كل من الأدميرال والسيد / خايمي ثينتياس والسيد / فراتشيسكو دي بورخا ونونسيغوريبي الذي يثق فيه الموريسكيون جداً.

وأكَدْ خوان خوست - وهو قسيس من بلدة بيا إيرموسا - قضية إعادة بناء المسجد، وأن بعض الموريسكيين من سيفوربي كانوا يذهبون للسهر في المسجد. ويصف فراتشيسكو أنطونيو - وهو من مدينة الجزائر - الشعائر التي كان الموريسكيون يُؤدونها، وكيف كانوا يعلمون أبناءهم.

واعترف فراتشيسكو ريباس ، وهو تونسي متنصر حديثاً، ومن بلدة بناغواثيل ، بأنه عندما ذهب إلى غوادالكت أدى الشعائر الموريسكية، وصلى صلاة الحمد في المسجد. وقال فراتشيسكو تاريفا وهو دكتور في القانون إنه عندما تحدث مع السيد / سانشو دي كاربونا حول تعليم المتصرين حديثاً والموريسكيين من أبناء هذه المملكة، رأى أن الأدميرال فكر في أن يسافر أحد رهبان دير المبشرين - من أبناء المدينة ومقاؤض جيد - أن يسافر على نفقة الموريسكيين إلى روما لكي يُعلم صاحب القداسة أن تعميد الموريسكيين كان تعميداً إجبارياً، وذلك حتى لا تتخذ إجراءات محاكمتهم أو محاكمة الآخرين. وإنه سمع من الأدميرال أنه قرر أن يسافر موريسكي اسمه نابارا

- وهو مسلم صفت عن محكمة التفتيش وقدم إلى قشتالة هذه الأيام - أن يسافر إلى السلطان التركي لكي يحاول أن يوجه السلطان رسالة إلى البابا يقول له فيها إنه بما أنه يسمع للمسيحيين بأداء الطقوس المسيحية، فمن المنطقى أن يدع المسيحيون المسلمين يؤذنون الشعائر الإسلامية، وأنه إذا لم يحدث ذلك فسيضطر إلى أن يجبر المسيحيين في تركيا على اعتناق الإسلام... وأنه لما تحدث عن أمور فرنسا قال: «لو أن لي أراضٍ مجاورة للحدود الفرنسية لحاولت معالجة أوضاع الموريسيكين، وذلك بالسماح بدخول الثائرين هناك - اللوثيريون على ما ذكر - فإذا دخلوا إلى إسبانيا وقاموا بنشاط فلن يتحدث أحد عن نشاط الموريسيكين».

في ٢٥ مايو عام ١٥٦٨ اعترف لويس ثابارو المتصر حديثاً بصححة واقعة أن موريسيكين من هذه المملكة قدمو إلى هذه المدينة للحديث مع كونت بناختي ومع الموريسيكين الآخرين لكي يأذنوا لهم بالذهاب لتقديم شكوى إلى صاحب الجلالة يقولون فيها إن تعذيبهم تم بشكل قسري ، وإنهم لا يريدون أن يكونوا مسيحيين (رغم أن ذلك لا يقولونه بشكل مباشر واضح) ، وأضاف الشاهد أن الأدميرال نصحهم بالذهاب إلى الملك لطلب العدل، وذكر أن الملك سيستمع إليهم فإذا لم يستجب لطلفهم فيلذهبو إلى البابا. وفي شهادة أخرى بتاريخ ١٩ يونيو أضاف الشاهد - بخصوص بالتasar ثامورا - أنه لما تحدث مع الأدميرال قال الأدميرال : « إن الموريسيكين لا يجيئون التعامل مع القضية » ، وسأله ماذا يجب أن يفعلوا ؟ فنجاب « عليكم بالثورة » واكتفى خادم ثامورا بقوله إنه لما تحدث مع الأدميرال قال: « في حوض نهر ميخاريس سيثور بعض الشبان، وسيتسببون في إلحاق الإضرار» وأضاف لويس ثابارو أنه لما سأله كيف سيقومون بالثورة إذا كانوا لا يمتلكون أسلحة؟ رد الأدميرال « لن تنتصرون بالأسلحة » وبالفعل كان كلامه - كلام الأدميرال - يعني أنه سعيد بقيام الثورة. ويسرد خوان باوستا سايس محاوراته مع الأدميرال ويؤكد المساعي التي كانوا يريدون القيام بها لدى الملك والبابا. وقد أكد شهود آخرون هذه الواقع.

وقال السيد ايرناندو دي ابن عامر بعد أن أخرج من السجون السرية (*) - في ٢ يونيو ١٥٦٨ إن الأدميرال ذكر له أنه من المفيد إصدار الأمر بذلك والسعى لدى الملك

(*) لاحظ ارتباط هذه القضية بقضية كرسني بن عامر ، والقضيتان تنظرهما محكمة التفتيش في فالنسيا (المترجم) .

والبابا... وأنه قال ذلك لأسقف سيفوربي، وأن الأسقف قد نقل الكلام إلى الرئيس الإقليمي. وفى شهادة أخرى بتاريخ ٢٥ يونيو قال إنه عندما أمر صاحب الجلالة بنزع سلاح المتصررين حدثاً فى هذه المملكة فإن الموريسيكين كانوا يقولون بينهم إن الأدميرال هو سبب هذه الفاجعة، لأنه وافق على بناء مسجد فى غواداريليت يقصده الموريسيكين من كل مكان لأداء الصلاة، وإنهم لهذا السبب كانوا يعطونه عشرة جنيهات كل عام كما كانوا يعطونه فى زمن المسلمين.

وقد طلب امتناث فى ٣ يونيو ١٥٦٨ أن يودع الأدميرال السجن، وهذا ثابت فى قرار بتاريخ ١٢ يناير ١٥٦٩ . ولما عرض الأمر على صاحب الجلالة وافق على أن يُسجن فى بيت مجاور لمحكمة التفتيش على أن يتحمل السجين نفقات الحراسة، وعلى أن يفتح فى البيت باب لدخوله وخروجه إذا استدعي. وقد صدر الأمر بذلك فى ٢٤ يناير ١٥٦٩ . وفي نفس اليوم تم تعيين الحراس وأقسموا اليمين. وقد عين السيد/ سانشو دى كارودونا الأدميرال أسماء الضامنين له وهم السيد/ خيرونيمو باردو قائد مونيتسا والسيد/ فرانثيسكو بيلاريتشى رئيس بلدة بارونيا دى ثيرات.

وفى ٢١ يناير ١٥٦٩ كان عمر الأدميرال ثلاثة وسبعين عاماً ، وأدى بشهادته بعد حلف اليمين.

وقد قدم ممثل النيابة مذكرة الاتهام التى ترقق نسخة منها.

حاول المتهم فى اعترافاته التخلص من كل التهم التى وجهها إليه ممثل الإدعاء. عين المتهم محامياً عنه هو السيد/ ساراثولا الذى كتب مذكرة الدفاع التى ترافقها. وبيناء على الأدلة فقد صدر الحكم بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٥٦٩ وتم إعلام المتهم بالحكم فى نفس يوم صدوره، وكان الحكم هو إلزام المتهم - فى حضور اثنى عشر شخصاً - على أن يحمل فى يده شمعةً خضراء ، وأن يتوب عن ننوبه. من الثابت بعد ذلك أنه تم تنفيذ الحكم، وأن الأدميرال قد تاب عن الذنوب التى اتهم بارتكابها، أو أية تهمة أخرى تتعلق بالإلحاد ، كما هو وارد في سجل محكمة التفتيش الخاص بالتائبين. وقد أعلمه أعضاء محكمة التفتيش أن عليه أن يعترف مرة كل شهر، وأن يتناول القربان المقدس فى دير سانتو نومينغو بمدينة كوبنكا وذلك طيلة المدة التى يراها مناسبة، والتى يراها المجلس مناسبة. وقد حُكم على المتهم بدفع مبلغ ألفى ذوقية، وقد أُودع دير سان بابلو

في كوبنكا بتاريخ ٤ مارس ١٩٧٠ . وبناء على أمر أصدره رئيس محكمة التفتيش العامة الصادر في ٢٠ أكتوبر فقد استبدل الدير المذكور بدير يسوع أو دير مبشرى فالنسيا . وبناء على أمر آخر صدر عن نفس الجهة في ٢٤ يوليه ١٩٧١ حدث تغيير آخر وأصبحت إقامته محدودة في مدينة فالنسيا وضواحيها دون الخروج إلى القرى .

السادة المحترمون :

تقينا رسالتكم المؤرخة في الرابع من هذا الشهر وبها شهادة ضد السيد / سانشو دي كاردينال أرغون، وقد فتحت الرسالة بحضور الكاردينال رئيس محكمة التفتيش العامة، وبينو لقادسته ولآخرين ضرورة إجراء مزيد من البحث والتحري وإرسال رأيكم لنا في أسرع وقت ممكن .

مديري في مايو ١٩٦٨ :

منذ أيام ومحكمة التفتيش هذه على علم - بطرق شتى - بأن سادة الموريسيكين يكرمون المسلمين المتصررين من أجل تسهيل عملية تعليمهم. ليكن ذلك في الظاهر فقط وبما يتفق مع حسن السياسة . وكنا قد كتبنا إليكم في هذا الشأن عن تزايد هذا التكريم من جانب السادة ، خاصة ما فعله السيد / سانشو دي كاردينال أرغون الذي تؤخذ عليه بعض الأمور التي تشكي في حُسن تدینه المسيحي ، بل يؤخذ عليه كذلك التواطؤ الواضح مع الموريسيكين في أمور تتعلق بعبادة الرب بل ويتعلق بعدم الإخلاص فيما ينبعى عليه عمله تجاه صاحب الجلة ، ذلك أنه يبدو كما لو كان يريد زعزعة الوضع واستقرار السلام في المالك من أجل أن يمارس هؤلاء المواطنون دينهم السني .

رأينا أن نرسل إليكم المعلومات المتوافرة ضده لدى محكمة التفتيش ، ولفت نظركم إلى فكرتنا السنية عنه ، وكل ذلك يستدعي علاجاً من ربنا الله، ومن صاحب الجلة . ومنكم بحيث لا تمضي المحاولات السنية للموريسيكين قدمًا .

حفظ الله السادة ووففهم لما فيه طاعته المقدسة .

فالنسيا فى ١٤ مايو ١٥٦٨

يقبل أيديكم كل من

خريونمو مانريكي وخوان دى روخاس

الاتهام

السادة المحترمون :

يمثل أمامكم الدكتور / مويانو ممثل الإدعاء لدى هذه المحكمة، ويروجه الاتهام إلى السيد / سانشو دى كاردونا أدميرال أراغون المقيم بمدينة فالنسيا وال موجود حالياً.

رغم أنه شريف مسيحي ذو نسب عريق، وشخص يتبعه عليه أن يكون قدوةً كمسىحي مخلص، ورغم أنه تم تعميده ويتمتع بالمزايا والحريات التي يتمتع بها المسيحيون الكاثوليك، إلا أنه لم يخش الرب، ولم يحترم العقيدة الكاثوليكية المقدسة، ولم يحترم تعاليم الكنيسة، بل شجع الموريسكيين على إقامة شعائرهم والأفكار الإلحادية والآخطة الوثنية، فارتكب بذلك جرائم الإلحاد التالية:

إن أراضي الموريسكيين الواقعة في هذه المملكة، والتي مورست فيها شعائر دين محمد بحرية أكثر، كانت هي المنطقة التابعة للسيد / سانشو دى كاردونا ، ذلك لأن الموريسكيين وجدوا فيه تحمساً لهذا العمل.

إن كل المساجد الواقعة في قرى الموريسكيين قد تم إغلاقها بعد تنصير الموريسكيين أو بعد رحيلهم، وتم تحويلها إلى كنائس، كان هذا الأمر معروفاً للكافة، ولا يستطيع أحد الزعم بأنه يجهله. ومنذ وقت طويل كان السيد / سانشو دى كاردونا في يال دى غوادالبيت التابعة له ، وهي قرية يقطنها المسلمون المتصرفون، وكان يتقد المكان فوصل إلى أدثانيا ، ورأى بها مبنى مهدمًا كان مسجداً في زمن المسلمين وكان يأتي إليه كثير من المسلمين لأداء الشعائر، ولما سأله السيد / سانشو ما هذا؟ أجابه الموريسكيين الذين كانوا برفقته أنه مسجد، وسألهم السيد / سانشو ولماذا هو متهدّم؟ فأجابوه أنهم لا يجرفون على إعادة بنائه كمسجد، فقال لهم إنه يصرح لهم بذلك.

في الوقت الذي لم يكن فيه الموريسيون في هذه المملكة قد تم تعميدهم كانوا يجتمعون في هذا المسجد لأداء الشعائر، زاعمين أن هناك قدس مسلم مدفون فيه.

إن تعلق الموريسيين الخاطئ بهذا المسجد لذلك السبب قد جعلهم يطلبون من السيد/ سانشو أن يصرح لهم ببيانه، وهو قد صرخ لهم وأوقع نفسه تحت طائلة العقاب الذي تقرره الكنيسة لمن يقومون ببناء دور عبادة للكفار تضر بعقيدتنا الكاثوليكية المقدسة.

على أثر هذا التصريح قام الموريسيون المقيمون في أوثانيا - يعاونهم موريسيو بال - بسرعة بتشييد المسجد، ووضعوا له أبواباً رئيسية لأداء الصلاة والوضوء، وكانوا يغسلون به.

بعد بناء المسجد كان كثير من الموريسيين في وقت معين من العام يندون إليه من بال دى غوادالبيت ومن غربنطة وقشتالة وقطالونيا وأماكن أخرى رجالاً ونساءً لأداء الشعائر الإسلامية، كما لو كانوا في فاس، وكان يجتمع هناك أكثر من ستة عشر شخص معظمهم حافى القدمين كالحجاج.

إن الوضع المذكور قد استمر عدة سنوات، وكان السيد/ سانشو يعلم بذلك بل ويشجع عليه، ويعلم به الأشخاص الذين عينتهم الحكومة في بال دى غوادالبيت وكونفريديس وسيتا، مما أثار فضيحة كبيرة في كل أنحاء المملكة، ولم يكن للناس حديث آخر.

ولما قام أسقف فالنسيا بزيارة هذا المكان بعد علمه بفضيحة بناء المسجد وقدوم الموريسيين لزيارته، لم يقم بهدم المسجد رغم رغبته في ذلك؛ لأنه علم أن ذلك ليس من صلاحياته فاكتفى بوضع علامة الصليب داخل المبنى، حتى يعلم خدم ورجال السيد/ سانشو أنه من الآن فصاعداً لا يجب أن يسمحوا بإقامة الشعائر الحمدية ريشما يتم حسم الأمر.

بعد وضع علامة الصليب داخل المبنى المذكور حزن المؤريسيكين كثيراً لدرجة أنهم ذهبوا لتقديم الشكوى إلى السيد/ سانشو ، وقد تأثر هو بذلك، لدرجة أنه تحدث مع شخص وأبدي حزنه لوضع علامة الصليب وحظر إقامة الشعائر ، ولم يكتف السيد/ سانشو بتوجيهه السباب للأسقف، ولشخص كان برفقته بل قال إنهما فعلوا ذلك من أجل مصلحتها الشخصية .

ورغم أن على السيد/ سانشو واجب الطاعة الكاثوليكية المقدسة لصاحب الجلاة الإمبراطور، لأن الملك الطبيعي، وأن يده الملكية قد قدمت للمسيحية فوائد كثيرة من خلال حربه ضد الكفار وإنزال العقاب بالملحدين، رغم ذلك إلا أن السيد/ سانشو قد عصى أوامر صاحب الجلاة بقوله إنه يبيو له أن قرار صاحب الجلاة بتعزيز المؤريسيكين في هذه المملكة قد أضر المملكة ، وهي كلمات تحمل معنى انتهاك حرمات الدين، وهو عصيان يستحق أقصى العقوبات.

ورغم أن تواجد المؤريسيكين من هذه المملكة ومن قشتالة وأراغون وقطالونيا إلى هذا المسجد لأداء الصلوة، ومعهم فقهاء يرتدون ملابس خاصة خلال فترة ما من كل عام، رغم أن ذلك استمر عدة سنوات وسط استهجان المملكة فإنه لا السيد/ سانشو ولا الأشخاص الذين عينوا لراقبة الأرضاع في الأماكن التي شبيوا فيها المسجد قد جاؤوا لعرض الأمر على محكمة التفتيش، بل وافق المذكورون على استمرار الوضع امتهاناً لعقيدتنا الكاثوليكية المقدسة.

كان أمر تشييد المسجد معلوماً ، وكان وفود المؤريسيكين إليه معلوماً، وكانت الفضيحة كبيرة ووصلت إلى مسامع أسقف فالنسيا، ثم إلى مسامع جلاة الملك فيليب سيادنا، وبأمر صاحب الجلاة - كمسيحي مخلص - هدم المسجد، ورغم هدمه فقد استمر قائماً كمكان يعيش فيه المؤريسيكين بدعم من السيد/ سانشو. إن رعايا السيد/ سانشو من المنصرين قد واصلوا أداء شعائر طائفتهم الخاصة بالزفاف والزواج، والخاصة بصيام رمضان، والاحتفال بالأعياد التي يحتفل بها المسلمين، وختنان الذكور كباراً وصغاراً.

بعد أن أدرك صاحب الجلالة ضرورة أن يدخل المسلمين المتصرون من هذه الملكة إلى حظيرة العقيدة الكاثوليكية المقدسة، وضرورة ابعادهم عن أخطائهم الحمدية، أمر بأن يجتمع قساوسة المملكة للاتفاق على ما يجب عمله بشأن تعليم المؤrisكين. وبناءً على طلب صاحب الجلالة فقد أصدر قداسة الباب أمراً إلى الكاردينال رئيس محكمة التفتيش العامة بأن يحضر جميع المتصرون في هذه الملكة في وقت وجيز للاعتراف بأخطائهم، على أن يتم التصالح معهم والصفح عما ارتكبوه. وقد أصدر صاحب الجلالة أمراً تفضل فيه برد ممتلكات المؤرسكين المصدرة إليهم والتي صودرت بناءً على ارتكابهم جرائم الإلحاد.

إن هؤلاء المسلمين المتصرون حديثاً - والذين يدعمهم بعض أصحاب السلطة ، وخاصة السيد/ سانشو دي كاردونا - لم يقوموا بالرد المناسب على رحمة البابا، ولا على تفضل صاحب الجلالة ، بل قالوا علناً إنهم يرون أن يكونوا مسلمين لا مسيحيين، وأرسلوا أشخاصاً كثيرين من هذه المدينة يحملون توكيلاً من أبناء القرى لتشجيع المؤرسكين الآخرين على التمسك بطاقة محمد الخاطئة . وكان السيد/ سانشو المذكور يتصل بالقرى الأخرى ويحضهم على أن يكونوا مسلمين لا مسيحيين ويقول لهم إنهم لم يُعملوا بشكل صحيح ويحضهم على الثورة . ولكن يدفعهم إلى ذلك كان يقول إنه يعلم أن المؤرسكين سيثورون في بعض نواحي الملكة وأنهم لن يلحقهم أذى بسبب ثورتهم ، وبهذا الشكل لم يكتف بارتكاب جريمة ذات بُعد ديني، بل ذات بُعد إنساني أيضاً حيث أنه شجع على الثورة لكي يتحول المؤرسكين إلى مسلمين.

إن السيد/ سانشو كانت رغبته صادقة في أن يتحول المؤرسكين إلى مسلمين لدرجة أنه كان يرفض أي شيء يبعدهم عن ذلك ، ولما رأى أن تعليم المؤرسكين العقيدة الكاثوليكية يحظى بتأييد جلالة الملك راعي المسيحية تجراً على عصيانه، وعلى القول بأن صاحب الجلالة أخطأ فيما يتعلق بالمؤرسكين ، وهو قول يستحق عقوبة شديدة.

ولما سأله أحد الأشخاص السيد/ سانشو وهو يحرض المؤرسكين كيف سيقومون بالثورة وهم لا يحملون أسلحة أجابه -- كشخص محرض يعلم أن هناك أسلحة مخبأة في مكان ما -- بأنه لن تنقصهم الأسلحة.

إن المتنصرين قد وجدوا تأييداً كبيراً من الأدميرال لكي يؤدوا شعائرهم الإسلامية، فلم يقتصر الأمر على الإذن لهم بتشييد مسجد في غوادالبيت وكونغفريوس وسيتا وأداء الشعائر فيه، بل إنه في بيتشي - وهو مكان تابع للسيد/ سانشو، ويقيم فيه أكثر مما يقيم في مكان آخر - يعيش الموريسكيون كما يعيش المسلمون في الجزائر: يؤدون شعائر المسلمين، بل والأكثر إيلاماً للنفس أن لهم مكاناً عاماً في بيتشي يؤدون فيه الصلاة ، وهو أمر لا يستطيع السيد/ سانشو الزعم بأنه يجهله، ولم يعالج مساعدوه الوضع.

لم يكتف السيد/ سانشو بعدم معالجة الوضع وإقناع الموريسكيين بالتخلي عن ممارسة حياة المسلمين علانية، بل إنه شجعهم على أن يكونوا مسلمين كشخص لا يشعر بسعادة في اعتناق عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة، ولما عنف أحد الأشخاص رعايا السيد/ سانشو؛ لكي يبتعدوا عن أخطاء محمد، ولكي يكونوا مسيحيين - وكان السيد/ سانشو حاضراً- وأجابه الموريسكيون بأنهم لا يريدون أن يكونوا مسيحيين بل مسلمين فإن السيد/ سانشو سكت وهذا يعني أنه راضٍ عن إجابة الموريسكيين ، مقنع برغبتهم.

في معرض الحديث عن المتنصرين حديثاً والسيطرة عليهم قال السيد/ سانشو إنه من المناسب أن يتظاهروا باتباع المسيحية، وأن يكونوا مسلمين في الحقيقة، وأن يعيشوا كما يرغبون في السر، وهو هكذا يُبدي بوضوح رغبته في احتفاظهم بدينهم، على الأقل سراً ماداموا لا يستطيعون ذلك في العلن، ولما قيل له إن كلامه إلحاد لأن العقيدة المسيحية يجب أن تمارس في السر وفي العلن سكت السيد/ سانشو.

كان السيد/ سانشو يحزن لتعليم موريسكي هذه المملكة الدين المسيحي، لدرجة أنه كان دائمًا يخترع عوانق تحول دون ذلك، ولدرجة أنه تحدث مع شخص لكي يخبر قداسة البابا بأن الموريسكيين قد عمدوا قسراً بقتل بعضهم، وبالتالي على بعضهم الآخر وتهديده لكي يتعمد. وقد أفهم السيد/ سانشو الشخص المذكور ما يجب أن

يقوله للبابا حتى يعلن أن موريسيكي هذه المملكة قد عُدموا قسراً، وأن بإمكانهم العيش كما يرغبون.

كان السيد/ سانشو يقول إنه إذا لم يستجب قداسة البابا لطلبه فسيتوجه برسالة إلى السلطان التركي يخبره فيها بالوضع، ويطلب منه أن يكتب إلى قداسة البابا وإلى صاحب الجلالة ويقول لهما إنهما قد أضرا المسلمين بتعميدهم قسراً، ويمطرادة محكمة التفتيش لهم، وهذا ضد العدل حيث أنهم ليسوا مسيحيين ولا معمدين، لأن ذلك لم يكن تعميدها، وإن القساوسة الذين زعموا للملك أن المسلمين تم تعميدهم قد كذبوا عليه لكنه يحصلوا على مكاسب لهم.

وقد واصل السيد/ سانشو حديثه عن مضمون الرسالة التي سيبعث بها السلطان التركي إلى قداسة البابا وإلى صاحب الجلالة، فقال إن الرسالة يجب أن تتضمن أيضاً أن السلطان التركي بسعه أن يفعل بمسحيي ممالكه أكثر من ذلك لكنه يتركهم يمارسون دينهم بحرية دون إجبارهم ، وأن قداسة البابا وصاحب الجلالة لن يسمحا بالضغط على المسلمين، بل سيتركانهم يمارسون دينهم، وأن السلطان التركي سيفهم البابا والملك أنهما إن لم يفعلوا ذلك فإنه يستطيع أن يفعل نفس الشيء مع المسيحيين في بلاده، وسيحثهما على معاملة الموريسيكيين في هذه المملكة معاملة طيبة.

لم يكتف السيد/ سانشو بقوله إنه سيكتب رسالة إلى السلطان؛ بل قال إنه سيخبر السلطان التركي في الرسالة بكل ما حدث ضد المسلمين في إسبانيا، سواء من يعيشون في قشتالة أو غرناطة أو في هذه المملكة، وفي مناطق أخرى من إسبانيا ، وقال إن مسلمي هذه المملكة أخطئوا حين لم يعالجو الوضع بهذه الطريقة.

لم يكتف السيد/ سانشو بقول ما سبق بل قال لهم - لكنه يحفز الموريسيكيين، ولكيلا تتم السيطرة عليهم - ألا يتقو بما ي قوله ميراندا عضو محكمة التفتيش ولا الأعضاء الآخرون، فهم كاذبون ولا يصدقونهم القول بل يخدعونهم، وأن أغيليرا (عضو محكمة التفتيش) لما زارت جرأته عن الآخرين ضد الموريسيكيين، فقد لقي من صاحب الجلالة الجزاء الذي يستحقه.

إن الأدميرال كان راغبًا في أن يبدأ هذا العمل لدرجة أنه كافأ من سيقومون به وشكراهم، بل كان يقول إن صاحب الجلالة سيشكرهم على ذلك وسيكافئهم عليه.

إن الأدميرال كان حريصاً على إتمام هذا العمل لدرجة أنه تعهد بإرسال الرسالة إلى السلطان التركي ، ولما فهم أن بعض الموريسكيين سيحصلون على مزايا لكن يتعلموا إرسال الرسالة، فقد طلب بالحاج أن يحصل الموريسكيون على هذه المزايا، ولما رفض طلبه غضب ووجه إليهم كلمات جارحة.

في فحوى الرسالة إلى السلطان التركي يكشف السيد/ سانشو بوضوح أنه يرغب في إثارة الناس؛ لإحداث اضطرابات وتبرير ما يقوله للسلطان التركي في الرسالة (وهو أكبر عدو للمسيحية)، وإحاطته علمًا بعدد الموريسكيين الكبير في إسبانيا، وأنهم يعيشون كمسلمين ، وأنهم غاضبون إزاء الرغبة في تحصيرهم. بهذا يبرر للسلطان التركي أن يحدث شيئاً في ممالك صاحب الجلالة من خلال الموريسكيين. نفهم أن قيام الأدميرال بإبلاغ الموريسكيين بذلك يمكن أن يسبب اضطرابات... من هنا يتضح أن السيد/ سانشو ليس مخلصاً لسيده الملك، وأنه بذلك قد ارتكب جريمة ضد صاحب الجلالة.

بما أن السيد/ سانشو قد زعم للسلطان التركي أن الموريسكيين هنا مضطهدون ويُعاملون بقسوة ، وحيث أن السلطان التركي متواضع وطاغية ! فقد برر له أن يعامل المسيحيين في بلاده بقسوة ، وهكذا يكشف السيد/ سانشو عدم حبه للآخرين ، كل ذلك من أجل أن يمارس المسلمين في هذه المملكة شعائر دينهم الإسلامي.

كان السيد/ سانشو حامياً للموريسكيين في هذه المملكة وراغباً في أن يعيشوا كمسلمين، لدرجة أنه قال إنه يسره لو أن أرضه متاخمة لأرض اللوثريين، لكي يسهل دخول مسلحين لوثريين إلى إسبانيا؛ وذلك حتى يؤدي دخولهم إلى تخفيف الضغط على الموريسكيين، وحتى يتركونهم يمارسون شعائر دينهم ، وهكذا فضل ممارسة الموريسكيين للإسلام على طاعة الرب والملك ، مما ززع استقرار السلام في الممالك المسيحية.

لما كان السيد/ سانشو يرغب في تعطيل تصوير موريسيكي هذه الملكة فلم يكف بوضع العراقبيل أمام ذلك ، بل اخترع عائقاً آخر وخيم العاقبة؛ ألا وهو قوله لل المسلمين المتصررين حديثاً إن محكمة التفتيش عندما تلقى القبض عليهم ويعترفون ستسجنهم إلا إذا قالوا إنهم مسلمون ويرغبون في العيش كمسلمين، كل ذلك بهدف أن يتمسك الموريسيكيون بالإسلام.

حاول السيد/ سانشو - ومعه شخص آخر - خلال السنوات السابقة معرفة سر محكمة التفتيش، وذلك بتحريض أشخاص تم التصالح معهم أن يكشفوا له ما اعترفوا به أمام محكمة التفتيش. ونظرًا للاحراج السيد/ سانشو والشخص الآخر ، فقد اعترف المتصررون، وهو ما يتعارض مع ما أقسموا عليه، وهو ما يصيب محكمة التفتيش في أمر جوهري من أمور عملها ...

لم يكفي السيد/ سانشو بمحاولة معرفة ما اعترف به المتصررون أمام محكمة التفتيش ، بل إنه - محاولة منه لترابع المتصررين بما اعترفوا به أمام المحكمة - قال لهم كلمات جعلتهم يتراجعون بالفعل، فقد أفهمهم أن ذلك ليس خطراً عليهم.

لما كان السيد/ سانشو يعتقد أن محكمة التفتيش ومهمتها المقدسة تتعارض مع رغباته ، فقد حاول التقرب إلى شخص ما، وأقنعه بأن يحاول معرفة سر محكمة التفتيش وذلك حتى يستطيع أن يعرقل عمل المحكمة.

لما لم يجد في الشخص المذكور قابلية العمل فقد أكرم السيد/ سانشو ذلك الشخص، واستمر في إقناعه ، وكانا يتحادثان بمفردهما لمدة ساعتين ، أو ثلاثة ساعات في بعض الأيام.

بعد أن اعتقلت محكمة التفتيش السيد/ سانشو سأله مما إذا كان الشخص المذكور يعمل في أمانة سر المحكمة.

منذ وقت طويول وقبل إنشاء كنيسة فالنسيا كان هناك ولا يزال أمر رسولى من قبل قداسة البابا - يعاقب من يخالفه بإعلان كفره - يقضى بلا يستولى السادة بأنفسهم أو عن طريق آخرين على إيراد الكنيسة.

ورغم أن السيد/ سانشو كان على علم بالأمر السابق، لأنَّه معروف للكافة في المملكة، إلا أنه استولى - عن طريق آخرين - على إيرادات الكنيسة من بالدي غواداليت، وكان خدمه يستولون على الثمار ويجمعونها مع ثمارهم ، وكانوا يضرون بحرية الكنيسة في العمل.

لما كان السيد/ سانشو ذا سلطان ، فعندما كان يعلم أن شخصاً ما يريد أن يتحدث عن إيرادات غواداليت ، كان يهدده، ولم يكن يراعي ضمائره.

ولما فهم أحد قساوسة كنيسة فالنسيا الأضرار التي سببها مسلك السيد/ سانشو لإيرادات الكنيسة ، وأنَّه يكون قد استحق عقوبة إعلان كفره ؛ فقد نصحه بترك ذلك، فقال له السيد/ سانشو : إذن ليذهب غيري لجمع الثمار وسيرون ما يحدث لهم.

لم يشأ السيد/ سانشو أن يؤدي ما عليه من الثمار لأنَّه شخص لا يهمه انتهاك العرمات الدينية.

نظراً لأنَّ السيد/ سانشو لم يكن يعتقد في ضرورة اعتراف الموريسيكيين - متعملاً مع الأفكار اللوثيرية - فقد استمر لمدة عشرين عاماً لا يعترف.

وحتى لا يفهم أحد أنَّ السيد/ سانشو لا يعترف في الأيام التي تحدها الكنيسة وهي خلال أسبوع القدس - عندما يذهب السادة الآخرين الائتماء للاعتراف ، مقدمين بذلك القدوة لغيرهم كوجهاء - فقد كان السيد/ سانشو يذهب إلى قرية موريسيكية أخرى تابعة له حتى يتتجنب الاعتراف ، وكان يعود إلى المدينة ليلة العيد ، ولم يكن يعترف في أى مكان لأنَّه كان يسوعه الالتزام بتعاليم الكنيسة.

حيث أنه في هذه المدينة قد تم نشر إعلانات كنسية ضد الأشخاص الذين لا يعترفون في الوقت الذي تحده الكنيسة والجميع يعلم ذلك ، ولما كان الأمر كذلك فإنَّ السيد/ سانشو رغم علمه - ورغم التحذيرات الواردة في الإعلانات - إلا أنه أصر على عدم الاعتراف؛ وذلك لشعوره بأنَّ أوامر الكنيسة غير ملزمة.

لذلك فإنه بناءً على اعترافات السيد / سانشو أدميرال أراوغون فإني أطلب منكم اتخاذ الإجراءات ضدّه ، وإعلان إلحاده ، وإعلانه كمناصر للملحدين ولن يمارسون شعائر محمد ، وبناءً عليه يكون قد تورط في الخروج على تعاليم الكنيسة ؛ ولهذا يستحق أن تُصادِر ممتلكاته لصالح صاحب الجلاية ، وأن تُوقع عليه العقوبات المنصوص عليها في القانون ، وأن يُنفذ كل ذلك في حقه وفي حق ممتلكاته ، وكذلك أطلب منكم أنه - إذا اعتبرتم أن أدلة ناقصة - أن يتعرّض المذكور للتعذيب حتى يقر بالحقيقة .

توقيع الدكتور مويانو

رأى أسقف سيفوربي في الموريسيكين

رأى السيد مارتين دي سالباتيرا أسقف سيفوربي حول وضع الموريسيكين
(نسخة مستخرجة)^(١)

من الملاحظ ومما لاشك فيه أن موريسيكي غرناطة عام ١٤٩٢ وموريسيكي فالنسيا عام ١٥٢٤ ، قد علموا من خلال الأوامر التي أصدرها كل من الملوك الكاثوليكين ، والإمبراطور كارلوس - خالدی الذكر - أنهم إذا كانوا ي يريدون البقاء في إسبانيا فعليهم أن يكونوا مسيحيين معمدين ، وأنهم إذا لم يفعلوا ذلك فسيطردون من إسبانيا ، وقد هدّدوا بالفعل بمصادرة أموالهم التي تعادل حياتهم ، وبالطرد من الأرضي التي عاشوا فيها ومنها هم وأجدادهم ، مع ما يصاحب ذلك من عبور البحر المتوسط ، ومعهم النساء الحوامل والشيوخ الكبار والأطفال الصغار . كل ذلك كان يمثل بالنسبة لهم تهديداً يعترفون به اليوم.

وتتفيداً من الموريسيكين لتعاليم طائفة محمد فقد قاموا بما يلى :

لم يعترف موريسيكي واحد - ولا يعترف - بارتكاب أى ذنب كبيراً كان أم صغيراً مع أنهم - كما هو معلوم - أهل معصية ويخالفون الوصية السادسة بشكل خاص تقليداً لحمد الذي يأمرهم بغسل الأيدي والرأس والأرجل ؛ لأن ذلك يغفر لهم الذنوب الصغيرة ، أما كباقي الذنوب فتغفرها التوبة.

ويستطيع الموريسيكين أن يتزوجوا بأى عدد من النساء يمكنهم إعالتهم ، ويمكنهم أن يطلقوهن متى شاءوا بدفع صداقهن ، وإذا قتل الموريسيكي مسيحيًا فإنه يدخل

Boronat: Los moriscos españoles....,pp. 619-633. (١)

الجنة ، وإذا سبب الموريسيكي الأذى لسيحي فإنه يرتفع قدره في نظر محمد ، وهم يخالفون الوصية السادسة بارتكاب جريمة القتل باستمرار في حق المسلمين والمسيحيين ، ويخالفون الوصية السابعة بارتكاب جرائم السرقة والرiba والمعاملات غير المشروعة ، ويخالفون الوصية الثالثة بعدم توقير الأعياد ، وعدم الذهاب لسماع الوعظ إلا بالقوة وخشيته العقوبة . كل هذا دليل على أنهم لا يعتبرون ما ذكر تنزيلاً . هذا هو نفس شعورهم تجاه تعليمات الكنيسة ، فهم لا يصومون صيامها ، ولا يعتبرون عدم الصيام المسيحي ثواباً ، ولا يعتبرون الزواج من الأقارب ثواباً إذن البابا ثواباً ، ولا يعتبرون مخالفة وصايا الرب والكنيسة ثواباً : فهم يخالفون كل الوصايا ، ولا يعترف أى واحد منهم ، وهذا ما يؤكده القساوسة . وأنا أقول نفس الشيء : فقد اعترف أمامي كثير من الموريسيكيين في أراغون وفي فالنسيا ، ولم يعترف أى واحد منهم بارتكاب ثواب كبير ، وهذا دليل على عدم إخلاصهم ، وعلى احتقارهم لقريان التوبية . إن اعترافاتهم كاذبة ، ولا تستحق أن تُمنع القرآن . لهذا السبب ، ولعدم تواجد الإيمان الحقيقي عند الموريسيكيين ، فإن القساوسة في مملكتي فالنسيا وأراغون وبقية إسبانيا لا يستطيعون تقديم القربان المقدس لهم ، ولا يستطيعون كذلك أن يتركوه لهم في الكنائس الموجودة في قراهم تجنباً لاستهزاء الموريسيكيين به ، وقد علمنا بالخبرة أنهم يفعلون ذلك ، ويؤدون شعائر محمد .

هناك أمر لا شك فيه ونراه عادةً فيمحاكم التفتيش في إسبانيا وهو أن الموريسيكيين الذين يودعون السجن - الشباب وكبار السن على السواء - قد تم ختانهم ، هذا ما أمر به محمد تطبيقاً لتعاليم موسى لكي يجذب اليهود إلى دينه . وهم يعترفون بالختان ، ويقول كبار السن إن عملية الختان قد أجريت لهم وهو أطفال ، وإنهم لا يتذكرون من الذي أجرأها لهم . وأنظفالمهم مختتنون أيضاً . وقد وجدت اليوم بعض الأطفال مختتنين ، ولما سألت أباهم عن ذلك قالوا إنهم ولدوا هكذا . ورغم أن ذلك قد يحدث حالة استثنائية : إلا أنه لا يمكن أن يكون أمراً شائعاً . ولعله من الواضح للموريسيكيين أن الختان عمل من أعمال الكفر ، وأنه لا يجب إلا التعميد ، ولا يستطيع الموريسيكيون التعلل بالجهل ، ولا يستطيعون كذلك الإدعاء بأنهم لم يتعلموا مبادئ العقيدة المسيحية : لهذا فمن الواضح أنهم قد خرجن بذلك عن عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة وعن الدين المسيحي .

وهذا يتتأكد أكثر لأن كل الموريسيكين - رجالاً ونساءً وأطفالاً ، سواء في مملكة فالنسيا أم في مملكة كاستيا وأراغون - يستعملون أسماء المسلمين في بيئتهم وفي اجتماعاتهم السرية ، وهم يتخذون هذه الأسماء بعد أن يتم تعميدهم في الكنيسة الكاثوليكية ، وهذا ما يلاحظه كل المسيحيين القدامى الذين يتعاملون مع الموريسيكين ، لأنهم إذا سألوا النساء والأطفال بدءاء عن أسمائهم المسيحية يتذكرون أنهم لا يعرفونها .

ولو ركزنا الانتباه سنلاحظ أنهم حين يتذكرون فيما بينهم فإنهم يستعملون الأسماء الإسلامية . والأسماء المسيحية هي الموجودة في السجلات ؛ لأن الأسماء المسيحية أطلقت عليهم بعد تعميدهم بعد الولادة مباشرة ، وهذا يعني بالضرورة أنهم بعد تعميدهم قد اتخذوا أسماء المسلمين ، وأنهم لكي يتذكروا هذه الأسماء فإنهم أقاموا شعائر المسلمين ، وأجروا عمليات الختان ، وهكذا سخروا من قربان التعميد . هنا لا يمكن قبول تعلل أحدهم بالجهل ، بل يتضح عصيانهم .

من الواضح كذلك ، ومن المعلوم للكافة بين المسيحيين القدامى الذين يتعاملون مع الموريسيكين أو يجاورونهم أن الموريسيكين لا يطلبون ولا يتقبلون قربان التاكيد ، ولا قربان التوبة ، وهذا ما يؤكده القساوسة والمشرفين المكافئين برعالية الموريسيكين ، وهذا دليل على كفرهم ، وعلى أنهم لا يؤمنون ب المقدسات الكنيسة ؛ بل يسخرون منها ، فهم لا يستعملونها ولا يطلبونها ، ولا يؤدون أي عبادة مسيحية يمكن أن تدل على وجود الإيمان والحب في قلوبهم نحو الدين المسيحي أو نحو عقيتنا الكاثوليكية كما ينبغي أن يكون عليه وضع أي مسيحي مخلص .

وهذا يتضح لأنه من المشهور أنهم لم يصوموا أى صيام مسيحي ، بل يصومون صيام المسلمين ، خاصة ما يُسمى برمضان ؛ فعندما يحل موعد هذا الصوم فإنهم لا يذبحون ماشية في قراهم لأنهم لا يأكلون ، ونعلم أنهم لا يأكلون في بيئتهم لأنهم لا يشعرون موقداً ، ولا يخرج دخان من مداخنهم ، ولكن يخفى الموريسيكيون ذلك فإنهما يذهبون إلى مزارعهم ، ويقضون وقتهم هناك إلى أن يحل الظلام ، فيعدون عشاءهم وطعامهم في سرية ، ويؤدون بقية شعائرهم كالصلوة والوضوء ؛ وهي شعائر يأمر بها محمد في القرآن .

تُؤدي شعائر الصلاة والوضوء خمس مرات في اليوم ، ويقولون إنهم يحمدون الله الأكبر الذي لم يلد ولم يولد ، وهذا كفر بعقيدة التثليث . وهكذا يبيو من اعترافاتهم أمام محاكم التفتيش ، وهكذا يأمرهم محمد الذي يريد تقليد اليهود والأريانيين واجتذابهم إليه ؛ وهذا ما يفعله أتباعه .

وهذا يتضح ، كما تتضح سخريتهم من الدين المسيحي ومن الكنيسة ومقساتها وصلواتها ؛ فلم يرهم أحد - ولن يراهم - يدخلون الكنائس في أيام العمل أو في أيام العطلات . إنهم لا يذهبون لسماع الوعظ إلا وهم مضطرون : لأن عقائد شيوخهم وأسلافهم ترى السخرية بالقدسات المسيحية عملاً طيباً أمام محمد وتقول إنهم يستطيعون أن يكفروا بمحمد في الظاهر مع التمسك به في القلب . وفي مدريد وطليطلة وأكالا ، وأوكانيا ، وتالابيرا ، وأماكن أخرى يكثر فيها الموريسيكيون لا تراهم يذهبون إلى الكنيسة ، وهم يعيشون كاغنام بلا راعٍ ؛ وهذا يدعو إلى الحسرة .

وهناك دليل آخر على كفرهم ؛ وهو أنهم لا يحبون أن يدفنوا موتاهم في الكنيسة ، بل في الحقول وفي الأراضي البكر ، وهم يتتجنبون بأى شكل أن يدفن موتاهم في مدافن قديمة حتى لو لم يُدفن فيها أحد منذ سنوات ، وهذا واقع لدرجة أنه لو كانت هناك أماكن في المدافن القديمة فإنهم يطلبون مدافن جديدة ؛ وهذه شعيرة من شعائر محمد التي يأمر بها في القرآن . وهذا واضح وأننا شاهد عليه لأننى رأيته ولسته عند موريسيكي فالنسيا وأراغون عدة مرات ؛ وهذه شعيرة يهودية ، وقد أخذها محمد عن اليهود لكي يجذبهم إليه ، وال المسلمين يحافظون عليها لأنها من تعاليم محمد .

من المعلوم في إسبانيا كلها أنه لم يوص أى موريسيكي بأى شيء للكنيسة ، ولا تصدق في الكنيسة على موتاهم ، ولم يبن أحد منهم شيئاً في الكنيسة ، ولم يطلب أحد منهم إقامة قداس على روح ميت ، رغم أنهم أثرياء ويربون كيف يؤدى المسيحيون هذه الأعمال ؛ وهذا دليل على أنهم يسخرون من كل ذلك ، ودليل على أنهم لا يعتقدون أن الموتى يذهبون إلى المطهر ، ولا يعتقدون أن الصدقات التي يقدمونها إلى الكنيسة يمكن أن تكون عوناً لهم ؛ ولهذا فهم يكفرون بالطهر ، ويفسكون أنه لا وجود بعد الموت إلا للجنة والنار ؛ وهذا ما يقول به محمد .

من المعلوم فى إسبانيا كلها أنه لم تبن فى أية قرية موريسكية صومعة لراهب ، ولم يرفع صليب ، ومن المعلوم كذلك كراهية الموريسيكين للصور والتماثيل ، فهم لا يحتفظون بها فى بيوتهم ، ونفس الشىء يقال عن الماء المبارك وعن بقية الشعائر المسيحية الأخرى . ومن المعلوم أيضاً أن الموريسي لا يقيم هذه الشعائر ، وإذا أداها فإنه يفعل ذلك مضطراً أمام المنذوب أو الحاجب ، ورغم كثرة عدد الموريسيكين فإنه لم يدخل أحد منهم فى المسيحية رغم طول فترة تعايشهم مع المسيحيين ؛ وهذا دليل على أن الموريسيكين متدينون فى ذلك ، ويتبعون جميعاً دين محمد الذى يخالف شريعة يسوع .

وكل الموريسيكين يجتنبون الخمر ولحم الخنزير ، ومن الواضح أنهم لا يمتنعون عن أكل لحم الخنزير من باب التقشف المصاحب للتوبة عن الذنوب - فهم لا يعترفون أنهم ارتكبوا ذنبًا - بل اتباعاً لشريعة محمد لأنهم اتباعه ؛ وهذا الامتناع عن أكل لحم الخنزير أخذه محمد عن اليهود .

ولم يحدث فى كاستيا أو فى أراغون أن شوهد موريسي يدرس فى الجامعة على مسيحيًا ، وعزوفهم عن المسيحية يتمثل أيضاً في الامتناع عن مصاہرة المسيحيين القدامى ، إنهم حتى لا يطلبون منهم صدقة ، وفي ذلك امتثال لتعاليم القرآن .

يعتقد الموريسيكين - نقلًا عن شيوخهم وأسلافهم - أنهم إذا أحقوا ضررًا بالمسيحيين فإنهم يدخلون الجنة ، ويعتقدون كذلك أنهم يدخلون الجنة إذا دافعوا عن دينهم بالسلاح ، وأنهم إذا أجبروا على الكفر فبإمكانهم فعل ذلك فى الظاهر وكتمان الإيمان فى القلب ، وأنهم هكذا يدخلون الجنة .

ورغم أنه من التصرفات الخارجية لبعض الموريسيكين فى أراغون وفالنسيا ، يبدو أن هؤلاء مسيحيين أكثر مما هم مسلمون إلا أنهم عند الوفاة أعلنوا أنهم مسلمون ، وأنهم عاشوا كمسلمين طوال حياتهم. يفعلون ذلك علانية حتى يشجعوا أبناءهم ، وأقاربهم على اتباع دين محمد . لقد لوحظ ذلك فىمحاكم التفتيش فى فالنسيا وسرقسطة وأماكن أخرى .

يتناکد عداء الموريسيكين للديانة المسيحية ولأتباعها ، فرغم أن الموريسيكين مكثوا ثمانمائة عام فى إسبانيا ، ورغم أنهم تعاملوا مع المسيحيين إلا أنهم بعيون عن

المسيحية ، وزرى بوضوح كراهيتهم وعداهم لها : فبإضافة إلى أنهم قتلوا عدداً كبيراً من المسيحيين خلال عامى ٢٢ ، ٢٣ أثناء ثورتهم فى مملكة فالنسيا ، وبإضافة إلى العدد الكبير الذى قتلوه فى عام ١٥٧٠ خلال ثورتهم فى مملكة غرناطة ، فإنهم أحضروا عدداً كبيراً من الأتراك ومسلمي البرير : لكي يعيروا غزو إسبانيا ، وقد أحرقوا عدداً كبيراً من الكنائس ، وانتهكوا الحرمات ، وقتلوا القساوسة ورجال الكنيسة ، وأحدثوا أضراراً بالغة بالعالم المسيحى وبالملك الإسبانى ، وكان ذلك تحذيراً من الله لصاحب الجلالة لكي يطرد هؤلاء الناس من مملكته ، وهذا ما فعله بعد ثمانين عاماً من التقانى فى تعليم المسيحية من قبل القساوسة ، وبعد كل المجهود الذى بذلته الكنيسة لتصиيرهم . ورغم أن الموريسكين استحقوا عقاباً كبيراً نظير جرائمهم إلا أن صاحب الجلالة استعمل الرأفة معهم ، وأعطاهم الأرضى الكثيرة فى أندلسيا وطليطلة ، لكن الموريسكين استمروا فى جرائمهم ، وقتلوا عدداً كبيراً من المسيحيين وقطعوا الطريق . وقد اجتمع عدد كبير من الموريسكين فى أشبيلية ، وتدارسوا دين محمد ، كما هو ثابت فى ملفات محكمة التفتيش فى أشبيلية .

وثبت من واقع ملفات محكمة التفتيش فى أراغون خلال عامى ٧٥ ، ٧٦ أن هؤلاء الموريسكين حاولوا القيام بثورة أخرى كثورة غرناطة ، وأن لهم اتصالات مع الملحدين فى قيرنا ، وهو مكان سعوا إلى الإقامة فيه ، وقد حملوا إلى هناك مبالغ كبيرة .

وفي عام ٨٤ قام موريسكيون من قرى مملكة فالنسيا التابعة للسيد ميفيلدى مونكادا بالاتصال بوالى الجزائر الذى قدم ومعه قوات فحمل معه فى السفينة ألفين وخمسمائة شخص دفعوا ٢٥٠ بوقية قشتالية نقداً .

تتأكد بوضوح هذه الحقيقة الخاصة برغبة هؤلاء الناس فى الإضرار بالديانة المسيحية . يتضح ذلك من خلال ما لوحظ فى مدينة طرويل ، فالموريسكيون يقيمون فيها منذ مائتى عام وحتى الآن - خاصة فى حى سان بيرناردو - وقد اعتنقوا المسيحية وعملوا . منذ ذلك الحين والجميع يعتقد أنهم مسيحيون مخلصون ، وهذا ما أظهروه فى تصرفاتهم ، فتخلىوا عن رزى المسلمين ، وهجروا اللغة العربية ؛ بحيث لم يعد هناك فرق بينهم وبين المسيحيين القدامى فلما أمرتم جلالتكم بنزع أسلحة موريسكىيى مملكة أراغون أراد البعض تنفيذ الأوامر فى طرويل ، فرفع الموريسكيون شكاوهم إلى جلالتكم ، وذكروا أنهم كاثوليك مخلصون ؛ وهذا ما أثبتوه

من خلال تصرفاتهم ، وطلبوا أن تصدروا جلالتكم الأوامر بـألا يطبق قرار نزع الأسلحة عليهم ، وأن تترك الأسلحة التي يستعملونها مثل المسيحيين القدامى فاستجيبتم لطلبهم . رغم كل ذلك إلا أنه فى العام الماضى - عام ٨٥ - تقدم كثير من الموريسكين إلى محكمة التفتيش فى فالنسيا ، واعترفوا بأنهم قد عاشوا حياة المسلمين يوماً ، وأنهم اتبعوا معتقدات محمد ، وأقاموا الشعائر الإسلامية ، وأن التصرفات المسيحية التى أظهروها كانت كاذبة ، وأنهم فعلوها خوفاً من العقوبة ، وأنمالاً فى خداع المسيحيين القدامى ، ورغبة فى السخرية من الكنيسة و المقدساتها . لقد اعترف بذلك كل سكان طرويل من الموريسكين فاعقبتهم محكمة التفتيش . إن هذا يدعونا إلى الاعتقاد بأن كل موريسكي هذه المملكة ومملكة فالنسيا ، وكاستيا يحافظون على تعاليم محمد ويؤدون شعائر المسلمين .

من المعلوم كذلك أن الموريسكين يتصلون ببلاد البربر والقسطنطينية ، ويفيدونهم بمعلومات ضد صاحب الجلة وعمالكه ، ويخبرونهم بالثغرات الموجودة فى القلاع والهصون ، خاصة تلك الموجودة على ساحل البحر المتوسط، ويخبرونهم بالنقص الموجود فى السفن الملكية ، ويعدد المسلمين الكبير الموجود فى هذه المالك والسلاح المتوافر لديهم . وأنا شاهد على أنه فى عام ٨١ اكتشفت فى منزل لمسلم من خيادى البراثين أسلحة كثيرة ومختلفة (وقد أخبرتكم بها) ، كل ذلك من أجل إقناع السلطان التركى وأتباعه بالقدوم إلى هنا واحتلال هذه المالك . إنهم يريدون أن تقوم الحرب فينتقمون من المسيحيين ، كما فعلوا أثناء ثوراتهم فى فالنسيا وغرناطة ، وهذا ما يستطيعون القيام به حالياً ، فقد تضاعف عددهم ، وهم يقيمون فى أفضل محافظات إسبانيا ويعملون عنها - كأعداء داخلين - نقاط الضعف الموجودة فيها ويستغلون وظائفهم (خاصة تلك المتصلة بالمؤن ، فمنهم البستانى والمسقاء ، والخباز ، والنجار ، والبناء وغيرهم ، وهى وظائف تحكم فى أموال البلاد ، ويحرص الموريسكيون على شغلها لكي يحرموا المسيحيين القدامى من الغذاء وسبل الحياة فيجبرونهم على الذهاب إلى العالم الجديد وإلى الحروب) . وبإضافة إلى كل ذلك فإن التجربة تعلمنا أن بعض الموريسكين الموجودين فى كاستيا من قدموا من غرناطة قد أثروا لدرجة أنه فى غواصاً أخراً ، وباسترانا ، وسلمانكا ، وغيرها هناك مسلمون لديهم

ما يزيد عن مائة ألف نووية ، وإذا لم تقم جلالتكم بوضع حد لذلك ففى بضع سنوات سيتجاوز عدد الموريسيكين لدرجة أن يزبوا عن المسيحيين القدامى ، سواء من حيث العدد أو من حيث الثروة ، خاصة فى الذهب والفضة : فقد استولى الموريسيكين على كل الذهب والفضة ، وهم لا ينفقون شيئاً ، إذ لا يأكلون ولا يشربون ولا يلبسون ولا ينتعلون [بشكل لائق] فإذا وجدوا أنفسهم كثيرين فى العدد وفي الأموال - بالإضافة إلى أنهم أذكياء ، وإلى كونهم أعداء للمسيحيين وللديانة المسيحية - فمن الخطير أن يتركوا يتصرفون كما تصرفوا حتى الآن .

يتضمن كل ما نكر أن الكنيسة والمقر البابوى وصاحب الجلالة ، وراعينا الإمبراطور كارلوس ، والملوك الكاثوليك خالدى الذكر ، وكل القساوسة والمبشرين في إسبانيا على مدى قرون كثيرة - رغبة من الجميع فى طاعة رب ، وإنقاذ هؤلاء الناس من الضلال - قد علموا الموريسيكين العقيدة المسيحية باللفظ وبال فعل ، خاصة ضرورة الإكثار من تقديم القرابين والتضحيات والأعمال التطوعية والصوم والتوبية وأعمال البر الأخرى التي لا تستطيع نكرها الآن لكثرة عددها ، وهذا وحده يكفى لتعليم هؤلاء المسلمين عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة وللديانة المسيحية ، وهم مجبرون الآن على المحافظة عليها ، وإلا كانت عقوبتهم دخول النار كاليهود والوثنيين الذين سمعوا باليسحية التى بشر بها يسوع المسيح ، وعرفوا الحقيقة وللديانة المسيحية ، وعقيدتنا الكاثوليكية المقدسة التي تنسخ شريعة موسى التي حل محلها شريعة المسيح . إن شريعة المسيح تبطل كافة الشرائع الأخرى ، وخاصة شريعة محمد الصالحة الحافلة بالأكاذيب والتزيف الذى يتعارض مع المنطق الطبيعي .

لكل ما ذكر لا يجب أن تقبل الأعذار المقدمة من الموريسيكين وممن يحمونهم ، إذ يقولون إنهم لم يتعلموا الدين المسيحى : فمن الواضح أن هذا يتعارض مع الحقيقة . إنهم يقولون ذلك لأهداف خبيثة يخفىها ثوب مستعار من القداسة بهدف الاستمرار فى شرورهم ، وبهدف الحصول على فترة هدنة يستعملونها - كما هو شأن الخونة - فى مواصلة اثائهم . إن سادة الموريسيكين من المسيحيين - رغم أنهم يقومون بذلك بداع الحرص على الدين المسيحى - يجهلون هذه الجرائم التي يقترفها الموريسيكين ، وأندعوا الله ألا يكون دافعهم فى ذلك هو الحرص على مصالحهم الشخصية ، فهو لاء

الموريسيكيون يؤدون للسادة خدمات كبيرة كعبيد ، باشخاصهم وبأموالهم ويدوابهم ، ومن المؤسف أن السادة يعلمون أن هؤلاء ملحدون - رغم عدم إعلان كونهم كذلك - ومع ذلك فإنهم يصطحبونهم إلى بيوتهم ، لا لتعليمهم شريعة يسوع المسيح ، بل لقضاء مصالحهم الخاصة. إن الله لا يخفى عليه شيء ، ويعلم ما تُخفى الصدور : لذلك فعلى السادة أن يحترسوا من استضافة المسلمين في بيوتهم والتعامل معهم ، فكلهم ملحدون ؛ ولذلك فإن التعامل معهم لا يجوز .

لهذه الأسباب يتضح أنه لتصير هؤلاء المسلمين ليس من الضروري حرمانهم من لباسهم ومن لغتهم العربية ، ولا إخراجهم من مجال إقامتهم على ساحل البحر ، لأن مسلمي أراغون وكاستيا يتحدون الإسبانية بطلاقة ويلبسون زي المسيحيين القدامى ، ويعيشون في أماكن بعيدة عن البحر ، ومع ذلك فإنهم مسلمون كمسلمي بلاد البرير ومسلمي مملكة فالنسيا . لا يكفي كذلك لحل المشكلة توزيع الموريسيكيين على قرى المسيحيين القدامى ؛ لأن الموريسيكيين الذين يعيشون في فالنسيا وسيغوربي وخاتبها وغانديا وإليسي وأوريغيلا وسرقسطة وطروبيل وكالاتايد وارييلا وبايا نوليد وسيغوبايا وأبيلا ومدinya ديل كامبو.... كلهم مسلمون ، بل ويُخشى أن تكون أعدادهم الكبيرة في هذه المدن والقرى سبباً في أن يُنْهَا شاعر محمد بحرية تفوق حريتهم لو أنهم عاشوا في قرى صغيرة يمكن فيها بسهولة التعرف على حياتهم .

يتضح ذلك من تجارب إسبانيا مع المسلمين الذين أخرجوا من مملكة غرناطة ؛ فالرغم من مرور سنوات كثيرة على إقامتهم في قرى كاستيا التي نُقلوا إليها وسمعوا فيها تعاليم المسيحية إلا أنهم الآن مسلمون كما كانوا في غرناطة ، سواء من يعيشون في بيوتهم الخاصة أو من يعيشون كخدم في بيوت المسيحيين القدامى. إننا نجد فيهم جميعاً نفس الجرائم: الختان ، وعدم الاعتراف في الكنيسة ، وعدم فهم عقيدة المسيح وحبها ، وعدم كراهية دين محمد .

يتضح من كل ما تُكرر أن هؤلاء المسلمين ملحدون وأعداء لشريعة المسيح ولكل المسيحيين الذين يحافظون عليها. إنهم كل يوم يسخرون من عقيدة التثليث ، ومن كل بنود عقيدتنا الكاثوليكية ، ومن الكنيسة وتقديراتها وطقوسها . إنهم يحافظون على شريعتي هوئي و Mohammad بكل إصرار .

ثم إنهم جواسيس للسلطان الترکى عدونا ، وهم قتلة وقطاع طرق ولصوص
ومرتکبوا جرائم ومثيرون للبلبلة.

إن كل ما ذكرناه صحيح لا يجب الشك فيه. إن مولانا الملك خايمي طيب الذكر
كان فقيراً ، ومع ذلك فقد طرد من فالنسيا أكثر من مائة ألف مسلم . كان المكان
الكاثوليكيان فقيرين عندما بدءا في حكم ممالك إسبانيا ، وكانوا مطالبين بنفقات كبيرة
من جراء الحروب في البرتغال ونابارا وغرناطة ، ولا كانت تغولهما لا تكفي لكل هذه
النفقات كانوا يستعينان بأموال المعابد اليهودية وبأموال يهود هذه الممالك ، إلا أنهم
كانوا شبيدي الحرص على الدين المسيحي لدرجة أنهم ضحيا بمحاجهم الدينية ،
وطردا من ممالكهم اليهود الذين كانوا يعيشون فيها : لأنهم بعد قرون من بقائهم
في إسبانيا لم يعتنقوا دين المسيح : لأنهم عن طريق الريا كانوا يسرقون أموال
المسيحيين كل ذلك رغم أن اليهود لم يكونوا ملحدين ، ولم يكونوا قد عمدوا ،
ولم يكونوا نوی عادات سبئية كالموريسكين ، ولم يكونوا جواسيس للأتراك ، ولا قتلة
ولا قطاع طرق كالمسلمين ، ولم يقوموا بثورات في أي مكان كما فعل هؤلاء المسلمين ،
ولم نخش منهم شيئاً كما نخشى المسلمين ، ولم تكن لديهم أسلحة هجومية أو دفاعية
معلنة أو مخبأة كما للمسلمين أسلحة. إن الملكين الكاثوليكيين لم يضعوا في حسابهما
العدد الكبير من اليهود الذي كان موجوداً - وهو عدد كان يفوق عدد المسلمين
الموجودين حالياً بكثير - بل قلدا النبي إلياس الذي دعا الله أن يربك الأنبياء الكاذبين
الذين كانوا موجودين في عصره (لكل ذلك لا يجب أن تستمع إلى صوت من ينادي
بالعفو عن المجرمين) . إن الملكين الكاثوليكيين لم يضعوا في حسابهما آنذاك الخدمات
التي كان يمكن أن يؤديها اليهود باشخاصهم وأقوالهم ونصائحهم للسلطان الترکي ،
ولم يضعوا في حسابهما كذلك الفائدة الدينية التي تعود من اليهود عليهم .

إن هذا لا يجب أن يعارضه ما يقوله البعض من أننا نكتب أطفال المسلمين
الذين يموتون على المسيحية. إن الآباء ملحون ولا يطلبون التعميد ، ولا يؤذون شعائر
الكنيسة بل يؤذون شعائر محمد ، وإن إخوانهم من الشباب لم يطلبوا التعميد أبداً ،
بل يخالفونه كآباء وهذا ما يمكن أن نقوله عن الأطفال من أبناء المسلمين ،
فس سيكونون مثل آبائهم : لأن لهم نفس الطبيعة ، لأنهم تلاميذهم. وحتى لو كان الأطفال

سيعتقدون المسيحية فإن هذا ليس سبباً في أن نسمع بـكفر الكبار، ولا يجب أن تعرّض ممالك يا صاحب الجلالة للخطر لأن يتواجد فيها عدد كبير من الكفار رغم أنهم متعمدون ، خاصة وأنه من المؤكد أنهم مسلمون وملحدون ! لهذا لا يجب أن نضع في الاعتبار ما يقوله البعض من أنه لو طرد الموريسيكيون إلى البرير فسيتخلون عن المسيحية ، فقد حدث ذلك بالفعل.

لا يجب أن نضع في الاعتبار كذلك أن السلطان التركي سيقتل أو سيطرد من عنده من المسيحيين لأنه لم يفعل ذلك عندما طرد اليهود من إسبانيا ، رغم أنهم ذهبوا إليه لتقديم الشكوى : ذلك لأن المسيحيين الأحرار الموجودين عند السلطان التركي سيحتفظ بهم السلطان للاستفادة بالضرائب التي يدفعونها ، ولأن هذا الطاغية الكافر سيفضل مصلحته الخاصة على قتل المسيحيين ، الذين لا يعرفهم والذين لا يفيدهم قتلهم شيئاً .

ولما كان الأمر كذلك ، ولما كانت إرادة الله أن تكونوا يا صاحب الجلالة سيد أكبر مملكة من ممالك المسيحية ؟ فعليكم واجب تطهير هذه الممالك من طائفته محمد ، ومن كل من يحافظ على شعائرها . لكل ما ذكرناه من أسباب تتعلق بطاعة الرب ، وتأمين البيانة المسيحية ، وتأمين المالك الإسبانية ، ولأن المسلمين أكثر ضرراً من اليهود والأريانيين الكفارة ... فإنه يتبعن على جلالتكم إبداء الرغبة والحب وطاعة الرب ، كما أظهروتم وتُظهرون يوماً رغبتكم في الدفاع عن الكاثوليكية ، وملاحقة الملحدين دون نظر إلى مصالح دنيوية عامة أو خاصة ، فإن هذه المصالح هزيلة ، والرب سيغوضكم عنها . ولو أمرتم جلالتكم بذلك فسيتحقق بسهولة بوسائل يمكن لجلالتكم اتخاذها . ورغم أنني أذكر في بعض الوسائل إلا أنني لا أستطيع ذكرها ، إذ ليس لدى إذن منكم ، ولأن هذه القضية يجب أن تناقش مع المقر البابوي : لذلك فمن المناسب أن تائذن جلالتكم بعقد اجتماع في طليطلة - أو في أي مكان آخر ترونه - لمناقشة هذه القضية . ونظراً لأهميتها الروحية والدنية : فمن المناسب أن تنتظروا في هذه المبررات التي أسوقها لمعالجة المشكلة التي أدعوه الله ألا تزيد حدة... فمن ضمن بنود العقيدة المقررة أن من يستطيع حل مشكلة واضحة ولا يحلها يشير الشك في أنه يؤيد من قام بها... هذا ما يقوله القديس خيرونيلو . أسأل الرب أن يجزيكم عن كل ذلك خيراً في الدنيا وفي الآخرة .

كل ذلك كتبته بداعي الرغبة في طاعة الرب وفي خدمة جلالكم ، وقد قدمت ذلك علىصالح الدينوية ومصلحتي الخاصة ؛ لأنكم لو فعلتم ما أراه فسأفقد ثلاثة آلاف يوقة ، وأرى أن نضحي بذلك طاعة للرب وخدمةً لجلالكم . من أجل ذلك أقول لكم - كخادم مطبيع ، وكابن بار للكنيسة المقدسة ، وللMercer البابوى ، ولجلالكم - إنه لو كنت في ذكرى قد تجاوزت حدودى ، أو أخطأت فإن الخطأ لم يكن عن إرادة منى ، وأنترك تصويب ما أخطأت فيه لجلالكم ، وأرجو أن يحفظكم الرب نُخراً للكنيسة . أمين

أسقف سيفورينى

مدريد فى ٣٠ يوليه ١٥٨٧

قضية نظرتها محكمة التفتيش ضد السيد/ كوسى بن عامر وهو موريسيكي من فالنسيا

نسخة من القضية المرفوعة ضد السيد / كوسى بن عامر ، وهو مسلم متنصر حديثاً ومن بلدة بناغواشيل . (١)

في فالنسيا ويقارن يوم ٢ مايو ١٥٦٧ وأمام السيد / خيرونيمو مانزيكي عضو محكمة التفتيش حضر السيد / أوبيريتو ممثل النيابة لدى المحكمة وقدم المذكرة بالشكل التالي :

« سأنتي :

حضرت أنا أوبيريتو (ممثل النيابة لدى محكمة التفتيش هذه) أمامكم وأقول ما يلى : إن السيد كوسى بن عامر ، وهو مسلم متنصر حديثاً من بلدة بني غواشيل ، مسجل في سجلات هذه المحكمة على أنه قد عاش حياة المسلمين ، وأدى شعائرهم ، وأنه حاول إقناع مسيحي قديم أن يتحول إلى الإسلام ، فشرح له عقيدة محمد التي أتته بها . أطلب منكم إصدار الأمر باعتقاله ومصادرة ممتلكاته : وذلك تحقيقاً للعدل . توقيع أوبيريتو »

شهادة انخيلا زوجة خايمي أليمان :

تشهد أنها - وعمرها ستة عشر عاماً - قد أدت شعائر المسلمين ، فصامت رمضان ، وأنها كانت خادمة للسيد / خيرونيمو بن عامر في بناغواشيل بعد أن كانت تعمل خادمة في بيت هاشم في سيفورين ، وفي بيت السيد / خيرونيمو صامت رمضان معه ومع زوجته وأبنائه ، وهم السيد / كوسى والسيد / خوان والسيد / ايرناندو والسيدة / أغرايدا ، وقد احتفل كل هؤلاء بعيد المسلمين فارتدوا أفضل الثياب لديهم . وهذا ما حدث بالضبط في بيت هاشم في سيفورين - والسيدة هاشم متزوج من السيدة / أغرايدا ابنة السيد / خيرونيمو - فلم يكونوا يأكلون طوال اليوم حتى حلول

الليل . تعرف الشاهدة بأنها لا تعرف الصلاة ، بل تعرف بعض الدعوات ، وقد ردتها باللغة العربية .

شهادة بيرنات المعلم :

لما كان مسئلاً عن ذهاب الموريسيكين في بناغواشيل لسماع الوعظ فهو يعلم بيقيناً أنهم جميعاً يؤدون شعائر المسلمين ، وقد شاهدتهم يصومون رمضان من أول شهر يوليه ، وقد احتفلوا جميعاً بالعيد في شهر أغسطس بمساعدة السادة الذين كانوا يحمونهم من محكمة التفتيش ، ورغم أنهم قد تتصروا حيثاً إلا أنهم ليسوا مسيحيين ولا يعيشون كمسيحيين، بل يتعاملون ويعيشون كمسلمين ، وهم الآن في هذا الوقت بالتحديد أسوأ من أي وقت مضى ، ولا ينقصهم سوى دق الطبول - كما كانوا يفعلون سابقاً - لدعوة الناس إلى الصلاة في المسجد؛ لأنهم يمارسون أعمالهم في أيام الأحد والأعياد وأولادهم مختلفون ، بحيث أنهم مسلمون الآن أكثر من أي وقت مضى.

في مدينة فالنسيا وي بتاريخ ٢٢ مايو عام ١٥٦٥ ، أمام عضو محكمة التفتيش بيرناردينو دي أغيبيرا ، حضر غاسبار كوسكوبا ، وهو تاجر يعيش في بال دي أوشو في قرية بنى غافول وقال إنه في قرية بيي في سبيرا دي سيليدا هناك موريسيكي فقيه يدعى آيت ، وفي سويرا التابعة لسبيرا دي سيليدا هناك فقيه آخر يدعى سليمان ، وفي قرية فانسارا التابعة لسبيرا دي سيليدا هناك ثلاثة فقهاء هم : عيسى (وينظر إليه الناس على أنه عالم كبير في الشريعة ، سواء على مستوى القرية أو على مستوى كل مملكة فالنسيا) ولهذا يحضر إليه كثير من الموريسيكين طلباً للفتوى ، وهو يجib على أسئلتهم ويحل منازعاتهم ، وهو يعرف اللغة القشتالية قراءة وكتابة ، ويعيش في كل أموره كمسلم حقيقى) والفقىء الآخر يدعى سليم ، أما الثالث فاسمته توتايان . وفي بال نوخو يعيش الفقهاء الآتى ذكرهم: في قرية بنى قاعة يعيش الفقيه صديق ، وفي إثانياً يعيش ابن يوسف خيريت ، وابن فوزي خيريت ، وهما أولاد عم أبوهما أخوان ، وهما شبابان ، وفي نفس قرية إثانياً هناك موريسيكي آخر اسمه بيكانيثيت يعلم الأطفال اللغة العربية ، وفي قرية ثانية هناك فقيه شاب اسمه أدال ، وهو ابن حمييات أول ، والاشنان - الأب والإبن - يعلمان اللغة العربية ، وفي مدينة سيفوروبى هناك فقيه آخر اسمه تاسين ،

وفي بال دى سيفو - فى قرية كوارتيل - هناك فقيه آخر اسمه تاوريت ينظر إليه الناس على أنه عالم كبير في اللغة العربية ، وفي قرية المياخار هناك فقيه يُدعى سليم ويعتبره الموريسكيون عالماً كبيراً . وهناك في قرية أثوكوا فقيه اسمه يوسف ، وهو ابن فقيه متوفى اسمه محمد ، وفي قرية البلد التابعة للسيد / خيرونيمو بياراسا هناك فقيه اسمه سعد ، وفي قرية مورو المجاورة لكتشينا هناك فقيه اسمه شوبوش يعتبره الموريسكيون عالماً كبيراً ، ويراه البعض أحد أعمدة الإسلام في مملكة فالنسيا ، ويتبع الموريسكيون رأيه . كل الأشخاص المذكورين أعلاه يعرفهم الشاهد ويعلم أنهم فقهاء وأنهم يعيشون وفقاً لشريعة المسلمين ، ولا يمارسون أية طقوس مسيحية ، فلا يسمعون الوعظ ولا يعترفون.

وفي كاستيون دى روغات هناك فقيهان اسمهما سعد ومديديت ، وفي قرية كاركري هناك موريسيكي اسمه سليم يراه الموريسكيون عالماً بالشريعة ، وفي غانديا هناك فقيه اسمه ثومبيا يعتبره الموريسكيون عالماً ويحترمون رأيه ، وفي بال دى مارانين هناك فقيه آخر اسمه تالايا يعتبره الموريسكيون من العلماء . هؤلاء الأشخاص ، وإن كان الشاهد لا يعرفهم بصفة شخصية ، إلا أنه استعلم عنهم من خلال موريسكيين كثيرين ، فقالوا له إن كل هؤلاء الأشخاص فقهاء وعلماء في الشريعة ودين محمد ، وكلهم يعيشون كمسلمين .

ولما سأله السيد / خيرونيمو مانزيكي عضو محكمة التفتيش الشاهد غاسبار كوسكوبا في (١٥٦٧) فبراير) عما إذا كان يعلم أو يتذكر شيئاً آخر ضد الأشخاص المذكورين أعلاه قال:

فيما يتحقق بمحاولة تنصير المسلمين ، أرى أن الشيء الرئيسي الذي ينبغي القيام به هو تنصير سادة الموريسكيين ، لأنهم السبب وهم الذين يحرضون الناس على البقاء كمسلمين ، هكذا يقولون لهم ، وهكذا سمعهم الشاهد ، وقد ذكر الموريسكيون للشاهد أن قرائهم يأمر بطاعة الملك فإذا ضغط الملك عليهم ودافعوا عن أنفسهم قدر استطاعتهم ومع ذلك استمر ضغط الملك فإنهم لا يستطيعون التخلي عن الإسلام . هكذا يأمرهم القرآن: أن يطيعوا أوامر الملك كما يطيعون الله .

ورغم أن أبناء السيد / خيرويمنو دى ابن عامر وهم السيد / فيرناندو والسيد / كوس咪 والسيد / خوان وابن أخي لهم اسمه السيد / خيرويمنو ، رغم أن بعضهم تابع لمحكمة التفتيش إلا أنهم أعمدة الإسلام في هذه المملكة ، فرغم أنهم يقولون إنهم مسيحيون مخلصون إلا أنهم في داخلهم مسلمون كمحمد . وذات يوم من عام ١٥٦٠-٥٩ قالوا جميعاً - عدا السيد / ايرناندو - قالوا للشاهد في بناغواشيل إنهم يعجبون منه ، لأنه رغم علمه بالحقيقة إلا أنه ليس مسلماً ، وقال لهم الشاهد كلاماً معناه أن دينهم سبي ، وأن محمد مثل مارتن لوثر . وقد تحدث المذكورون مع الشاهد وقالوا له إن بين محمد أفضل من دين المسيحيين ، والشاهد يعلم أيضاً أن المذكورون قد أرسلوا أبناءهم إلى مكان ما في الفانديغيا لكي يتلعلموا القراءة والكتابة باللغة العربية ، وذكر أنهم أرسلوا أبناءهم لكي يتلعلموا على يد فقيه اسمه عبد الله يعيش في مكان ما في الفانديغينا التابعة لبال بوخو ، وذكر كذلك أن المسلمين يحترمون الأشخاص المذكورون ، وقال إنه من المعلوم بين الموريسيكين أن الأشخاص المذكورون مسلمون.

ولما سُئل الشاهد عما إذا كان يعلم من هم السادة الذين يقفون وراء بقاء الأشخاص المذكورون كمسلمين قال: نعم سيفوربي والأدميرال والسادة الآخرون ، ورغم أنه لا يعلم شيئاً خاصاً عنهم إلا أنه يعلم ذلك من كلام المسلمين ، فهم الذين قالوا له ذلك . يقول المسلمون إن السادة يوافقون على أن يكونوا مسلمين ؛ ولهذا فمن المناسب تنصير السادة أولاً . ويرى هذا الشاهد أن حرص بنى عامر على التعاون مع محكمة التفتيش إنما ينبع من رغبتهم في تضليل محكمة التفتيش ، لا من الغيرة على الدين المسيحي .

في فالنسيا بتاريخ ١٢ فبراير ١٥٦٧ ، وأمام ازريكي عضو محكمة التفتيش ، حضر القسيس ميغيل خيرويمنو ساميبرى مبشر شيبا وقال: إنه رأى في قرية شيبا كلّاً من السيد / كوسمي بن عامر ، والسيد / خوان بن عامر ؛ وهما أخوان مسلمان متصرران حديثاً ، ومن بناغواشيل ، وإن الموريسيكين يحترمونهما إلى حد كبير ، وإن لهما معاملات كثيرة مع الموريسيكين ، وهو لا يرجحون بهما ، وإن السيد / خوان عندما يأتى إلى شيبا فإن الموريسيكين يسمونه علياً ويقبلون يديه وثوبه ، وهكذا يفعلون مع السيد / كوسمي الذي يطلقون عليه اسم إسلامياً - لا يدرى هل هو أحمد أم إبراهيم -

وأنه من المعلوم في شيبا أن المذكورين يعيشان كمسلمين ، وأن أشخاصاً كثيرين يرونها وهم يحملان أسلحة فيتعجبون^(*)

في فالنسيا بتاريخ ١٢ يونيو عام ١٥٦٧ قدم ممثل الادعاء لدى محكمة التفتيش إلى انريكي عضو محكمة التفتيش المذكورة التالية:

سانتي:

أوببيبيو ، ممثل الادعاء لدى محكمة التفتيش هذه ، يمثل أمامكم ويقول ما يلى: إنني خلال الأيام الماضية طلبت منكم أن تأمرروا باعتقال السيد/ كوسمي بن عامر (من بناغواشيل) ومصادر ممتلكاته لارتكابه جرائم ضد عقيقتنا المقدسة ، وقدمت معلومات متوافرة لدى إلى هذه المحكمة ، والآن توفرت لدى أدلة جديدة ضد المذكور أقدمها لنفس السبب ، ونظرًا لأن معظم الشهود على هذه الأدلة سيودعون السجن؛ فإنني أطلب تأجيل سجنهم حتى تثبت أقوالى ثم بعد ذلك يسجن الشهود في أقرب وقت . « توقيع أوببيبيو » .

القرار:

قال خيرونيمو مانزيكي عضو محكمة التفتيش عند تقديم المذكورة السابقة : بما أننا طالبنا أعضاء المحكمة بسجن السيد/ كوسمي ولم يصل ردهم حتى الآن، فلترسل هذه المذكرة مصحوبة بالمعلومات المتوافرة عن السيد/ كوسمي إلى السادة أعضاء المحكمة لإبداء الرأي.

في فالنسيا بتاريخ ٣٠ مايو ١٥٦٧ استدعى مانزيكي عضو محكمة التفتيش رجلاً موعدًا بسجن محكمة التفتيش هذه ولما سُئل السجين أجاب أن اسمه المسيحي «خوان باوتستا» وأن اسمه الإسلامي هو أحمد ، وأنه من القاهرة ، ويقيم في ساينت ، وأن عمره أربعون عاماً ، وأنه مسجون منذ أمس ، وأنه لدى مروره بيناغواشيل تعرف

(*) من المعلوم أن البريسكيين كان محظوظاً عليهم حمل أسلحة، وذلك يقتضي قرارات كبيرة صادرة من السلطات المسيحية على اختلاف درجاتها. (المترجم)

على السيد/ كوسى بن عامر ، وهو ذو بشرة ليست بيضاء جداً وملابسها حسنة ، ويحمل سيفاً ، وتحدث معه عن بلاد البربر ، وذكر له أنها بلاد طيبة ، وأن ثمارها طيبة صيفاً وشتاءً ، وتحدث الاثنان عن القرآن بشكل بدا معه أن السيد/ كوسى مسلم.

في فالنسيا بتاريخ ١٢ يونيو ١٥٦٧ أحضر رجل كان مودعاً بالسجون السرية ومثل أمام مانزيكي عضو محكمة التفتيش ، ولما سُئل أجاب أن اسمه بدره ، وهو من ترسان (ترمسان؟) Tremisan ببلاد البربر ، ويقيم في بونيول ، وعمره خمسة وعشرون عاماً ، وأنه أودع السجن هذا الصباح ويرى أنه أودع السجن لأنه مسلم ، ولأنه يؤمن بدين محمد ككل أبناء قرية بونيول ، فهم مسلمون ويؤمنون بدين محمد ، ويصومون رمضان ، ويؤمنون بقية شعائر الإسلام . وفي بناغواشيل يعيش السيد/ كوسى والسيد/ خوان والسيد/ ايرناندو ، وهم من عائلة ابن عامر، كمسلمين ويؤمنون نفس الشعائر ، وهم نصحوا الشاهد بأن يكون مسلماً وأن يتترك المسيحية ، وأن السيد/ كوسى المذكور أرسل إلى بيت مسلمة ساحرة يسميها المسلمين نظارة كي تبحث عن كنز لأن كان جده القائد قد دفنه في مكان مجهول، وأن السيد/ كوسى كان يقرأ القرآن لزوجته ولخدمه ، ويعلمهم مبادئ شريعة محمد ، ويقول لهم إنها شريعة طيبة . والسيد/ ايرناندو ابن عامر شقيق كوسى مسلم جيد أيضاً رأه الشاهد يؤدى الصلاة ويصوم رمضان مثل كل أفراد أسرته ، ورغم أن لديه زوجة على قيد الحياة تعيش في بني زنون ، إلا أنه تزوج بآخرى ، هي فيكتوريا فيلومينا ، طبقاً لتعاليم الإسلام ، على يد فقيه من بناغواشيل يعلم الأولاد الصغار مبادئ شريعة محمد . وبالإضافة إلى ذلك فإن عائلة ابن عامر لديها عبيد - أحدهم عربي واثنان من السود - مسلمون أيضاً يصومون رمضان مع سادتهم . وفي كاستيانو المجاورة لسيغوربي رأى الشاهد شاباً يقوم بختان الأطفال الموريسيكين في شيلبا وفي قرى أخرى ، والشاب يحصل على قمح ونقود مقابل قيامه بختان الأطفال ، والشاب يجرى عملية الختان باستخدام مقص . وفي شيبا هناك فقيه اسمه سيسونيت يعلم القرآن والشريعة الإسلامية لأولاد الموريسيكين ، ويحدث ذلك في بوليت وفي قرى أخرى حيث يوجد فقهاء يجهل الشاهد أسماعهم المسيحية ، وكلهم متقدمون في السن عدا بوليلة ، فعمره يتراوح بين الثلاثين والخامسة والثلاثين ، وهو يمارس السحر فيحضر الباجان ، ويقوم بعلاج المرضى كطبيب .

في فالنسيا بتاريخ ٢٨ يونيو ١٥٦٧ مثل بورو غريفوريو؛ وهو سجين منذ اليوم السابق، أمام كل من خيرونيمو مانزيكي وخوان دي روخاس عضو محكمة التفتيش، ولا يسئل كان جوابه على النحو التالي: إنه من المغرب، ويقيم في بناغواشيل، وتم تعذيبه في لشبونة عندما كان عمره اثنى عشر عاماً. كل سكان بناغواشيل يعيشون كمسلمين، سواء من حيث العقيدة أو من حيث أداء الشعائر، فهم يختلفون بأعياد المسلمين علانية ويصومون رمضان، ويؤدون الصلاة سرّاً في بيوتهم، وهذا يحدث أيضاً في بني ثانو وفي قرى أخرى في هذه المملكة. كما أن الأخرين ينتميان إلى عائلة ابن عامر في بناغواشيل مسلمان، ولهمما في هذا السجن ثلاثة من خدمهم مسجونون، وكانتوا قبل ذلك يفضّلون الموت على الإدلاء بشهادتهم. الأخوان هما سادة القرية ويحترمها الجميع، وربما كان السادة هم الذين علموا الخدم قبل سجنهما حتى لا يفصحوا عن شيء ولا يقولوا الحقيقة أمام محكمة التفتيش هذه.

في فالنسيا وي بتاريخ ٢١ مايو ١٥٦٧ مثل أمام انريكي عضو محكمة التفتيش فراتشيسكو بييس وهو مسلم مغاربي متصرّ حديثاً وموضع في سجن محكمة التفتيش وقال: إنه كان مسلماً في الحقيقة، وصام رمضان برفقة السيد/ ايرناندو والسيد/ كوسمي والسيد/ خوان، وهم أخوة من عائلة ابن عامر. وقد رأهم الشاهد يصومون رمضان، وهم مسلمون وأن السيد/ ايرناندو اسمه الإسلامي إبراهيم، وأن المسلمين جميعاً يحترمون عائلة ابن عامر؛ لأنهم أهل شرف، ولأنهم يعاملونهم معاملة طيبة. وأنه رأى أنهم يختلفون بأعياد المسلمين عندما يحين وقتها، وأنهم يذبحون الأضاحي للاحتفال بالعيد، وقد رأهم يصلون صلاة "الحمد لله" وتقل هو الله، ويذكر أنه رأى السيد/ كوسمي وهو يقرأ القرآن، ويقرأ كتاباً آخر من كتب المسلمين، وكان السيد/ كوسمي يطلب من الشاهد أن يكون مسلماً، وعندما كان السيد/ كوسمي يقرأ القرآن أمام الشاهد كانت تحضر معه زوجته وأبنته: الأولى عمرها ١٨ عاماً والثانية ١٥ عاماً، وهما مسلمتان وتعيشان بشكل إسلامي. والشاهد يتذكر أنه ذهب ذات يوم إلى منزل السيد/ خوان دي ابن عامر فقالت له فتاة موريسيكية إنه لا يمكنه الدخول لأن السيد خوان يؤدى الصلاة. ويرى الشاهد أن كل سكان بناغواشيل من أكبرهم إلى أصغرهم مسلمون، وأن عائلة بن عامر تتسبّب في إلحاق الأذى بالموريسيكيين، فهو لاء ينظرون

إلى العائلة على أن أفرادها من أهل الشرف والرأى ويأترون بأوامرهم. وقد ذهب الشاهد مع السيد/ كوسى إلى العاصمة ، ورأى أن ميراندا عضو لمحكمة التفتيش عامله معاملة طيبة وعامل الجميع بشكل طيب لكي يحضروا الأسلحة ، بل وجعلهم من المتعاونين مع محكمة التفتيش.

في فالنسيا وي بتاريخ ٢٥ يونيو ١٥٦٧ ، وأمام مانريكي عضو محكمة التفتيش ، حضر أنيغو دي موندو نزيل سجون محكمة التفتيش وقال: إن أفراد عائلة ابن عامر في بناغواشيل يعيشون كال المسلمين ، بل إنهم يشعرون الموريسيكين لكي يكونوا مسلمين . ولما كان الشاهد في قرية مورو - وهي قرية موريسكية في كوشتيانا يعيش فيها فقيه - مات والد أحد أفراد عائلة ابن عامر واسمها خيرونيمو فاستدعوا الفقيه لكي يقوم ب التقسيم الميراث حسب شريعة المسلمين ، وكان الفقيه مسروراً لتوزيع التركة بهذه الطريقة. كانت التركة تتضمن - بين أشياء أخرى - نقوداً تركها السيد/ خيرونيمو بين ذهب وفضة. وقد استمرت عملية إحصاء النقود يومين كاملين ، وقام الفقيه بتوزيع النقود وفق شريعة المسلمين ، وأنخرج العُشر لكي ينفقه على تحرير العبيد المسلمين ، وعلى الصدقات لفقراء الموريسيكين . وقد أبدى الورثة بعض التحفظ ، إذ كانوا يخشون أن يؤدي ذلك إلى معرفة أن لديهم ثروة كبيرة فيستولى عليها صاحب الجلالة.

في فالنسيا وي بتاريخ ١٤ مايو ١٥٦٧ كان السيد/ خيرونيمو مانريكي عضو محكمة التفتيش في صالة السر بالمحكمة ، ولم ينتظر زميله غريفوريو دي ميراندا عضو محكمة التفتيش - الذي ذهب للقيام بزيارة كنسية بناءً على أوامر محكمة التفتيش العامة - فاستدعى أصحاب القداسة السيد/ توماس دي أسيون المرشح لشغل منصب أسقف سالير وبيرناردينو غوميث دي ميديسيس قسيس فالنسيا ، والقاضي موريديرو (كمستشارين فوق العادة) ، والسيد ميفيل غوميث دي ميديسيس ، والسيد كريستوبال روينغ ، والسيد خوان دي أغيري ، والسيد سيمون فريغولا المستشارين العاديين . استدعي الجميع للبحث والتحري والتفكير فيما يجب عمله إزاء الأدلة المتوافرة لدى محكمة التفتيش هذه ضد السيد/ كوسى بن عامر المسلم المتصر حدثاً ، وهو من أبناء هذه الملكة ويقيم في بناغواشيل. وبعد أن اطلع الجميع على الأدلة وتناقشوا بشأنها كانت آراؤهم كالتالي:

يرى كل من السيد/ توماس دى أسيون المرشح لشغل منصب أسقف ساينير والسيد/ بيرناردينو غوميث دى ميديس تأجيل سجن السيد/ كوسماي لبعض الوقت ، أما كل من السيد/ ميفيل غوميث دى بيديس والسيد/ كريستوبال روبيغ . وهو من مجلس صاحب الجلالة ، والسيد/ خوان دى أغيري ، والسيد سيمون فريغولا فقد قالوا إنه بما أن كلاً من السيد/ كوسماي والسيد/ خوان والسيد/ خيرونيمو (الجميع من عائلة ابن عامر) قد تحاوروا مع غاسبار كوسكوبا بهدف إقناعه بالدخول فى الإسلام ، وبينما على الأقوال الواردة بحقهم ، وأنهم كانوا مسلمين ، فيرون أن يسجنا وأن تصادر أملاكهم ، وذلك لأن أفراد عائلة ابن عامر المذكورين قد اعتنقوا ديننا المقدس وسمعوا الخطب والوعظ، ويبدو أنه لا ينطبق عليهم المبرر الذى ينطبق على الموريسيكين الآخرين الذين يقولون إنه لم يقم أحد بتعليمهم مبادئ العقيدة الكاثوليكية. من المناسب إنن أن يُسجنا ، وأن توقع عليهم العقوبات التى تناسب مع جرائمهم ، وهى أنهم قاموا بحمل السلاح ، وأنهم من المتعاونين مع محكمة التفتيش ، فكان يتبعن عليهم أن يتصرفوا كمسيحيين مخلصين ؛ فهذا هو ما استحقوا عليه ذلك التكريم، لكنهم خدعوا الناس بالظاهر الخارجية. من المناسب أيضًا بل ومن الضروري لكي يتعظ الموريسيكين أن تتزعزع عائلة ابن عامر من بينهم ، وما لم نفعل ذلك فلن يجدى أى شيء آخر.

وقال مانريكي عضو محكمة التفتيش إنه يرى سجن السيد/ كوسماي فقط ومصادر ممتلكاته ، ولكن بما أن هذا الأمر خطير فنرى مناقشته مع السادة أعضاء محكمة التفتيش العامة لكي يبدوا الرأى فيما يجب عمله طاعةً للرب ، وعليه فإنه يرى أن يناقش الأمر مع السادة الأعضاء قبل أن يتم إلقاء القبض عليه.

في مدينة مدريد وي بتاريخ ٢١ يونيو ١٥٦٧ ، وبعد أن اطلع السادة أعضاء محكمة التفتيش العامة على الأدلة المقدمة ضد السيد/ كوسماي والسيد/ خوان والسيد/ ايرناندو (الجميع من عائلة ابن عامر) المقيمين ببناغواشيل فى مملكة فالنسيا ، قرروا: يُسجن كل من السيد/ كوسماي والسيد/ خوان والسيد/ ايرناندو بن عامر وتتصادر ممتلكاتهم.

في فالنسيا وي بتاريخ ١ يوليه ١٥٦٧ ، وتنفيذًا لأمر السادة أعضاء محكمة التفتيش العامة ، قرر كل من خيرونيمو مانريكي وخوان دى روخاس عضوا محكمة

التفتيش إلقاء القبض على السيد/ كوسى والسيد/ خوان والسيد/ ايرناندو بن عامر، وإيداعهم سجن محكمة التفتيش ومصارارة معتلkatهم؛ ولتنفيذ هذا الأمر تم إعلام حاجب محكمة التفتيش.

في فالنسيا ويتأريخ ٢٨ يوليه وأمام مانريكي عضو محكمة التفتيش حضرت سيدة، ولا سُنّات كانت إجابتها كالتالي: إن اسمها المسيحي هو فرانثيسكا واسمها الإسلامي فاطمة، وهي متزوجة من فرانثيسكو بيبس، وأنها من بيناغواشيل، وكانت تقيم بها إلى أن قامت عائلة ابن عامر بطردها منها، لشكهم في أن زوجها بيباس (هو بيبس كما ذكرت في شهادتها) قد وشى بهم إلى محكمة التفتيش، حينئذ ذهب الشاهدة إلى ريباروخاس، وهي بلدة قريبة من بيناغواشيل، لكن السيد/ كوسى طردها منها أيضاً لنفس السبب، ولأنه مسلم ككل إخوته. ويقال عن السيد/ كوسى إنه ذهب مقابلة الملك، ويقول الآخرون إنه ذهب مقابلة البابا. ويقول آخرون إنه مختبئ في السهول هرباً من محكمة التفتيش، لكن المكان الذي تحصلت الشاهدة فيه مع السيد كوسى هو ريباروخاس؛ وهي بلدة له فيها بعض الممتلكات.

في ٢٣ أغسطس ١٥٦٧ أعد السيد/ فرانثيسكو دي إيرموسا حاجب محكمة التفتيش مذكرة كتبها بنفسه ذكر فيها أنه بحث بنفسه، وبمساعدة أشخاص آخرين في عدة أماكن، عن السيد/ كوسى بن عامر قلم يجده في بيناغواشيل ولا يعلم أحد مكانه.

في فالنسيا ويتأريخ ٢ نوفمبر ١٥٦٧ قدم ميغيل سيرأتو، ممثل الادعاء لدى محكمة التفتيش، طلباً لهيئة المحكمة يقول فيه: حيث أن حاجب محكمة التفتيش، وبعض العاملين بها لم يتمكنوا من العثور على السيد/ كوسى بن عامر فيجب استدعائه بإعلان لكي يمثل أمام المحكمة، ويدفع عن نفسه تهم الإلحاد والكفر الموجهة إليه، وقد وافق أعضاء محكمة التفتيش على هذا الطلب، وتم توجيه الإعلان المطلوب.

في فالنسيا ويتأريخ ١٢ يناير ١٥٦٨، وأمام كل من مانريكي وروخاس عضوي محكمة التفتيش، مثل السيد/ كوسى بن عامر، وهو مسلم متصر حديثاً ومقيم في بيناغواشيل، وقال إنه بينما هو منهمك في أعماله سمع أن محكمة التفتيش تستدعيه لكي يمثل أمامها، وقد جاء طاعنة للأمر وممثل أمام المحكمة، وقد أمر السادة أعضاء

المحكمة بإيداع السيد/ كوسمي أحد السجون السرية التابعة لمحكمة التفتيش ، وأن يسلم إلى ميفيل أنخيل أونياتي قائد السجن وقد تولى الأمر بالفعل.

في فالنسيا ويتأريخ ١٢ يناير ١٥٦٧ وأمام مانريكي عضو محكمة التفتيش مثل السيد/ كوسمي بن عامر بعد إخراجه من السجن السرى ، ولما سُئل كانت إجابته كالتالى:

اسمه هكذا ، وهو من بناغواشيل ، ولا عمل له لأنه يعيش من ماله الخاص ، وعمره ٤٤ عاماً ، وأنه سجين منذ أمس ، أى منذ اليوم الذى حضر فيه ، قراراً على المحكمة «أبانا الذى فى السموات» ، لكنه لم يستطع قراءة صلوات Salve Credo بل اكتفى بالإشارة بعلامة الصليب، قال إنه كان صغيراً عندما تم تعميده وإنهم أسموه كوسمي ، لكنه لا يتذكر ذلك ، ولا يرى أنه مسيحي بل هو مسلم كأبناء مملكة فالنسيا ، وقال إنه اعترف عدة مرات ، وإنه كان يتظاهر باتباع المسيحية، لكنه لم يكن مختصاً إطلاقاً بل كان مسلماً ، وإنه كان يعترف من باب تنفيذ الأوامر. يجيد القراءة والكتابة باللغة الموريسكية ، لكن ليست لديه كتب إلا دفاتر الحسابات ، كان اسم والده هو السيد/ خيرونيمو بن عامر واسم والدته السيدة/ انخيلا بيتتشى دي ابن عامر وهما متوفيان. له أخوان هما ايرناندو وخوان ، وهما من بناغواشيل ، وله أخت اسمها السيدة/ غراديلا وهي متزوجة في سيفوربى من بنت هاشم. هو متزوج من السيدة/ بياتريث خانكور ابنة خانكور، وهو من الكاثار، منذ عشرين عاماً، وله أربع بنات في سن الزواج؛ من السيدة/ انخيلا والستة/ خايمي والستة/ ماريا والستة/ أنا وليس له أولاد آخرون ، ولم يتزوج مرة أخرى. تزوج طبقاً للدين المسيحي ، وليس وفقاً للشريعة الإسلامية. عاش طوال عمره في بناغواشيل رغم أنه غاب عنها فترات قضاها في قشتالة وأراغون وفالنسيا وأماكن أخرى داخل الممالك التابعة لصاحب الجلة. إنه حتى الآن عاش كمسلم ، واعتبر نفسه مسلماً ، لكنه منذ الآن يريد أن يتصرّ ، ويريد أن يفعل ما يأمر به السادة القضاة. علم أن محكمة التفتيش ستلتقي القبض عليه وكره ذلك ، لكنه لم يختبئ عند أحد ، ولم يهمل أعباء بيته ، في النهاية هو لا يتذكر إلا أنه عاش طوال عمره كمسلم وأنه أدى شعائر المسلمين الدينية.

ممثل الادعاء:

في فالنسيا و بتاريخ ٢٦ يناير ١٥٦٨ قدم ميفيل سيرانو ممثل الادعاء إلى أعضاء محكمة التفتيش مذكرة اتهام ضد السيد / كوسماي بن عامر جاء فيها:

السادة المحترمون:

أمثل أنا / ميفيل سيرانو ، ممثل الادعاء ، لدى هذه المحكمة أمامكم ، وأوجه الاتهام إلى السيد / كوسماي بن عامر المسلم المتصرّ حديثاً ، والقيم في بيتاغواشيل ، والموجود في القاعة . فرغم أنه قد عُمد وتمتع بالزيارة والحريرات التي يتمتع بها المسيحيون الكاثوليك المخلصون - خاصة حق حمل الأسلحة ، رغم أنه موريسكي ، والموريسكيون الآخرون في هذه المملكة محظوظ عليهم حمل السلاح - فقد سمح له بحمل السلاح ثقة فيه ، ولعل ذلك يساعد على تنصير الموريسكيين الآخرين في هذه المملكة ، وظنناً منا أنه يخشى ربنا ويحترم أمه السيدة العذراء ، لكن المتهم - امتهاناً لعقيدتنا الكاثوليكية المقدسة ، وإيماناً بدين محمد الخاطئ - ارتكب جرائم الإلحاد وإقناع الآخرين بالدين الإسلامي ، وهذه الجرائم يأتي تفصيلها على النحو التالي :

١ - قام السيد / كوسماي المذكور - لاعتقاده في صحة الدين الإسلامي وبمشاركة آخرين من المسلمين المتصرّين حديثاً - بأداء الشعائر الإسلامية : فقام رمضان ، واحتفل بأعياد المسلمين ، وذبح الأضاحى ، وارتدى أححسن ثيابه ، وأدى الصلاة ، ورد أدعية المسلمين . استمر ذلك حتى يوم اعتقاله في محكمة التفتيش ، بل ومن المعتقد أنه حتى الآن لا يزال يظن أن عقيدة المسلمين تتقدّه من النار .

٢ - لم يكتف بمعرفة مبادئ عقيدة المسلمين معرفة متوسطة ، بل حاول - بحماس شديد كمسلم - معرفة قراءة وكتابة القرآن الذي لا يجيد قراءته إلا الفقهاء ورجال الدين الإسلامي .

٣ - بعد أن أجاد قراءة القرآن وفهمه لم يكتف بأن يفعل ذلك من أجل نفسه ، بل حاول نشر دين المسلمين ، ورد المسلمين المتصرّين حديثاً إلى الإسلام حتى لا يكونوا مسيحيين ، فكان يقرأ عليهم القرآن ويفسر معناه ، وكان يشجعهم على العيش كمسلمين ، وكان يقول إن الإسلام دين طيب ، ويطلب منهم أن يصدقوا بكل ما قاله محمد .

- ٤ - لما كان يحب الإسلام فلم يكتف بمعرفة مبادئ دينه بل حاول معرفة أخبار المسلمين في بلاد البربر والشرق لكي يفخر بأن الإسلام منتشر وبأن المسلمين أقواء ، ولما حاول أن يتحدث شخص عن أمور في القرآن فقد مدح هذا الشخص بحماس.
- ٥ - لم يكتف بتعليم الدين الإسلامي للموريسيكين وتشجيعهم على التمسك به ، بل حاول - بمشاركة آخرين - إقناع شخص مسيحي ليس من أصل مسلم بالدخول في الإسلام ، وكان يقول له إنه يعجب كيف لا يدخل في الإسلام رغم أنه دين أفضل من دين المسيحيين.
- ٦ - رغم أن ذلك الشخص المسيحي عارضه ونبهه إلى زيف الدين الإسلامي ، إلا أن السيد/ كوسمي صمم على مجادلته ، وحاول أن يساعد رفقاؤه في استماله ذلك الشخص إلى دين المسلمين .
- ٧ - يعتبره الموريسيكون في مملكة فالنسيا كواحد من أعمدة الإسلام ، ويكتنون له احتراماً كبيراً ، ويعتبرونه المرشد الرئيسي لهم ، ويستمعون إلى نصائحه دون تردد.
- ٨ - بعد أن توفى والده أرسل في طلب فقيه وأحضره إلى بناغواشيل لكي يقسم لهم التركة بينه وبين أخيه طبقاً للشرعية الإسلامية ، وقد حضر الفقيه وقسم التركة وأخرج العُشر منها لإنفاقه على تحرير الأسرى المسلمين والتصدق على الموريسيكين ، لكن السيد كوسمي وأخرين - خوفاً من أن يدرك صاحب الجاللة مدى ثرائهم - حاولوا إخفاء القيمة الحقيقة للعُشر ، لكن الفقيه انصرف وهو يحمل تقدماً بين يديه.
- ٩ - لما كان السيد/ كوسمي مولعاً بالسحر والشعوذة ، فقد استدعي امرأة من اللاتي يحضّرن الجن وسميهن الموريسيكون « النظارة » لكي تستخرج له كنزًا كان القائد الذي هو جد السيد/ كوسمي قد أخفاه تحت الأرض.
- ١٠ - لما كان السيد/ كوسمي يارعاً في ارتكاب جرائم الإلحاد ومسجلًا في دفاتر وسجلات محكمة التفتيش ، فقد أمره الادعاء بالحضور للمثول أمام المحكمة ، لكنه لم يشا طاعة الأمر ، بل رفضه خوفاً من أن يطاله العقاب الذي يستحقه.
- ١١ - رغم أن هذه المحكمة اتبعت كثيراً من الوسائل لإلقاء القبض على السيد/ كوسمي إلا أنه لم يمكن العثور عليه ، وإزاء عصيائه كان من الضروري أن يتم استدعاؤه بإعلان لكي يمثل أمام هيئة المحكمة.

- ١٢ - بعد استدعائه بإعلان واصل عناده ، وتأخر وقتاً طويلاً لكي يحضر.
- ١٣ - رغم اعترافه بأنه تم تعويذه إلا أنه قال أمامكم إنه لا يعتقد أنه مسيحي.
- ١٤ - في أحيان كثيرة اعترف كنباً مجرد إرضاء للمسيحيين.
- ١٥ - عند سؤاله أنكر وأخفى أسماء الأماكن التي اختبأ فيها وأسماء الأشخاص الذين اتصل بهم والذين انفقوا عليه طوال فترة هروبه وغيابه ، ومن المناسب التحرى لمعرفة الحقيقة حتى يعرف الذين تورطوا في هذه الجريمة : لأن هذه المعلومات لو استمرت خافية علينا ، فستكون هناك مشاكل كثيرة.
- ولقد ارتكب جرائم أخرى كثيرة كمعلم لبادي العقيدة المحمدية وكملحد ، وقد رفض الاعتراف بذلك خلال نظر القضية ؛ ولذلك فإنني أطلب منكم اتخاذ إجراءات ضده ، وإعلان إلحاده ، وإنه - بناء على ذلك - قد وقع تحت طائلة عقوبة مصادرة أمواله ، وإحالة القضية إلى الجهات المدنية لتنفيذ حكم الإعدام ، وأطلب أن يكون تنفيذ النيابة لقرار مصادرة الأموال اعتباراً من تاريخ ارتكابه لهذه الجرائم..... ، كما أطلب إعلان أن ورثته فاقدو الأهلية ، والأهم من كل ذلك أنطالبي بتطبيق القانون في حقه تطبيقاً كاملاً.
- أطلب كذلك - إذا كانت الأدلة التي قدمتها غير كافية - أن يخضع السيد كوسى للتعذيب بمعرفتكم حتى تتضمن الحقيقة .

ردًا على الاتهامات السابقة قال السيد كوسى :

إنه بمقتضى هبة ملكية قد سمح له وإخوته بحمل السلاح ، صحيح أنه كان من المتعاونين مع محكمة التفتيش ، لكنه قد أوقف هذا التعاون الذي لم يوقع بشأنه اتفاقاً، بل كان بموجب منحة ملكية. صحيح أنه عاش كمسسلم منذ أن بلغ سن الرشد وحتى الوقت الحالى ، لكنه منذ الآن يريد أن يكون مسيحيًا طيباً. صحيح أنه يجيد القراءة والكتابة باللغة العربية ، لكن ما يفهمه من القرآن قليل أو منعدم ؛ ولهذا فهو لم يقم أبداً بتدريس العقيدة التي يتضمنها القرآن ، ولم يحرض أحداً على أن يكون مسلماً. أما بخصوص البنود ٤ ، ٥ ، ٦ الواردة في قرار الاتهام، فيقول إنه ينفيها تماماً، وبخصوص البند رقم ٧ يعترف بصححة أنه من الوجهاء ، وأن الموريسيكين في مملكة فالنسيا يعاملونه

كذلك نظراً لأنه قدم خدمات للوك أراغون وقشتالة ، وحصل من ملوكها على منح ، وبخصوص البندين ٩ . ٨ أنكر مضمونهما. بخصوص البند رقم ١٠ فقد اعترف بصحبة أن قسيس بناغواشيل قد أخبره بأن أعضاء محكمة التفتیش قد استدعوه ، لكنه لم يحضر لأنّه خاف من إلقاء القبض عليه لقلة معلوماته ؛ ولهذا بقي في بيته يواصل عمله دون أن يتلقى مساعدة من أحد للاختباء، فلما علم أن أعضاء محكمة التفتیش يلحوذون في طلبه عن طريق الإعلان العام اعتقاد أنه من المناسب المثول أمامهم ، وبخصوص البنود ١٢ ، ١٤ قال إنه يعتقد أنه تم تعديده ، وأن كل مسلمي المملكة قد تم تعديدهم كذلك ، وقال إنه قد اعترف زيفاً لوفاء بواجبه في الاعتراف.

أقوال الشهود ضد السيد كوسنی بن عامر:

- ١ - قال شاهد متحالف أدلّي بشهادته يوم ١٥٥٦ مارس : إنه كان في بعض بيوت بناغواشيل وسيغوربي خلال ثلاثة سنوات ، في تلك البيوت كان يصوم رمضان مع أشخاص ذكر أسمائهم ، وكانوا لا يأكلون طوال النهار حتى يحل الليل ، ورأى كيف يحتفل الناس بأعياد المسلمين بارتداء أحسن ما لديهم من الثياب. يقول الشاهد إن الناس كانوا يؤدون هذه الشعائر ظناً منهم أن اعتناق دين محمد ينجي من عذاب الآخرة ، ويقول إن من بين هؤلاء الناس كان السيد كوسنی بن عامر.
- ٢ - يقول شاهد متحالف آخر أدلّي بشهادته في أبريل عام ١٥٦٠ إن شخصاً ما كان يتولى عملاً في بناغواشيل على مدى عشرين عاماً ، وإن هذا الشخص قد شاهد الموريسيكين خلال تلك الفترة فرأى أنهم ليسوا مسيحيين ، ولا يعيشون كمسيحيين بل إنهم يتعاملون ويعيشون كمسلمين ، والآن بالتحديد هم أسوأ مما كانوا ، فلا ينقصهم إلا نقر الدفوف للدعوة إلى الصلاة في المسجد كما كانوا يفعلون من قبل. يضاف إلى ذلك أن المتهمنين كانوا يؤدون أعمالاً أثناء الأعياد المسيحية.
- ٣ - يقول شاهد متحالف آخر أدلّي بشهادته في مايو ١٥٦٥ إن السيد كوسنی وأخرين ذكر أسمائهم هم قادة المسلمين في هذه المملكة ، فبرغم أنهم يقولون في الظاهر إنهم مسيحيون مخلصون إلا أنهم في داخلهم مسلمون كمحمد. وذات يوم - نحو عام ١٥٦٠ - قال السيد كوسنی ورفاقه لشخص ما إنهم يعجبون من أنه ليس مسلماً رغم علمه بالحقيقة، وأن ذلك الشخص قد رد عليهم وأنفهم أن عقيدتهم سيئة ،

وأن محمداً مثل مارتن لوثر ، وقد جادله المذكورون ، وقالوا إن عقيدة محمد أفضل من عقيدة المسيحيين . وقال الشاهد إنه يعلم أن المذكورون قد أرسلوا أولادهم إلى "الفندقية" لكي يتعلموا القراءة والكتابة باللغة العربية على يد فقيه ذكر اسمه ، وقال إن المسلمين يحترمون الأشخاص المذكورون ، فهم مسلمون كما هو معلوم بين المؤرخين ، وكانوا يحاولون إقناع الشاهد بأن يكون مسلماً ، وكانوا يبيرون دهشتهم من أنه ليس مسلماً مع أنه شخص متعلم ، ويرى الشاهد أن السيد كوسمي ورفاقه مرتبطون بمحكمة التفتيش ، وأن هذا الارتباط هدفه السخرية ، وليس الغيرة على الدين.

٤ - وقال شاهد محلف آخر أدلى بشهادته في فبراير عام ١٥٦٧ إنه رأى أن السيد كوسمي ، ومعه بعض المسلمين المتصرفين ، يتمتعون باحترام الناس ، ويتعاملون مع المؤرخين ويتبادلون معهم التحية ، وإن لهم أسماء إسلامية ، وإنه من المعلوم أنهم يمارسون شعائر طائفة محمد ويحملون السلاح.

٥ - وقال شاهد محلف آخر أدلى بشهادته في يونيو ١٥٦٧ إن شخصاً ما قد مر بيته بناغواثيل ، وكان يجلس على أحد المقاعد في الشارع فرأى رجلاً (السيد كوسمي) يمر وجلس بجواره ، وسأل الشاهد من أين هو وما إذا كانت بلدته طيبة ، كما سأله عن الأماكن التي زارها ، وقد أجاب الشاهد على أسئلة السيد كوسمي بن عامر فقال له إنه زار بلاد البربر ، وإن أراضيها صالحة وثمارها وفيرة في الصيف وفي الشتاء . كما سأله السيد كوسمي الشاهد بما إذا كان يعرف القرآن ، فرد عليه بالإيجاب ونكر له فقرات منه رأى السيد كوسمي أنها صحيحة.

٦ - وقال شاهد محلف آخر أدلى بشهادته (في يونيو ١٥٦٧) إنه يتذكر أن السيد كوسمي ورفاقه يعيشون في بناغواثيل كمسلمين ، وقد رأهم يصومون رمضان ويؤدون الصلاة ، وقد دعوا الشاهد إلى اعتناق الإسلام، وإلى ترك المسيحية ، وذكر الشاهد أن السيد كوسمي قد استدعى امرأة ساحرة من بال دى إيلدا يطلق عليها المسلمين لقب "نظارة" وقد استضافها في بيته لكي تتعثر له على كنز وتستخرج له من باطن الأرض ، وذكر الشاهد كذلك أن السيد كوسمي من كبار المسلمين ، وأنه يتعامل مع بعض الأشخاص الذين يعتقدون بين محمد ، وأنه يقرأ القرآن أمام أشخاص آخرين ويقول لهم إنه كتاب طيب ألفه محمد وخليق بأن يؤمنوا به.

٧ - قال شاهد محرف آخر أدلّى بشهادته في يونيو ١٥٦٧ إنَّ رأي السيد كوسمي بن عامر وأخرين يمارسون شعائر الإسلام علانيةً، ويحتفلون بأعياد المسلمين، ويأكلون اللحم وهم متوجهون إلى القبلة، ويقسمون باسماء إسلامية؛ كما لاحظ أن المسلمين يحترمونهم، ويظن الشاهد أنَّ أشخاصاً معينين كانوا يأتون إلى محكمة التفتيش وقد تربوا على عدم الإدلاء بأى شيء يمكن أن يضر المذكورين.

٨ - قال شاهد محرف آخر أدلّى بشهادته في مايو ١٥٦٧ إنَّ شخصاً ما قد صام رمضان برفقة السيد كوسمي وأخرين وهم مسلمون، وأنَّ المسلمين يجلون السيد كوسمي ورفاقه، وإنَّه قد رأهم يحتفلون بأعياد المسلمين عندما يحين موعدها ورأهم يذبحون الأضاحي احتفالاً بالعيد، ورأهم يؤذنون صلاة "الحمد لله" وصلاة "قل هو"، ويذكر الشاهد أنه رأى السيد كوسمي يقرأ في القرآن ويطالع كتاباً أخرى من كتب المسلمين، كما رأه يحرض شخصاً على اعتناق الإسلام، وأنَّه كان يقرأ القرآن أمام آخرين يستمعون إليه، ويرى الشاهد أنَّ السيد كوسمي ورفاقه هم الذين يسببون الآذى للموريسيكيين، فهؤلاء يعتبرونهم من أهل الرأي، ويطبعونهم في كل ما يأمرون به، كما يرى أنَّهم يخدعون المسيحيين، وأنَّهم إذا كانوا من المتعاونين مع محكمة التفتيش فذلك للاحتفاظ بما لديهم.

٩ - وقال شاهد آخر أدلّى بشهادته في يونيو ١٥٦٧ إنَّه تعرف على السيد كوسمي وأخرين في بناغواثيل، وإنَّهم يعيشون كمسلمين مثل الموريسيكيين الآخرين تماماً بل إنَّهم يحرضون الموريسيكيين على الاحتفاظ بالإسلام كما يُقال علَّنا في البلدة، وقد سمع الشاهد واقعة أنه عندما مات والد السيد كوسمي أرسلوا في طلب فقيه يقسم لهم الميراث، وأنَّ الميراث قد قسم وفق شريعة المسلمين وسنة المسلمين، وأنَّ الفقيه قد أخرج عشر التركة لكي ينفقه على تحرير العبيد المسلمين وعلى فقراء الموريسيكيين، لكن الورثة قالوا إنَّهم لا يوفقون على ذلك حتى لا يعرف أحد حجم الثروة التي يمتلكونها وحتى لا يستولى صاحب الجلة عليها، عندئذٍ حمل معه بعض المال.

١٠ - وقال شاهد محرف آخر أدلّى بشهادته في يوليه ١٥٦٧ إنَّ السيد كوسمي وشخصاً آخر كانوا في بلدة روخاس القريبة من بناغواثيل، ولما ذهب شخص ما للإقامة هناك طرداه وقال له إنَّهما فعلوا ذلك لأنَّ شخصاً ما قد وشي بهما لدى محكمة

التفتيش ، وذكر الشاهد أن السيد كوسى وإخوته مسلمون ، ويعيشون كمسلمين ، وأن المسلمين الآخرين يوترونهم.

١١ - وقال شاهد محرف آخر أدلى بشهادته في أغسطس ١٩٦٧ إنّه يعلم ما يُقال علّنا من أن السيد كوسى بن عامر هارب من محكمة التفتيش وتغيب عن المثل أمامها عندما رأهم يلقون القبض على أحد خدمه.

في فالنسيا بتاريخ ١٢ يوليه ١٩٦٨ ، وفي قاعة محكمة التفتيش ، وأمام مانزيكي عضو محكمة التفتيش ، أمر بدخول السيد بيثير محامي السيد كوسى بن عامر فدخل وكان السيد كوسى حاضراً ، وقد أطلع عضو محكمة التفتيش المحامي على وضع القضية وأمر بأن تقرأ عليه شهادة الشهود ، فلما سمعها نصيحة المحامي موكله بأن يقول الحقيقة ، فإن الدفاع الحقيقي يمكن في قول الحقيقة ، وأنه إذا كانت لديه أقوال أخرى ويريد الدفاع عن نفسه فهو مستعد للدفاع عنه ، وقد رد السيد كوسى بأنه قد قال الحقيقة ، وأنه ليست لديه أقوال أخرى ، ولا يريد إضافة أية معلومات أخرى ، وأنه لا يريد الدفاع عن نفسه.

في فالنسيا وي بتاريخ ١٥ يوليه ١٩٦٨ - وبناءً على أن قضية السيد كوسى جاهزة ، ونظرًا لأن السجون لا تكتفى بسبب الإصلاحات الجارية - ونظرًا لأسباب أخرى - أمر السادة أعضاء محكمة التفتيش بأن تتحدد إقامة السيد كوسى نظير كفالة قدرها ألفى نوقة نظير تكاليف محكمة التفتيش ، وقد أودع المنكور سجن المتعاونين مع المحكمة.

في نفس اليوم وعد السيد كوسى بن عامر بأن يكون له سجن في مدينة فالنسيا لا يخرج منه ، وأن يمثل كلما استدعته محكمة التفتيش ، وأنه إذا تخلف يُعلن خروجه عن المسيحية ويلزم بدفع ألفى نوقة للمحكمة ، ولكن يتم ذلك : فقد ألزم بالتعهد بكل البنود الضرورية ، وقدم أسماء الضامنين له وهما : السيد فرانثيسكو دي بيلارينج صاحب ثيرات ، والسيد بدرو كارلوث شقيقه ، وهما من النبلاء ، وقد حضر الاثنان وقالا إنّهما يضمّنان السيد كوسى بن عامر ، وقد ألزمَا بالتعهد بالوفاء بالبنود الازمة.

الأصوات :

فى الصالة السرية لمحكمة تفتيش فالنسيا ويتأريخ ٢٥ مايو ١٥٧١ وبحضور السيد خوان دى روخاس عضو المحكمة ، والسيد أغستين فريكسا نائب فالنسيا ، والسيد ميفيل غوميث ميدس ، والسيد كريستوبال روين ، والسيد فاوست خوان دى أغيري ، والسيد سيمون فريغولا ، والجميع من بكاترة ومستشارى محكمة التفتيش . وقد وجهت الدعوة للجتماع بعد الاطلاع على ملف قضية السيد كوسى بن عامر . وقد رأى المجتمعون بالإجماع ضرورة استدعاء السيد كوسى لكي يتحدث بوضوح ويدلى بشهادته إزاء التهم المنسوبة إليه ^(٢) .

طلب ممثل النيابة :

بتاریخ ٢٦ یونیہ ١٥٧١ ، وأمام خوان دى روخاس عضو محكمة التفتيش ، قدم ممثل النيابة الطلب الآتى:

السادة الموقوفون :

الدكتور خاييمى بيريث - ممثل النيابة لدى محكمة التفتيش - يقول أمامكم : لما كان السيد فرانثيسكو كاروثر دى بيلاريج صاحب ثيرات وشقيقه السيد بيدرو كاروثر وهما من فالنسيا قد أخذنا على عاتقهما ضمان السيد كوسى بن عامر وفق القرار المعلن ، ولما كان من واجبي أن يعود السيد كوسى إلى هذه المحكمة فإننى أطلب منكم إصدار الأمر بأن يعيد كل من السيد فرانثيسكو كاروثر والسيد بيدرو كاروثر - أن يعيدها السيد كوسى بن عامر فى غضون فترة قصيرة ، وإذا لم يعيدها يُعاقبها بدفع الأفى بوقية ، وهى العقوبة المنصوص عليها فى القرار ، وفوق كل ذلك أطلب تحقيق العدل.

توقيع دكتور بيريث

القرار :

اطلع خوان دى روخاس عضو محكمة التفتيش على الطلب السابق ، وأمر بإعلان السيدين فرانثيسكو وبيدرو كاروثر - ضامنـى السيد كوسى بن عامر - بوجوب تسليم

السيد كوسى بن عامر إلى هذه المحكمة فى ظرف ستة أيام وإلا عُقبا بدفع غرامة قدرها ألفى يومية كنفقات لهذه المحكمة.

رد الضامنين:

السادة الموقرون :

لا يستطيع السيدان الشقيقان فرانثيسكو كاروثر دى بيلاريج ويدرو كاروثر تسليم السيد كوسى بن عامر لأنه - كما هو معلوم - متواجد فى مدريد منذ شهور لإجراء مقابلات مع السيد الكاردينال رئيس محكمة التفتيش العامة ، ومع السادة أعضاء المجلس الأعلى ، وهكذا فإن إعلانه بإحضاره يستغرق وقتاً يزيد عن الثلاثين يوماً؛ لهذا نطلب من حضراتكم سماع الشهود حول صحة ما نقول ، كما نطلب زيادة المهلة المحددة لإحضار السيد كوسى المذكور .

فالنسيا فى ٨ يونيو ١٥٧١ .

القرار:

فى فالنسيا ويتأريخ ٩ يونيو عام ١٥٧١ علم السيد خوان دى روخاس عضو محكمة التفتيش بأن السيد كوسى بن عامر متواجد فى بلاط صاحب الجلالة ، ولهذا قرر مد المهلة اثنى عشر يوماً للضامنين لتسليم السيد كوسى إلى هذه المحكمة .

طلب من المجلس الأعلى:

السيد الموقر:

قدمت شكوى إلينا من قبل السيد كوسى بن عامر ، وهو من بلدة بناغواشيل ، تقول : رغم أنه قد [وفق أوضاعه] إلا أنكم لا تزالون تلاحقونه وتلاحقون ضامنيه حتى يعود إلى السجن عليكم إخبارنا بالسبب الذى تطلبوه من أجله ، ولماذا تطلبون من ضامنيه تسليمه . حفظكم الرب .

مدريد فى ١٨ يونيو ١٥٧١^(٣)

مرسل من : السيد روبيريغو دي كاسترو
السيد فرانشيسكو دي سوتو
السيد خوان دي أوبياندو
السيد إيرناندو دي بيفا فونسيكا
إلى السادة الموقرين أعضاء محكمة التفتيش عن جرائم الإلحاد والكفر بمدينة
ومملكة فالنسيا .

طلب آخر من المجلس الأعلى

السادة الموقرون :

اطلعنا على خطابكم الذي أرسلتموه، وفيما يتعلق بقضية السيدين كوسمني بن عامر
 وخوان بن عامر عليكم الالتزام بتأميم المجلس الأعلى ، وعدم إلقاء القبض عليهما ،
 أو استدعائهما إلا بعد إرسال القضية إلينا ، وتلقى تعليماتنا بشأن ما يجب عمله .
 حفظكم الرب .

مدريد في ٧ يوليه ١٥٧١

مرسل من السادة: روبيريغو دي كاسترو ، فرانشيسكو دي سوتو سالاثار ، خوان
 دي أوبياندو ، غاسبار دي كيروغا إلى السادة الموقرين أعضاء محكمة التفتيش بمدينة
 ومملكة فالنسيا .

طلب آخر من المجلس الأعلى:

السادة الموقرون :

اطلعنا على ملف قضية السيد كوسمني بن عامر والسيد خوان بن عامر ، وهما
 مسلمان متصرران حديثاً من بلدة بناغواشيل ، ونجد عليكم بأنه وفقاً لتصويت أعضاء
 محكمة التفتيش الذي أجري بتاريخ ٢٥ مايو ١٥٧١ عليكم استدعاء الشقيقين
 المذكورين إلى محكمة التفتيش ، واستجوابهما ، وتوجيه الأسئلة اللازمة لمعرفة الحقيقة

حول التهم الموجهة إلى كل منها . وبناءً على تنتائج الاستجواب يتم الاطلاع مرة أخرى على الملفات بحضور المستشارين ، ويجب عدم تنفيذ القرار الذي تخونوه بل إرساله إلى المجلس الأعلى ، وعليكم إفادتنا هل الشقيقان المذكوران أو أحدهما يحملان لقب التعاونين مع محكمة التفتيش ، وهل مازالا يحملان هذا اللقب ، ومن الذي أصدر قرار حملهما هذا اللقب في حينه.

حظكم الربي.

مدريد في ٣ سبتمبر ١٥٧٧

مرسل من السادة إيرناندو دي بيفا دي فونسيكا ، كاتيمينو ، خيرونيمو مانريكي ، سالثار إلى السادة أعضاء محكمة تفتيش فالنسيا .

طلب ممثل الإدعاء :

فى فالنسيا و بتاريخ ٥ نوفمبر ١٥٧٧ وأمام بورو ثاراتى عضو محكمة التفتيش تقدم خايى بيريث ممثل الإدعاء بهذا الطلب.

السادة الموقرلون:

الدكتور بيريث ممثل الإدعاء لدى هذه المحكمة والماثل أمامكم يقول: لا سباب تتعلق بعبادة الرب وبخدمة محكمة التفتيش صدر الأمر بأن يمثل أمامكم السيد كوسى بن عامر المسلم المتصر حديثاً من بلدة خينوبليس خلال ستة أيام وإلا عوقب بإعلان خروجه عن تعاليم الكنيسة وبغرامة قدرها مائة توقية. ولم يشا هو اطاعة الأمر فى خلال المدة المذكورة، كما هو ثابت فى المحاضر التى أقدمها لكم. وأننا أكرر طلبنا ضد السيد كوسى المذكور بأن يعلن خروجه عن تعاليم الكنيسة ، وأنه قد استحق أن تُوقع عليه غرامة قدرها مائة توقية . ولما كنتم تزيدون استعمال الرأفة مع السيد كوسى : فقد أمرتم باستدعائه من جديد على أن يمثل أمامكم فى غضون أربعة أيام . ولما كان السيد كوسى متغيباً ، فقد تم إبلاغ زوجته والدتها وزوج اخته بالقرار ، وكانوا متواجدان بمنزله فى ١٢ أكتوبر الماضى. ولما كانت مهلة الأيام الأربع قد

انقضت ولم يحضر السيد كوسى فابتلى أتهمه بالتمرد ، وأطلب منكم إعلان خروجه عن تعاليم الكنيسة ، وأنه يستحق أن يدفع غرامة قدرها مائة نوقة نظير عصيائه .

القرار:

فى مقر محكمة تفتيش فالنسيا ، ويتأريخ ١٧ ديسمبر ١٩٧٧ ، ويحضور كل من : بdro دى ثاراتى ، وخوان دى ثونيبىغا عضوى المحكمة ، وبعد الاطلاع على الأوامر التى صدرت إلى السيد كوسى بن عامر لكي يمثل فى هذه المحكمة ، وعلى الإعلان الذى سلم إلى السيد كوسى نفسه وإلى زوجه ، وبيناءً على عصيائه وإصراره على عدم الطاعة ، وعدم تنفيذ ما أمر به فى المهلة المحددة ، وبعد الاطلاع على طلب ممثل النيابة ، تقرر تقديم شكوى ضد السيد كوسى المذكور وإرسال حاجب يأتى بملابس له تعادل قيمتها مائة نوقة (وهي قيمة الغرامة والنفقات الازمة) ، كما تقرر تفویض الحاجب فى أن يأتى بالسيد كوسى - إذا وجده - إلى مقر المحكمة.

فى فالنسيا ، ويتأريخ (٤ ديسمبر ١٩٧٧) اعترف ميفيل أنخيل أونياتى قائد سجون محكمة التفتيش بأنه تسلم شخص السيد / كوسى بن عامر من ميفيل سيرانو لكي يودعه أحد السجون السرية . تم التعرف على شخصية السيد كوسى ، ووُجِدَت بحوزته مائة ريال قشتالية أودعت طرف مسئول الأمانات نظير غذاء السجين .

فى مقر محكمة التفتيش ، ويتأريخ ٧ يناير ١٩٧٨ ، وأمام كل من : بdro دى ثاراتى ، وخوان دى ثونيبىغا عضوى محكمة التفتيش ، حضر ميفيل سيرانو ومعه مكتوب يقول فيه إنه نفذ أمر السادة (أعضاء المحكمة) وأحضر السيد كوسى ، أما المائة نوقة فلم يحضرها : لأن المذكور لم تكن معه ملابس أو أى شيء له قيمة . وقد حدث أن زوج أخت السيد كوسى - ويدعى بيستانى بابا وهو تاجر - قد تعهد بإحضار المائة نوقة إلى المسئول فى محكمة التفتيش فى ٢٣ يناير .

فى جلسة ١١ يناير ١٩٧٨ وأمام بdro ثاراتى عضو محكمة التفتيش أمر بإخراج السيد كوسى بن عامر من السجن ، وبعد أن أدى اليمين تم استجوابه فنجلاب أنه كان قد تزوج فى غانديا وعاش فى خينوبيس لأنه أجرً (البيت) وبعد ذلك رحل إلى بنى فيرون

في بال دى بالديفنا حيث تمتلك زوجته بيئاً ، وقد أحضره سيرانو مقبوضاً عليه ليلة عيد الميلاد ، وأنه قد ألقى القبض عليه في منزله ، وأن عمره يتراوح بين الخامسة والخمسين والستين، وأنه رجل طيب ، ولا يدرى ما هو سبب إلقاء القبض عليه.

في جلسة أخرى بتاريخ ١٦ يناير ، قال السيد كوسى إنه خلال السنوات الماضية قد حُوكم أمام محكمة التفتيش وسُجن ، لكنه قد صدر بشأنه عفو عام من قبل الرئيس العام لحاكم التفتيش السيد ديفوغو دى اسيينوسا ، والصادرة أعضاء المجلس الأعلى لمحكمة التفتيش : روبيرو دى كاسترو ، فرانثيسكو دى سوتوكالديرون عضو المحكمة وسلمها إلى خوان دى روخارس عضو المحكمة ؛ لأن سوتوكالديرون عضو المحكمة كان حينذاك في طرولي برفقة نوق سيفورى ، وبعد أن اطلع روخارس عضو محكمة التفتيش على الشهادات قال للمتهم وأخيه خوان بن عامر - رغم أن المكان قد أعد لحرقهما - اذهبنا إلى بيتكما في سلام ؛ فقد عفونا عنكم ، وأنتم لا شأن لنا بكم منذ الآن . وقد ذهبنا بالفعل إلى بيتهما ، بعد ذلك نفذت محكمة التفتيش عدة أحكام بالإعدام ولم يقل لهما أحد شيئاً.

ولما سُئل الشاهد عن القضية التي بينه وبين ممثل الإدعاء لدى هذه المحكمة ولماذا كان موعداً سجون محكمة التفتيش أجاب أن ذلك موجود في ملف القضية ، وأنه قد صدر بشأنه عفو عن كل ذلك ، وقد طلب منه أن يقرأ ملف القضية لكي يتذكر ما به ويجيب على الأسئلة ، لكنه أجاب أنه قد صدر بشأنه عفو عن كل ما كان قد ارتكبه قبل تاريخ صدور العفو ، وأنه لذلك غير ملزم الآن بما هو موجود في الملف.

وقيل للمنكور إننا لا نريد أن نمس العفو الصادر بشأنه ، ولا أن نرهقه ، ولا أن ننتقص من الفضل الذي يقول إنه قد أتفق عليه به الرئيس العام لحاكم التفتيش والصادرة أعضاء المجلس الأعلى ، بل إننا سنحافظ على كل ذلك بالنسبة له ، وبالنسبة لكل من يتمتع بهذه الأفضال ، وإننا - بناءً على كل ذلك - سنقرأ عليه الملف ، وإنه يتبع عليه أن يجيب . وقد قرأتنا وقائع الجلسة الأولى المؤرخة في ١٢ يناير ١٥٦٨ وبقية الملف وقد فهم السيد كوسى بن عامر ما ورد فيه ، وقال إن كل ما فعله حتى يوم صدور العفو عنه قد صدر عفو عنه ، وعن أخيه السيد خوان بن عامر من قبل جلالة

الملك فيليب مولانا ، ومن قبل السيد الرئيس العام لحاكم التفتيش والساسة أعضاء المجلس الأعلى لحاكم التفتيش.

وقيل للمنكور إنه في الطسعة الأولى اعترف بأنه كان مسلماً طوال حياته ، وأنه أدى شعائر المسلمين ، فليقل الآن وليرصف ما هي الشعائر التي كان يؤديها عندما كان مسلماً : فأجاب بأنه قد صدر بحقه عفو عن كل ما يتضمنه الملف من أنه كان مسلماً ، وعن كل ما هو مكتوب ، وأنه - بناءً على ذلك - غير ملزم بالرد.

وقد سُئل هل بعد اعترافه بأنه كان مسلماً صدر بشأنه عفو عن جريمة الإلحاد التي ارتكبها ؟ وهل تصالحت معه الكنيسة ؟ وهل تبرأ من الخطايا التي ارتكبها ؟ فأجاب بأنه فعل ما أمره به السيد الرئيس العام لحاكم التفتيش والساسة أعضاء المجلس الأعلى والساسة أعضاء محكمة تفتيش فالنسيا وهو إحضار الخطابات التي سلموها إليه في العاصمة ، وأنه قد سلمها بالفعل إلى السيد خوان دي روخاس عضو المحكمة الذي أطلع عليها وسمح له بالذهاب إلى بيته ، إذ قد صدر عفو عنه وعن أخيه السيد خوان بن عامر.

وقيل للمنكور إن توجيه الأسئلة إليه لا يهدف إلى إلغاء العفو الصادر بشأنه ، بل هو لصالح ضميره : فأجاب بأنه قد نفذ الأوامر الصادرة إليه ، وأنه ليس بإمكانه أن يقول للساسة أعضاء المحكمة ما يجب عليهم فعله فهم مرأة العالم.

وقيل له إننا سنقرأ عليه ما تبقى من ملف القضية والاعترافات التي أدلّى بها حتى جلسة ١٥ يوليه ١٩٦٨ حين خرج من السجون السرية التابعة لمحكمة التفتيش ، وبعد أن قرأنا عليه الملف : أجاب بأنه سمع وفهم كل ما قرئ عليه ، وأن التوقيعين باللغة العربية اللذين عُرضا عليه في الجلسة هما توقيعاه^(*) ، أما ما يتعلق بالأمور الأخرى الواردة في الملف : فقد قال إنه قد صدر بحقه عفو من قبل صاحب الجلالة ، ومن قبل الرئيس العام لحاكم التفتيش ، والساسة أعضاء المجلس الأعلى ، والساسة أعضاء محكمة تفتيش فالنسيا الموجودين حينذاك.

(*) إن توقيع السيد كوسمني بن عامر باللغة العربية أمام محكمة التفتيش - في وقت كان يجب فيه أن يتنصل من كل صلة له بالعربية - يؤكد أن الكتابة بالأخمبيانية لم تكن إلا لعجز بعض مسلمي الأندلس عن الكتابة بالإسبانية التي كانوا يجيئون التحدث بها . (المترجم) .

وُقِيلَ لَهُ إِنَّهُ - وَفَقَ مَا جَاءَ بِالْمَلْفُ - لَمْ تَبْرُأْ سَاحِتَهُ بَعْدَ مِنْ جَرِيمَةِ الْخُرُوجِ عَلَى
تَعَالَيمِ الْكَنِيسَةِ ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنْ جَرِيمَةِ اتِّبَاعِ دِيَانَةِ مُحَمَّدٍ الَّتِي ارْتَكَبَهَا قَبْلَ الْعَفْوِ
عَنْهُ ، وَإِنَّ ذَلِكَ ضَرُورَى لِخَلاَصِ رُوحِهِ ، وَإِنَّهُ لَكَى يَتَطَهَّرُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَعْتَرَفَ
بِكُلِّ جَرَائِمِهِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا وَقَتْ أَنْ كَانَ مُسْلِمًا لَأَنَّ ذَلِكَ فِيهِ الْخَيْرُ لِنَفْسِهِ وَرَاحَةً لِضَمِيرِهِ ،
وَفِيهِ استِفَادَةٌ مِنْ الْعَفْوِ الْمُلْكِيِّ وَعَفْوِ مَحْكَمَةِ التَّفْتِيشِ ، فَلَيْسَ هُنَاكَ تَفْكِيرٌ فِي إِلَغَاءِ هَذَا
الْعَفْوِ ، بَلْ النِّيَةُ هِيَ الْاسْتِفَادَةُ مِنْ هَذَا الْعَفْوِ إِلَى أَقصَى حَدٍ ، وَأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
بِمَحْضِ إِرَادَتِهِ ؛ فَإِنَّ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَظْلِمَ خَارِجًا عَنْ تَعَالَيمِ الْكَنِيسَةِ ، وَأَنَّ
يَظْلِمَ عَلَى نَفْسِ الْخَطَا ، فَتَجَابَ أَنَّهُ قَدْ صَدَرَ بِحَقِّهِ عَفْوٌ مِنْ قَبْلِ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ ، وَمِنْ
قَبْلِ مَحْكَمَةِ التَّفْتِيشِ عَنْ كُلِّ مَا ارْتَكَبَهُ مِنْ أَخْطَاءٍ ؛ وَلِهَذَا فَإِنَّهُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ ذُنُوبٌ يَعْتَرَفُ
بِهَا ، وَلَا يَحْتَاجُ مُجَرَّدُ مَحَامٍ يَدَافِعُ عَنْهُ فِي قَضِيَّةٍ تَمَّ الْعَفْوُ عَنْهَا رَغْمَ أَنَّهُ - بِنَاءً عَلَى
إِلَحَاحِ أَعْصَاءِ الْمَحْكَمَةِ - يَرِيدُ فِي تَعْيِينِ مَحَامٍ يَنْصَحُهُ وَيَدَافِعُ عَنْهُ.

فِي مَقْرَبِ مَحْكَمَةِ تَفْتِيشِ فَالْنَّسِيَا وَيَتَارِيْخِ ٢١ يَانِيْر ١٥٧٨ ، وَأَمَامَ بَدْرُو ثَارَاتِيِّ
عَضُوِّ مَحْكَمَةِ التَّفْتِيشِ ؛ حَضَرَ كُلُّ مِنْ السَّيِّدِ كُوسْمِيِّ بْنِ عَامِرِ الْمَوْدَعِ فِي سُجُونِ
مَحْكَمَةِ التَّفْتِيشِ ، وَالسَّيِّدِ كِرِيسْتُوْبَالِ بِيَثِيرِ الْحَامِيِّ الَّذِي أَبْلَغَ بِنَسْخَةِ السَّيِّدِ كُوسْمِيِّ
يَرْغُبُ فِي أَنْ يَدَافِعَ عَنْهُ ؛ لِهَذَا فَسَقَرَأَ عَلَيْهِ مَلْفُ الْقَضِيَّةِ لَكِي يَنْصُعَ السَّيِّدِ كُوسْمِيِّ
بِمَا يَنْفَعُهُ لِخَلاَصِ رُوحِهِ وَرَاحَةِ ضَمِيرِهِ . وَيَعْدُ أَنْ قَرَأَنَا عَلَى السَّيِّدِ كِرِيسْتُوْبَالِ بِيَثِيرِ
كُلِّ مَا قَالَهُ السَّيِّدِ كُوسْمِيِّ بْنِ عَامِرِ خَلَالِ الْجَلْسَتَيْنِ الْمُنْعَدِتَيْنِ يَومَيْ ١٦ ، ١١ مِنْ
الشَّهْرِ الْجَارِيِّ ؛ نَبَهَ السَّيِّدِ بِيَثِيرِ مُوكِلَهُ السَّيِّدِ كُوسْمِيِّ إِلَى ضَرُورَةِ الاعْتَرَافِ بِالْحَقِيقَةِ
كَامِلَةً لِمُصْلِحَتِهِ ، خَاصَّةً أَمَامَ مَحْكَمَةٍ تَوْخِيَ الْحَقِيقَةَ وَالْعَدْلَ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُنْطَقُ فِي
إِقْنَاعِهِ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَحْكَمَةُ هُوَ مُصْلَحَةُ الْمُذَكُورِ وَالْعَفْوُ عَنْهُ.

فِي مَقْرَبِ مَحْكَمَةِ تَفْتِيشِ فَالْنَّسِيَا وَيَتَارِيْخِ ٧ فِبْرَارِي ١٥٧٨ وَأَمَامَ بَدْرُو ثَارَاتِيِّ عَضُوِّ
الْمَحْكَمَةِ أَحْضَرَ السَّيِّدِ كُوسْمِيِّ بْنِ عَامِرِ مِنْ السُّجُونِ السَّرِيَّةِ ، وَأُعْلَنَ أَنَّهُ الْآنَ يَعْرَفُ
الـ Credo وَالـ Salve Regina وَالصَّلَوَاتُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَؤْدِيَهَا الْمُسْكِيْحِيُّ ، وَقَدْ رَدَدَهَا
كُلُّهَا بِالْلَّاتِينِيَّةِ وَبِالْإِسْبَانِيَّةِ بِمَا فِيهَا " أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاءِ " ، وَقَالَ إِنَّهُ مِنْذُ أَنْ صَدَرَ
الْعَفْوُ عَنْهُ عَاشَ حَيَاتَهُ كَمُسْكِيْحِيٍّ ، وَأَنَّهُ يَوْلِهُ أَنَّهُ وُلَدَ فِي بَيْتِ مُسْلِمٍ وَلَا بَيْتِ مُسْلِمٍ ،
وَكَانَ يَتَمنَى لَوْ أَنَّهُ وُلَدَ لِأَبْوَيْنِ مِنَ الْمُسْكِيْحِيِّينَ الْقُدَامَى ، وَفِي بَيْتِ مُسْكِيْحِيِّينَ قُدَامَى ؛ فَذَلِكَ

أفضل لروحه ولجسده ، وأن أمه هي التي علمته كيف يؤدى الصلاة وصيام رمضان ومعناه الامتناع عن الأكل طوال ثلاثة أيام إلا في الليل كل عام ، وأن أمه علمته الإيمان بياله واحد ، وقالت له إن مريم عذراء وطاهرة لكنها ليست أم الله ، وإن ربنا يسوع (ليس) ابن الله ، وإنما هو رسول الله ، فإنه يجب الإيمان بكل ما قاله ، وإن من لا يؤمن بما يقوله المسيح يائمه ، وأن أمه قالت له إن محمدًا رسول الله قوله حق ، وإن من لا يؤمن بما قاله يائمه ، فإنه لأداء الصلاة يجب تلاوة " الحمد لله " و " قل أعوذ " وإن الصلاة يمكن أن تؤدى وقتها يشاء ، وإن إذا لم يؤد الصلاة يدخل النار ، وإن أمه كانت تتصحه ألا يقتل أحداً ، وألا يتطلع إلى زوجة غيره ، وألا يشهد الزور . قال إن أمه علمته العقيدة الإسلامية عندما كان صبياً في الحادية عشرة أو الثانية عشرة ، وإن هكذا كان اعتقاده دائمًا إلى أن سُجن ، وإلى أن أصدرت محكمة التفتيش عفوًا عنه.

يعترف أنه أدي شعائر المسلمين ، وصوم رمضان منذ أن علمته والدته ، ومنذ أن عرفته بشهر رمضان في كل عام ، وكان يصوم فلا يأكل طوال النهار إلى أن يحين الليل ، وكان عندما يحين الليل يأكل ما يجد ، وقبل أن ينام كان يأكل مرة أخرى إذا رغب في الأكل ، وهذا ما يسمونه " السحور " . وقد أدى المذكور الصلاة مرات كثيرة خلال العام ، وكان أشد حرصاً على الصلاة في رمضان وفي أيام الجمع لأن أمه كانت تقول له إن يوم الجمعة يوم مبارك . وكان في شهر رمضان يؤدى خمس صلوات في اليوم إن استطاع: صلاة الصبح ، وصلاة الظهر ، وصلاة العصر ، وصلاة المغرب ، وصلاة العتمة . وحين كان المذكور يؤدى الصلاة كان يؤديها بهذه الطريقة: كان يتوضأ فيفسل يديه إلى المرقين ، وقدميه وعورته ووجهه ، وأنقه ، ورأسه ، وما وراء أذنيه : كل جزء ثلاثة مرات ، بعد ذلك كان يضع سجادة نظيفة ، ويقف فوقها ، ويتجه ناحية القبلة ، ويرفع يديه ويخفضهما مردداً " الله أكبر " ، وكان يتلو سورة " الحمد لله " وسورة " قل هو الله أحد " (وقد قرأها باللغة العربية) ، وقال إنه لم يتعلم سوراً أخرى ، وإن أمه لم تعلمه أكثر من ذلك . وبعد انتهاء شهر رمضان كان يحتفل بالعيد يوماً واحداً ، وكان يحتفل بعيد الأضحى وهو ثلاثة أيام ، وكان يتبع أضحية احتفالاً بالعيد.

وقال المذكور إنه لا يتذكر في الوقت الحاضر أنه أدى شعيرة أخرى من شعائر المسلمين ، وقال إنه عندما كان يؤدى هذه الشعائر كان يؤمن بعقيدة المسلمين ، وكان

يظن أنها تتجه من النار ، وقال إنه ظل يؤمن بهذه العقيدة طوال حياته إلى يوم إيداعه سجن محكمة التفتيش وصدر العفو عنه ، وإنه منذ ذلك اليوم أصبح مسيحيًا ، ويرغب في أن يكون أكثر مسيحية ، وأن يعيش ويموت على شريعة يسوع كمسيحي كاثوليكي.

وقد سُئل السيد كوسى بن عامر عن الأشخاص الآخرين الذين علمتهم أمه شعائر المسلمين التي وضعها ، أجاب بأنه لا يدرى لكنه يظن أنه بما أنها علمته هو فلابد أن تكون قد علمت إخواته فهم أبناؤها ، وقال إنها كانت تعلم بمفرده ، وإن كان يودي الشعائر بمفرده ، وقال إنه ذات مرة أدى الشعائر برفقة أخيه السيد لويس .

وكانت زوجة السيد كوسى وأسمها السيدة بياتريث خثور تعلم بأنه يصوم رمضان ، ويعزى تعين السيد كوسى كمتعاون مع محكمة التفتيش إلى ميراندا عضو المحكمة فهو - كمبوعث لجلالة الملك إلى المسلمين المنصرين في هذه المملكة - قد تعرّف على السيد كوسى وعلى إخواته وأحبهم ، وقد وقع ميراندا هذا التعين بمفرده ومصدق عليه نيكولاس بيريون الكاتب الشرعي بهذه المحكمة ، لكن الأعضاء الآخرين لم يوقعوا على التعين الذي بطل بعد وقت قصير لأن بوق سيفوربي - الذي تعيش أسرة السيد كوسى في أراضيه - أسف كثيراً لتعيينهم متعاونين مع المحكمة واستدعاهما ، وقال لهم يتخلوا عن التعين ؛ فحيث يتواجد هو ليسوا في حاجة إلى هذا التعين ، ولو أن المحاكم الإقليمي بسبب لهم أذى فليحضروا إليه وسيزيل عنهم الضرر؛ وعليه فإن السيد كوسى وأخواته - رغبةً منهم في عدم إغضاب بوق سيفوربي - قد ردوا التعين إلى ميراندا عضو محكمة التفتيش .

وفيما يتعلق باليراث الذى تركه والده قال السيد كوسى إنه لم يحدث مطلقاً أن تم توزيعه ، بل إن الميراث لدى إخواته وهو فى نزاع معهم حول تنصيبه فى التركة ، لكنه عندما كان فى العاصمة ماتت اخت له تدعى السيدة ليونور ؛ وهى زوجة خيرونيمو بوتيارى بنيثانو ، وقد استدعاى زوجها صديقاً له لكي يتفاوض مع إخوة زوجته ، وهم إخوة السيد كوسى ، حول المال الذى دفعته السيدة ليونور لتكاليف الزواج إذ لم تكن هناك أوراق بذلك ، ولهذا فقد حدد ذلك الصديق أدم سبوش الذى أطلق عليه بعض الشهود لقب "فقيه" عند حديثهم عن تقسيم التركة .

ويضيف السيد كوسى إنه لم يعش له أولاد ذكور لفترة تزيد عن ستة أشهر ؛
ولهذا فلم يرسل أولاداً إلى الفندقية لكي يتعلموا اللغة العربية .

وقد سُئل عن اسمه الإسلامي وماذا قرأ ، وعم تحدث مع آخرين ، وماذا تعلم من القرآن فأجاب بأنه لم يكن له اسم إسلامي مطلقاً ، وأنه لم يحفظ شيئاً من القرآن ، وأنه لم يتحدث مع أحد عن شيء .

في صالة السر بمحكمة تفتيش فالنسيا وي بتاريخ ١٢ فبراير ١٥٧٨ أمر ببرو ثاراتى بإخراج السيد كوسى بن عامر من السجون السرية ، وقد طلب المتهم استدعاء محاميه ليتحدث معه ، وتوصل إلى السادة أعضاء المحكمة سرعة الفصل في القضية ؛ لأنه يشعر بالإرهاق وبخشى إصابته بمرض يودي بحياته ، وكذلك لأن بيته وأولاده يتعرضون للخطر إن ثلل هو في السجن ، وقد أجب بأنه لأبد أن يخلص ضميره ؛ فهذا هو واجبه ، وبهذا أعيد إلى السجن .

في صالة السر بمحكمة تفتيش فالنسيا وي بتاريخ ١٩ فبراير ١٥٧٨ أمر ثاراتى عضو المحكمة بإخراج كوسى بن عامر من السجون السرية ، وبعد أن حلف اليمين سُئل عما إذا كان يتذكر شيئاً يجب أن يقوله لكي يخلص ضميره فأجاب السجين بأنه ليس لديه ما يقوله إلا ما قاله بالفعل . بعد ذلك أمر عضو المحكمة باستدعاء السيد كريستوبال بيبير المحامي وقرأ عليه محاضر الجلسات التي حضرها موكله كوسى بن عامر منذ الحادى عشر من يناير الماضى . وقد نبه المحامي موكله كوسى بن عامر إلى ضرورة أن يقول الحقيقة كاملة ، وأن يخلص ضميره تماماً لأن ذلك في مصلحته ، فقال ابن عامر إنه قد قال الحقيقة فعلًا ، وليس لديه ما يضيفه ؛ ولهذا فالقضية متჩمة تماماً . وبهذا أعيد إلى السجن .

في فالنسيا وي بتاريخ ٢١ فبراير ١٥٧٨ أمر كل من ببرو ثاراتى وخوان دى ثونينيغا عضوى محكمة التفتيش بإخراج كوسى بن عامر من السجن بكفالة قدرها خمسمائة ليرة ، وقد حضر السيد كوسى بناء على أمر عضوى المحكمة ، وسُئل عما إذا كان يريد الإخطار عن شيء في السجن فقال إنه ليس لديه ما يقوله ، وأوصى بعدم إذاعة ما حدث في القضية وما رأه في هذه المحكمة ، وعليه فقد اقتيد إلى الدور السفلى لدفع الكفالة . بعد ذلك قال كوسى بن عامر - أمام ببرو بلانكو سكرتير المحكمة - إنه طبیعاً لأمر عضوى المحكمة سيكون مقر سجنه هذه المدينة ، ولن يخرج منها

إلا بتصریح ، وإلا عُوقب بدفع غرامة قدرها خمسمائة نوقة نظیر نفقات المحکمة . وقدم خاصین له هم : السيد فرانثیسکو بویل صاحب دایا ، والسيد بدرو کاروٹ : وهما من الفرسان ، والسيد غابریل البیطار ؛ وهو تاجر ، والجھیع من هذه المدینة . وتم ذلك فی حضورهم ، وقد ضممنوا ذلك باموالهم وبأشخاصهم .

فی فالنسیا ویتاریخ ٢٦ مارس ١٥٧٩ امر عضوا محکمة التفتیش بدرو دی ثاراتی وخوان دی ثونیبیغا بأن يتغیر سجن کوسنی بن عامر - نظرًا لحسن سلوكه - ليكون في بيته أو في أي مكان يختاره بحيث يتواجد كلما استدعته محکمة التفتیش إلا عُوقب بغرامة قدرها خمسمائة نوقة .

فی نفس اليوم تعهد كل من السيد بدرو کاروٹ دی بیلارغوت ، والسيد فرانثیسکو بویل صاحب دایا بضمانت کوسنی بن عامر أمام المحکمة وتسلیمه إليها عند الطلب وإلا عُوقباً بإعلان خروجهما عن تعالیم الكنيسة ، ويدفع غرامة قدرها خمسمائة نوقة نظیر نفقات المحکمة .

فی مقر محکمة تفتیش ویتاریخ ١٧ يولیه ١٥٧٩ ویحضر كل من بدرو دی ثاراتی ، وخوان دی ثونیبیغا ، وفیرنان کورتیس أعضاء المحکمة ، والسيد أغستین فریکسا قاضی أسفیقیة فالنسیا والسادة المستشارین مییدیس ، سان خوان دی أغيری ، فریغولا ، بانیاتوس ، فیریر ؛ وبعد الاطلاع على ملف قضیة کوسنی بن عامر والتحاور بشأنها كان التصویت كالتالی:

یرى كل من بدرو ثاراتی وخوان دی ثونیبیغا ، والسيد مییدیس أن یتصالح السجين مع الكنيسة بموجب قرار العفو الصادر من المجلس الأعلى .

ویرى كل من فیرنان کورتیس والقاضی أغستین فریکسا ، والسيد سان خوان ، والسيد فریغولا ، والسيد بانیاتوس ، والسيد فیریر أن یتعرض السجين للتعذیب .

فی مدینة مدرب ویتاریخ ٢ أكتوبر ١٥٧٩ ، وبعد أن اطلع السادة أعضاء المجلس الأعلى لمحاکم التفتیش على ملف القضية التي نظرتها محکمة التفتیش فالنسیا ضد السيد کوسنی بن عامر الذي كان مسلماً ، أمروا بأن یتعرض السجين للتعذیب ، على أن تترك درجة التعذیب لاختیار أعضاء المحکمة ثم یعاد عرضه على المستشارین ویطبق العدل .

السادة الموقرون:

اطلعنا على ملفات القضايا التي نظرت ضد السيدين خوان بن عامر وكوسى بن عامر؛ وهما من أصول مسلمة ومن بلدة بناغواثيل وتعيدها إليكم. ما هو ثابت سيتم تنفيذه، لكننا لأسباب عادلة نرى أن تعقدوا جلسات مع المذكورين تعنفهمها فيها لتخلص ضميرهما، ويجب إفادتهما أن تخلص ضميرهما أمر هام لل المجتمع بالغفو الذي صدر بشأنهما عام ١٥٦١. أما إذا استمرا على موقفهما؛ فيتم تنفيذ ما قرره المجلس. حفظكم الله.

مدريد في ٢ أكتوبر ١٥٧٩

توقيع: إيرناندو دي بيجا فونسيكا ، خيرونيمو مانزيكي ، سالاثار

إلى أعضاء محكمة تفتيش فالنسيا

في مقر محكمة تفتيش وبتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٥٧٩ ، وأمام بدرؤ ثاراتي عضو المحكمة تم استدعاء السيد كوسى بن عامر ، وأمر بعدم الخروج من المدينة إلا بتصریح من أعضاء المحكمة ، وأمر بحضور الجلسات ، وقد تعهد بذلك.

في نفس المقر وبتاريخ ٢٨ من نفس الشهر ، وأمام عضو المحكمة نفسه تم استدعاء السيد كوسى بن عامر ، وقيل له إنه كثيراً ما يُصح بأن يعترف بالحقيقة ، وإنه قد استدعى الآن لتأكيد ذلك ليخلص ضميره من الجرائم التي أتهم بها ، خاصة تلك التي تتعلق بالأشخاص الذين آدوا معه شعائر المسلمين ، والأشخاص الذين رأهم يؤتون شعائر المسلمين، لأن الاعتراف بذلك ضروري حتى يكون تحوله إلى المسيحية تحولاً صادقاً و هذا ضروري للجتماع بقرار العفو الذي صدر بحقه عام ١٥٦١ ، فأجاب السيد كوسى بأن هذه المحكمة محايدة؛ ولذلك فإنها لا تستطيع أن تأمره بأن يقول إلا ما هو عدل، وكل ما هو عدل قد قاله بالفعل ، وقال إنه يعلم أن أشخاصاً يتمنون له الشر ، رغم أنه لم يسألي أحد ، وقال إنه تمنى من الله لو أنه ولد في بيت من بيوت المسيحيين القدامي حتى يتعلم شريعة يسوع كاملة. وهكذا نصيحة بأن يفكر جيداً في أمره وأنزل له بالانصراف.

في مقر محكمة تفتيش فالنسيا ويتأريخ ٧ ديسمبر ١٥٧٩ ، وأمام بورو ثاراتي عضو المحكمة تم استدعاء السيد كوسماي بن عامر ، ثم السيد ساراثولا الذي عين محامياً عن السيد كوسماي ، والذي اطلع على تطورات القضية وعلى اعترافات السيد كوسماي بن عامر ، وعلى كل ما أراد الإطلاع عليه ، وقد نصح السيد ساراثولا موكله بأن يقول الحقيقة ليخلص ضميره ؛ فهذا ضروري لإنقاذ روحه ولانتهاء القضية ، وقد أجاب السيد كوسماي بأنه قد صدر بحقه عفو من الملك ، ومن الرئيس العام لمحاكم التفتيش ، ومن السادة أعضاء المجلس الأعلى ، وذلك نظير سبعة آلاف توقية دفعها هو وأخوه ، وأنه الآن لن يدفع مرة أخرى ثمن أكاذيب الشهود . ولما كان الوقت متاخراً ، ولم يكن أحد يستطيع الرؤية التي تمكن من القراءة أو الكتابة فقد رُفعت الجلسة ، وغادر المحكمة كل من السيد كوسماي ومحاميه .

في مقر محكمة تفتيش فالنسيا ، ويتأريخ ٩ ديسمبر ١٥٧٩ ، وأمام بورو دي ثاراتي عضو المحكمة حضر كوسماي بن عامر ومحامييه السيد ساراثولا ، وطلبا الاستماع إلى الشهود لأنهم يتهمون السيد كوسماي كذباً ، وقد سلم عضو المحكمة إلى السيد سالاتار ورقتين تتضمنان أقوال الشهود ، وذلك حتى يستخدمهما في الدفاع عن موكله .

في نفس مقر المحكمة ويتأريخ ١٥ ديسمبر ، وأمام عضو المحكمة نفسه ، تسلم السيد سالاتار نسخة من عريضة الاتهام ومن الأقوال التي أذلي بها موكله ، وذلك حتى يستخدم هذه المعلومات في الدفاع عن موكله .

أمامي أنا بورو بلانكو دي سالثينو .

الهوامش

Apud Boronat: Los moriscos españoles....,pp. 540-589 {١}

(٢) من بين أوراق قضية كرسى بن عامر هناك رسالة إلى محكمة التفتيش صادرة من المجلس الملكي تتضمن شهادة لصالح بنى عامر.

(٣) وصلت إلى محكمة التفتيش في الثاني والعشرين من يونيو .

شكوك حول الموريسيكين

خلال القرن السادس عشر كانت هناك شكوك مستمرة حول ثورات موريسيكية أو اتصالات الموريسيكين مع سلطان المغرب أو مع سلطان تركيا . وهناك وثائق كثيرة جداً بيتو فيها الموريسيكين في نظر معاصرיהם كمتآمرين ضد المسيحيين القدامى وضد الأمن الداخلي والخارجي لإسبانيا . نقدم الأن نموذجين :

- ١ - مذكرة لمجلس الدولة رُفعت إلى صاحب الجلالة في ٢٨ يناير ١٦٠١ بشأن تحذير من موريسيكي إسبانيا أرسله الضابط بارتولومي دي يانوس الأركون من طوان حيث كان أسيراً .^(١)
- ٢ - محضر جلسات نواب قشتالة المحرر في ١٣ سبتمبر عام ١٦٠٧

سيدى :

يكتب إليكم الضابط بارتولومي دي يانوس الأركون من طوان رسالة بتاريخ ١٥ نوفمبر من العام الماضي : فقد ذهب في خدمتكم إلى نابولي وهو يحمل أوصمة تفضلتم بها عليه . أسره موراتو الرئيس وهو يحمل بريديكم ، وقد علم يقيناً أن موريسيكي إسبانيا ينونون التمرد : ولهذا فهم يتصلون بملك المغرب ، والآن هناك في الجزائر موريسيكي من قرطبة في سفارة إلى السلطان التركي يغريه بسهولة عملية غزو إسبانيا لأن فيها خسمائة ألف مسلم . ورغم أنهم رحبوا به في البداية إلا أنهم فيما بعد صرفوه باشمئزاز ، إذ بدت لهم العملية صعبة . إن هذا الموريسيكي يقوم برحلات عديدة ، وهذه الاتصالات يشترك فيها أهل أراغون وفالنسيا التي يخرج منها يومياً إلى الجزائر كل من يريد . إنه يطلب منكم تأييد مهمته والأمر بمحاولة فك أسره ، إذ ليس لديه ما يملك إلا أنه خدمكم طوال حياته .

إن التعامل مع قضية الموريسيكين هو أهم ما يمكن عمله من أجل أمن هذه المالك ، فليس هناك شك في أنهم أعداء : ولهذا فإنهم سوف يستغلون أي فرصة تلوح لهم ،

وخاصة موريسيكي فالنسيا ، فهم مسلمون حقيقيون ، ففى خلال مدة الإعلان لم تحضر سوى امرأة واحدة للصالح مع الكنيسة ، ولما كانت فترة الإعلان تنتهى فى العاشر من الشهر القادم فيبدو للمجلس أنه من المناسب أن تتعامل اللجنة التى أمر صاحب الجلالة بتشكيلها بحذر شديد وهى تقرر ما يجب عمله مستقبلاً حتى لا يحدث أى خلل (وهو ما يخشى وقوعه) لأن أعضاء محكمة التفتيش سيدعون محاكمتهم ، ومن الواجب تجنب المشاكل التى قد تحدث.

ولكى يأمر كاردينال غيبوارا أعضاء محكمة التفتيش فى قرطبة بمحاولة معرفة موضوع الموريسيكي الذى ذهب فى سفارة إلى سلطان تركيا - لكى يأمر الكاردينال بذلك فقد قدمنا له معلومات عن الموريسيكي .

وإلى جانب ذلك فإنه يبدو للمجلس أنه يليق بجلالتكم التفضل على الضابط الذى أرسل التحذير وفك أسره ، وقد اقترح الكاردينال أنه فى حالة موافقتكم سيخرج ثلاثة أو أربعمائة دوقة مخصصة للقدس بنينتو ، وهو أمر يحدث عادة ، فلتأمروا جلالاتكم باستدعائه وإصدار الأمر الذى ترونوه.

مدريد فى ٢٨ يناير ١٦٠١

توقيعات

كان يعتقد دائمًا أن الموريسيكين عبارة عن جواسيس لأى عنوان قوى^(٢) ، ففى مذكرة مجلس الدولة الموقعة فى مدريد بتاريخ ١٠ أغسطس ١٦٠٠^(٣) عبروا عن مخاوف من حدوث اتصالات^(٤) بين موريسيكي أراغون وفرنسا.

... إذا كان لموريسيكي فالنسيا اتصالات مع فرنسا فيقول إنه حاول التحرى عن ذلك باهتمام؛ لكنه لم يجد شيئاً ذا قيمة رغم أن موريسيكي فالنسيا ساخطون وفاضبئون إزاء القرار الذى صدر بشائئهم، لكننا علمنا على وجه اليقين أنهم يجريون اتصالات مع السلطان التركى ، ويبدو أن هذه الاتصالات وثيقة الآن ، فالآخرون يلحون عليهم. إذا كانت لهم اتصالات مع الفرنسيين؛ فهذه الاتصالات تتم عبر موريسيكي أراغون، فقد اتصل بهم ملك فرنسا فى الأعوام الماضية ، وهناك عدد كبير من الفرنسيين فى مملكة أراغون ، أما فى مملكة فالنسيا هذه فهناك أربعة عشر أو خمسة

عشر ألفاً . هذه المملكة محط الانتظار وموضع اهتمام ، فلو أن الموريسيكين تلقوا مساعدة - حتى لو لم تكن كبيرة - فسيكون هناك خطر ... يجب أن تكون المملكة مستعدة بالسلاح وبحمامة الحصون ، رغم أن ذلك قد يؤدي إلى زيادة غضب الموريسيكين .

لما أطليع المجلس على هذه الرسالة وتحاور بشأن مضمونها ، رأينا من المناسب أن نذكر جلالتكم بأن هذا هو أهم موضوع ، ويجب النظر فيه على وجه السرعة : لأن هؤلاء الأعداء الداخليين عددهم كبير ، وهم إسبان لا نشك في أنهם سينفذون مخططاتهم السيئة عندما تحين الفرصة لكي يُحسنوا أوضاعهم ، وهذا ما ثبتته التجربة في مملكة غرنطة ، فلو كان هناك غزو خارجي للملكة فإنه سيكون من الخطأ الثقة في هؤلاء الناس ؛ ولهذا يطلب المجلس من جلالتكم إصدار الأمر بمعالجة الوضع والاطلاع مرة أخرى على المذكرات التي حررت : والتي هي في حوزة جلالتكم وإصدار الأوامر المناسبة. ويحثّر المجلس من أن تخير النظر في هذا الموضوع سيسبب أضراراً بالغة لأن العقبات تزداد بمرور الوقت ، وقد يصعب العلاج.

”الوثيقة التالية مستخرجة من محاضر جلسات نواب قشتالة المحررة بتاريخ ١٢ سبتمبر عام ١٦٠٧ وهي ذات مفزي ، ليس فقط لأنها تبدى التخوف من الموريسيكين الذين هاجموا المسيحيين القدامى بكل الطرق ؛ بل لأنها تبين كذلك الإحساس بالشرف ، واشتراط نقاط الدم لمارسة بعض المهن. هناك مهن للمسيحيين القدامى ، وهي بالتالي شريفة ولا تتعارض مع الشرف. ولهذا فإذا سُمح للموريسيكين بممارسة مهنة الطب يتحول الطب إلى مهنة خاصة بالموريسيكين ، ولا يريد أى مسيحي قديم ممارستها“

(اقتراح يلزم ألا يكون هناك موريسيكيون أطباء)

اقتراح بدرو دي بيسيغا أن يلزم القانون بـلا يحمل الموريسيكين أسلحة حتى لا يُسيبوا أحداً ، فهل هناك سلاح أشد خطراً من المداواة التي يمكن أن يقتلوننا بها؟

هناك مهن لا يجب أن يعمل بها الموريسكيون نظراً للتزييف الذي يمكن أن يؤدوا
عملهم به ، ويقدر كون مهنة الطب سامية قدر خطورة التزييف الذي يمكن أن يرتكبه
الموريسكيون فيها.

إن الثورات التي قاموا بها ومعلومات أخرى ، كلها شواهد تدل على أن
الموريسكيين يكرهون المسيحيين القدامي ، ومن ذا الذي يريد أن يعالجه عنو ؟ إن
الكثير من الموريسكيين الأطباء الذين حاكمتهم محكمة التفتيش قالوا في اعترافاتهم
إنهم كانوا يعالجون بني قومهم بخلاص ، وإنهم كانوا يحتالون لقتل المسيحيين
القدامي ، وإنهم كانوا يقدمون أنوبية تزدی إلى إجهاض الحوامل.

ولذا كان الموريسكيون أطباء فسقيرتون ملابس من الحرير، ويركبون البغال ،
وقوانين هذه المالك تحظر على الموريسكيين الأمررين ، وتحظر عليهم أن تكون لهم
وظائف محترمة، فلماذا يُسمح لهم بممارسة مهنة الطب وهي مهنة سامية ؟ .
إن الموريسكي لو دخل بيير الراهبات - وهن صغيرات السن وفضوليات - يمكن أن
يعلمهم أموراً تخالف الدين .

والاليوم هناك كثير من دارسي الطب الموريسكيين في جامعة طليطلة وجامعات
أخرى. إن الأنوبية الكثيرة يمكن أن تُستخدم في القتل خفيةً وبالحيلة ، ولنا أن نتصور
أنهم سيستخدمون الحيلة وسيقتلون بها عدداً يفوق العدد الذي قتله الأتراك والإنجليز
والأعداء الآخرين مجتمعين .

إن المسيحيين القدامي لا يريدون أن يعمل أبناؤهم كصيادلة أو كأطباء ، وهذا
فخلال ثمانين عاماً سيكون كل الأطباء والصيادلة موريسكيين ، وسيكون معهم مفاتيح
الحياة في المملكة ، ولن يكون هناك شيء آمن.

في مدريد ، وفي أماكن أخرى تم إلقاء القبض على موريسكيين كانوا يسيرون
ليلاً ويقتلون المسيحيين القدامي بداعي الكراهية ، وهناك طبيب اسمه "المنتقم" اعترف
بأنه قتل ثلاثة آلاف وثمانمائة وأربعين شخصاً بظفر مسموم ، وقد عاقبت محكمة تفتيش
فالنسيا موريسكيأً يعمل "مجبراً" اعترف بأنه كان يتعمد إتلاف أيدي المسيحيين
القدامي حتى لا يستطيعوا حمل السلاح.....

Apud Janer: Condicion social.....,pp. 278-79 (1)

Véase Regla: *La cuestión morisca y la coyuntura internacional en tiempos de (r)*

Felipe II, y Hess: The moriscos. An Ottoman Fifth Column in Sixteenth Century Spain.

Apun Janer, *Condicion social...*, p. 278 (T)

(٤) هي اتصالات تمت بالفعل . انظر كتاب لوى كارديايك :

Morisques et protestants.

قرار محكمة تفتيش أراغون بحظر حمل الموريسكيين الأسلحة النارية

(نسخة من القرار الذي أصدرته محكمة تفتيش أراغون في الخامس من نوفمبر عام 1559 : والذي تحظر فيه على الموريسكيين استعمال أو امتلاك الأسلحة النارية)⁽¹⁾

نحن أعضاء محكمة التفتيش عن جرائم الكفر والإلحاد في كل أنحاء مملكة أراغون ومدينة وأسقفية ليريدا ، المولكون عن المقر البابوي ، نعلم كل المتصرين حديثاً في مملكة أراغون وأبنائهم أنه طبقاً لما فهمناه ، وبالنظر إلى المهمة المقدسة لمحكمة التفتيش ، خاصة في الوقت الحاضر ، فمن الضروري التزام المسيحيين الكاثوليك بإزالة أي عائق يحول دون قيام محكمة التفتيش بواجبها بحرية ، فلو كان هناك عائق مهما كان صغيراً فإن ذلك سيحول دون إنزال العقاب باللحددين الذين يشككون في عقيبتنا الكاثوليكية المقدسة.....

لما رأينا العدد الكبير من المسلمين المتصرين وأبنائهم في هذه المملكة وهم يعيشون كمسلمين علانية ، ولما رأينا تكرار مجيء مسلمين أتراك - وهو أعداء لعقبيتنا الكاثوليكية المقدسة - يغدون إلى شواطئ هذه المملكة ، والكثير منكم أنها المتصرون حديثاً قد سررتكم بذلك وتمنيتم - لو أتيح لكم ذلك - الاجتماع بهم بل وما هو أكثر إيلاماً أنكم عندما مات كونت الكاوديتى ومعه مسيحيون كثيرون ، قد أبدى الكثير منكم السعادة ، وكان هناك حديث كثير عن هذا الانتصار (للأتراك) ، والثابت لدينا أنكم تعتبرون محكمة التفتيش كعدو لكم ، وكذلك أعضاءها : وهذا ما قلتموه عندما قاومتم أحد مندوبي المحكمة.

Apud Carrasco Urgoiti: El problema morisco en Aragon a comienzos del reinado de (1) Felipe II, pp. 87-89. Vease tambien Danvila y Collado: "El desarme de los moriscos en 1563" , en BRAH

وبالنظر إلى الحادثة التي ارتكبها موريسيكين و المسلمين متصررون عندما خرجوا من بلدة بلاطيشيا بالبنادق وبأسلحة أخرى حين كان ثلاثة من المتعاونين مع محكمة التفتيش - بأمر منا - يعتقلون متصرراً حديثاً. لقد قتل الموريسيكين المتعاونين مع محكمة التفتيش وقتلوا خادماً لأحد المتعاونين ، ونبحوا نائب إحدى قرى المتصررين ، وعنفوا سكان القرية لأنهم يعيشون كمسيحيين ، وارتکبوا أفعالاً أخرى تدخل في نطاق اختصاص محكمة التفتيش . لقد دخل مسلم متصرر حديثاً إلى منزل النائب وقتله ، ورغم أن منزل النائب طلب النجدة إلا أن الموريسيكين لم يقدموا المساعدة. وعندما ألقى القبض على القاتل في نفس الليلة جاء أشخاص يحملون البنادق وفكوا قيوده وأخرجوه من السجن في تحدي سافر لمحكمة التفتيش.

وبالإضافة إلى ذلك فلدينا معلومات تفيد بأن الموريسيكين يهددون بمقاومة رجال محكمة التفتيش ، بحيث أنه من الآن فصاعداً لن يجرؤ أحد على الذهاب لاعتقال موريسيكى إلا إذا كان في صحبة عدد كبير من الناس ، ويتكلّف تعجز المحكمة عن تحملها ، وإذا كان الأمر كذلك فلن يكون من الممكن إتمام هذه العمليات سراً : وهكذا سيتمكن المطلوبون من الهرب ، وستظل جرائمهم دون عقوبة.

لقد فهمنا كذلك أن كثيراً من الموريسيكين وأبنائهم يستعدون للهرب ومغادرة هذه المالك بآية طريقة ، وكل يوم يغادر أناس ويائس آخر من للعبور إلى بلاد المسلمين والتخلّى عن عقبتنا المقدسة وهم يحملون البنادق والأسلحة الأخرى للدفاع عن أنفسهم ولهاجمة أي شخص يحاول منعهم من العبور ، وقد جرحو أشخاصاً بالفعل. ونحن على علم بأن لديهم بنادق كثيرة وأسلحة مخبأة ، ونحن على علم كذلك بحرصهم على التربّ على الرقابة واستعمال السلاح ، وهذا دليل على نيتهم السيئة. ولدينا أسباب أخرى لا نذكرها تجنياً للإسهاب . هذه الأسباب يبيو منها أن محكمة التفتيش لن تتمكن من ممارسة عملها إذا لم تنزع هذه الأسلحة.

لكن حتى لوراعينا سياسة الذين معهم ، ولم تنفذ القانون بشكل صارم في موضوع نزع الأسلحة ، فمن الواضح أن الطريقة التي يمكنكم بها إبادتهم هي اتباع الإجراءات التالية:

نأمركم بأنه من الآن فصاعداً ألا يستطيع أي متصرر حديثاً - كبيراً أو صغيراً ، رجالاً كان أو امرأة - من يعيشون في هذه المملكة أو يمرون بها ، حمل الأسلحة

النارية أو البارود خفية أو علانية اعتباراً من تاريخ نشر هذا القرار ، ويُعاقب كل من يخالف هذا القرار أو بنداً منه أو من يثبت أن لديه سلاحاً في حوزته ، أو في حوزة آخرين ، بأن يجلد مائتى جلدة ويمصاربة الأسلحة وبيعها ، واستخدام ثمنها في الإنفاق على أعمال الخير في القرية التي ضبط فيها السلاح . وإذا ضبط سلاح مع شخص للمرة الثانية فإنه يُعاقب بالحبس لمدة أربع سنوات ، وبالجلد مائتى جلدة ، وفي المرة الثالثة تضاعف العقوبة.

كما تأمر بنته من الآن فصاعداً لا يمكن للموريسيكي أو لأبنائه أن يبيع سلاحاً أو أن يلمسه وإلا عُقب بدفع غرامة قدرها خمسمائة توجة أو بالجلد مائة جلدة كيما يتراهى لنا . وحتى يتم تنفيذ هذا الأمر الذي أصدرناه فإننا نأمر سادة الموريسيكين ومعاونיהם بأنهم إذا رأوا أو علموا أن أحداً من الموريسيكين أو أبنائهم خالفوا مضمون هذا الأمر ، أو إذا علموا مكان إخفاء الأسلحة ، أو الشخص الذي يخفيها عنده : فليعتقلوا المخالف وليرسلوه مقيداً إلى محكمة التفتيش لمعاقبته . عليهم فعل ذلك وإلا عُقبوا بإعلان خروجهم عن تعاليم الكنيسة ، ويدفع غرامة قدرها مائتا توجة .

ولكى يتم تنفيذ هذا الأمر على الوجه الأكمل نأمر كل الأشخاص على اختلاف درجاتهم بالإبلاغ عن أي موريسيكي يخالف مضمون الأمر من الآن فصاعداً . عليهم إبلاغ محكمة التفتيش ، وإذا كان المخالف خارج هذه المدينة : فيتم إبلاغ ممثلينا . ولتشجيع الناس على ذلك فإننا نمنحهم ثلاثة قيمة السلاح المضبوط لدى الموريسيكي . على جميع الناس الالتزام بذلك وإلا عُقبوا بإعلان خروجهم على تعاليم الكنيسة . وعلى الحجاب اعتقال المخالفين وإيداعهم السجون ، وإبلاغنا لاتخاذ ما يلزم من إجراءات .

وحتى لا يخسر المتصرون حديثاً قيمة الأسلحة : فإننا نعطي مهلة قدرها ثلاثة أيام يمكن خلالها إحضار الأسلحة ملفوقة ككتاع معد للبيع . وتبدأ المهلة اعتباراً من تاريخ نشر هذا القرار .

قصر الجعفرية الملكي في ٥ نوفمبر ١٩٥٩ .

أوضاع ومعاملات وأزياء ومأكولات المورисكيين ووظائفهم وأمراضهم المعدية طبقاً لما يرويه مؤلف أراغونى في القرن السابع عشر

وضع الأب أثناres كاربونا كتاباً بعنوان "الطرد العادل للموريسكيين إسبانيا" وجملة الفضائل المسيحية التي كنا فيها ، الثالث بهذا الأسم ، ونشره في أواسط عام ١٦١٢ بهدف إقناع معارضي طرد الموريسكيين بصواب وحكمة هذا الإجراء. ويتضمن الكتاب أكثر الفقرات وحشية مما كتب ضد الموريسكيين . إن ملاحظات المؤلف - وهي صبيةانية غالباً - ذات مغزى ، إذ ترسم لنا عقلية "مسيحي قديم" . والحجج التي يسوقها بالغة الأهمية من وجهة النظر الاجتماعية . إنها تعيب على الموريسكيين تقشفهم في المأكل والمشرب ، ويخذ عليهم نوع المأكولات ، والوظائف التي يمارسونها ، ويدعى احتقاره لآلاتهم ولطريقتهم في رى المحاصيل : كما يُبدى احتقاره لأعيادهم واحتفالاتهم ولأمور أخرى تافهة مثل : السير جماعة في الطرق.

الكتاب يستند إلى أدلة دينية ، وبالإضافة إلى ذلك يُبدى كراهية لنمط من أنماط الحياة [عادات خاصة بالأطعمة ، والملابس ، وشكل من أشكال العمل والتسلی وشغف وقت الفراغ] يختلف عن نمط الحياة الذي يسير عليه مجتمع المسيحيين القدامى .
والمؤلف لا يكتفى برفض الخط الموريسكي : بل يعتبره خطراً.^(١)

(١) هناك مئاتون كثيرون درسوا كتاب أثناres ونقلوا عنه . انظر على سبيل المثال خوليو كارو باروخا "Los moriscos aragoneses segun un autor del siglo XVII" en Razas, pueblos y linajes

أوضاع ومعاملات وأزياء وماكولات الموريسيكيين ووظائفهم وأمراضهم المعدية

(الصفحات ٢٢ - ٦٣)

كنا قد تحدثنا عن طبعتهم ، وبقى أن نتحدث الآن عن أوضاعهم ومعاملاتهم . كان الموريسيكيون من أحط الناس وضعًا ، كانوا مهملين ، وأعداء للآداب والعلوم الراقية التي تصاحب الفضيلة ، ومن ثم بعيدين عن أشكال التعامل المدنى واللباقة والنوق . كانوا يربون أولادهم كالحيوانات دون تعليم عقلاني ، ودون قوعية صحية ، إلا تلك التي تحتمها الضرورة القصوى التي كان رؤساؤهم يشترطونها عليهم بعد أن تعميدهم.

كانوا حمقى عند عرض حجتهم ، وكانوا كالحيوانات ، وكانوا همجين في لغتهم ، وكانت أزيائهم مزرية ؛ فكانوا في معظم الوقت يرتدون سراويل من نسيج خفيف ، أو يرتدون لياساً آخر شبيهاً بزى من يعملون في البحر ، وكانت ملابسهم رخيصة ، وكانوا يتعمدون أن تكون غير متناسبة ، وكانت أزياء نسائهم على نفس الوضع ، فكن على نفس الوضع .

كانوا همجين في مأكلهم ؛ فكانوا يأكلون دائمًا على الأرض دون استعمال موائد ولا شيء آخر يدل على أنهم أدمنيون ، وكانوا ينامون على نفس الهيئة ، على الأرض ، على شيء يسمونه "المضربة" في أركان مطابخهم أو في أماكن قريبة منها لكي يكونوا مستعدين لحمقاتهم ، والقيام للسحر.

كانوا يأكلون أصنافاً دنيئة (لقد حقت عليهم العقوبة في الحياة الدنيا بحكم من السماء) : مثل عجائن من دقيق أنواع البقول والعدس والفالو والجرس وخبيز من نفس الدقيق . كانوا - إذا استطاعوا - يأكلون مع هذا الخبز زبيبًا وعسلًا ومربي ولينا وفاكة كالشمام - حتى لو كان لم ينضج بعد ، ولا يزيد حجمه على قبضة اليد - وفلفلا ، وثمارا أخرى حتى لو كانت لم تنضج بعد . وبعد الأكل كانوا يتشوكون إلى الطعام ، وكانوا لا يتركون نبتا على قيد الحياة . ولما كانوا على مدار العام يحفظون أصنافاً شتى بين خضراً وجافة (يحتفظون بها حتى تفسد) ويأكلون خبزاً ويشربون ماء قراحـا (لأنهم لا يشربون الخمر) ، ولا يشترون لحم الفريسة التي اصطادها كلب أو قُتلت برمع أو بندقية ، ولا يأكلون نباتـهم هـمـ الـتـىـ ذـبـحـوـهـاـ طـبـقاـ

لشريعة محمد ، فكانوا لا ينفقون إلا القليل ، سواء في المأكل أو في الملبس، رغم أنهم كان يتعين عليهم دفع الكثير من الضرائب إلى سلطتهم.

كانت لحوم الحيوانات المذبوحة على طريقة تختلف شريعتهم تسمى "محرمة". وإذا سلطتهم لماذا لا يشربون الخمر ، ولا يأكلون لحم الخنزير ؟ كانوا يُحببون ليس لكل الأكلات مذاق واحد ، وليس كل البطن تحمل نفس الأكلات . وهكذا كانوا يخفون تطبيقهم لشريعتهم ؛ وهذا هو سبب امتناعهم عن الأكلات والمشروبات المذكورة ، وهذا ما ذكرته لوريسيكي فقيه من إسبانيا يُدعى خوان دي خوانا ، كان يعترض على طرده من إسبانيا دون سبب ، وطلب منه ألا يطردوهم من إسبانيا لأنهم سيأكلون لحم الخنزير ، وسيشربون الخمر، وقد أجبته قائلاً : إن عدم شرب الخمر ، وعدم أكل لحم الخنزير ليسا هما سبب الطرد من إسبانيا : بل إن سبب الطرد هو الامتناع عنهما امتثالاً ل تعاليم شريعتكم الصالحة. إن هذا إلحاد يعرضكم للعقوبة. وأنت كلب حقير، فلو أنك امتنعت عنهما لمجرد التقشف لكان ذلك أمراً مموداً - كما هو الحال عند بعض القديسين - لكنك تمنع تنفيذاً لأوامر محمد كما نعلم ؛ بل إننا نراكم تعاقبون أولادكم الصغار إذا علمتهم أنهم أكلوا لحم الخنزير في بيت مسيحي قديم. إنني أتساءل : هل عندما يأكل ابنكم الصغير لحم الخنزير يؤدي ذلك إلى مغضض في معداتكم ؟ لا، لكنكم تُبدون امتناعكم علانية إذا أكل طفل من أطفالكم عمره بين الرابعة والخامسة لحم الخنزير. صدقني إنكم لا تستطيعون إخفاء ذلك».

كان المؤرسكيون يحبون السخرية والحكايات والرقص والغناء والتجول في الحدائق وكل أنواع التسلية الهمجية حيث الصخب والضجيج ، وكان الشباب منهم يسieren عبر الشوارع. كانوا يتفاخرون بإجادتهم للرقص ولعب الكرة ، وقذف الكرة والغناء والجري خلف الثيران وأشياء أخرى مشابهة. كانوا مولعين بالمهن التي لا تتطلب جهداً ، فكان منهم النساج والخياط ، والإسكافى ، والبيطري ، والبستانى ، والدباغ ، وتاجر الزيوت ، وبائع السمك ، والعسل ، والزبيب ، والسكر ، والقماش ، والبيض ، ومن يبيع ملابس من الصوف للأطفال. وكانوا يحبون تلك المهن التي تستدعي تواجدهم في المنازل ، وكانوا يفتعلون الأسباب لكي يتجلوا بين القرى ، وهكذا يتسمعون أخبار السلم وال الحرب؛ ولهذا فقد كانوا بصفة عامة كسالى ومتسلعين ، يحبون الجلوس في الشمس شتاءً ، والجلوس في الليل صيفاً ، إذا استثنينا الساعات القليلة التي كانوا

ينفقونها في القيام بأعمالهم أو في رعاية بساتينهم طمعاً في جنى الشمار، لكن القليلين - بل القليلين جداً - منهم كانوا يحبون الصناعات المعدنية وصناعة الحديد والآلات والحجر؛ لكنهم فيما بينهم كان منهم بعض الحداجين، وكان ذلك من أجل تجنب الاضطرار إلى التعامل مع المسيحيين، فقد كانوا يكرهونهم.

أما عن صناعة السلاح فلم يكونوا مهرة، لأن الأسلحة كانت محترمة عليهم، وقلة الاستعمال تفقد المهارة كما يقول أوفيد، ولأنهم كانوا جبناء ومخثثين من حيث النشأة. ولهذا كان هؤلاء الجبناء يتجلبون السير فرادى في الطرق وفي أطراف القرى التي كانوا يعيشون فيها، فكانوا يسيرون جماعات.

كانوا يزيلون مشاجراتهم اشتغالاً بالصرارخ، حتى لو كانت تلك المشاجرات وقتية، وذلك امتناعاً لأوامر محمد، وكانوا يحبون النساء لدرجة أن كل أحاديثهم ومؤامراتهم ومشاكلهم تدور حولهن، وكانوا في هذا الشأن غير أوفقاء فيما بينهم، ولا يحترمون أقاربهم، وكانوا يخالفون القوانين الطبيعية والإلهية في هذا الأمر، ولم تكن تفید معهم الوسائل، كما أوضحنا ذلك في الفصل الخاص بتعدد الزوجات. من كل ذلك نشأت المساوى، ونشأت الإصرار على ارتكاب المعاصي بين المسيحيين القدماء، ومن هنا نشأت المشاكل بالنسبة للنساء المسيحيات، فقد رأين أزواجهن وأخواتهن على صلة بالموريسكيات المنحرفات اللاتي يربين أن علاقتهن بالرجال مباحة.

في كتاب أشنار ترد بعض الحجج الأكثر شيوعاً حول خطورة الموريسكيين، السبب الأول هو ارتفاع نسبة الخصوبة عندهم، وهو سلاح يهدد مجتمع المسيحيين القدماء الذي يحد من تزايد رهبانية الرجال، وزهاب الرجال الآخرين للقيام بحملات عسكرية.

كانوا يزوجون أبنائهم وهم صغار السن؛ فكانوا يعتقدون أن السن المناسب للزواج هي عشرة أعوام للبنت، وأثنا عشر للولد، وكانوا لا يرهقون أنفسهم في مسألة المهر (إلا الأغنياء منهم)، إذ كان يكفيهم سرير وعشرة جنيهات. كان غرضهم التكاثر وزيادة العدد كالحشاش الضارة، وكانت قراهم وأحياؤهم لا تتسع لهم، كانوا قبل ذلك يقطنون في البيوت التي تزيد عن حاجة أصحابها، ثم كانوا ينتشرون ويريدون تنفيذ ما جاء في أغنية لهم يطلبون فيها من محمد أن يزيد من نسلهم.

يزداد المسلمون والمسلمات

كتبات الأسل

وشجر الصفصاف

كانوا يتكلّثرون بشكل يزيد عن الحد المعقول، فلم يكن أحد منهم يعزف عن الزواج ، ولم يكن أحد من رجالهم أو نسائهم يجتهد إلى الرهبانية، ولم يكن هناك ما يحول بينهم وبين التنااسل ؛ وهذا دليل على رفضهم لحياة العفاف والشرف. كانوا جميعاً يتزوجون ؛ الفقراء منهم والأغنياء ، الأصحاء والمرضى ، وكانوا لا يتعلّمون من المسيحيين القدامى الذين كان الرجل منهم ينجب خمسة أو ستة أبناء فإذا زوج الابن الأكبر أو البنت الكبرى كان يحاول أن يتجه بقية الأبناء إلى التفرغ للكنيسة والرهبانية أو للجنديّة. والأسوأ من كل ذلك هو أن بعض المسيحيين القدامى - ومن يتبااهون بأنّهم من طبقة النبلاء - كانوا يتزوجون من موريسيكيات ويدنسنون شرف عائلاتهم ، وكان الواحد منهم يدعوا الله ألا يصل الدنس إلى روحه.

"هناك أيضاً شكوك في استعداد الموريسيكيين للثورة المسلحة وهو شيء نجده في هذه الصفحات التي تروي فيها حكايات كثيرة مثل هذه"

لقد تعرّفت في إبيلا على موريسيكية عجوز أرملة اسمها العمّة بلانكا أو كاستيانا. ذات يوم ذهب إلى بيتها واحد منّي من يجمعون المال للجيش. ولما كانت عجوزاً فلم تعد تتذكّر سبب جمع المال ؛ لكن الرجل قال لها إن هذا المال من أجل القيام بعمل ضدّ المسيحيين (وكان هذا ادعاء من جانبه) فأنجابت لهذا أدفع رغم أنّي لا أملك إلا ريالين احتفظ بهما لشراء زوج من الأذنّية ينقضني ؛ لكنني أتحمل حاجتي من أجل عمل طيب كهذا". سمع الحوار مسيحيون قدامى - لم يفطن الموريسيكيون إلى وجودهم - وأذاعوا ما حدث في القرية كلّها ، ولم تجرؤ المرأة العجوز على التفوي ، ولا على الاعتراف ؛ بل كانت تخفي ما من الناس وهي متربّدة حتى لا يواجهها الناس بما قالت (الصفحات ٤٢ ، ٤٣)

"ننقل هنا بعض من الفقرات التي يصف أثمار فيها خروج موريسيكيين أراوغون إلى منفاهم :

خرج الموريسيون التعباء في الأيام التي حددتها المفوضون الملكيون ، واحتلوا
المشاة منهم بالركبان ، ساروا مفعمين بالألم ، تتراقص دموعهم ، يتصابحون وهم
يحملون أبناءهم وزوجاتهم ومرضاهن وشيوخهم وأطفالهم ؛ يعلوهم التراب جمِيعاً ،
تتساقط منهم حبات العرق . كان بعضهم يركب عربة يتزاحم فيها الأشخاص ومعهم
أمتعتهم وأنواعهم ، وكان البعض الآخر يمتهن الباب ويرحملون فوقها السلال ،
والملابس ، والمارش والأمتعة الأخرى . وكان البعض الآخر يغضي ماشيأ على قدميه ،
ملابس ممزقة ، ويوضع في قدمه فردة حذاء واحدة وكانوا كلهم يلقون
التحية إلى من ينظر إليهم قائلاً " حفظكم الله " . كانت العربات والباب مؤجرة ؛ لأنَّه
لم يُسمح لهم إلا بحمل أمتعتهم الشخصية كالملابس والتقويد التي باعوا بها أناثهم ؛
ويبين من كانوا يرحلون كانت هناك نسوة (من الأغنياء) يضعن حلبيهن القضية الملونة
على صدورهن يخفين بها ما يعتصر قلوبهن من ألم . أما الباقى - وهم الأغلبية -
فكانوا يمضون سيراً على الأقدام مرهقين ، تائهين ، مفعمين بالحزن ، عطشى وجوعى
لدرجة أن خبز القرى لم يكن يُشبع جوعهم ، ولا ماء العيون كان يرى ظلماً لهم مع أن
الخبز الذي اشتوروه بنقودهم كان وفيراً .

رسالة السيد مانويل بونشى دى ليون إلى صاحب الجلالة

مدريد في ٢٨ أغسطس عام ١٩٠٩^(١)

(يعرض في الرسالة الأضرار التي ستترتب على طرد الموريسيكين أملأ في تجنبيها ، ويقترح حلولاً أخرى ، على غرار تلك الوسائل التي يستعملها الآتراك مع رعاياهم المسيحيين)

سيدي :

علمت أنَّ نظراً لوجود اتصالات سرية لموريسيكي فالنسيا وأرغون مع الثوار وأمراء المسلمين ، فقد اقترح بعض الغيورين على الدين على جلالكم عدة اقتراحات لمعالجة الوضع.

واعتقد أننى ليس لدى إلا القليل الذى يمكن أن أضيفه نظراً لقلة معلوماتى ، ونظراً لأن المجالس الملكية قد أعلمتك بما هو ضرورى ، لكن رغبتي فى خدمة جلالكم تلزمنى بابلاغكم بما يدور فى ذهنى حول الموضوع ، وهذا لن يكون عديم الفائدة بالكامل ، نظراً لأننى أستند فيما أقول إلى رغبتك فى خدمتك ، وإلى خبرتى فى شئون الحرب والسياسة على مدى سنوات طويلة.

أظن - قبل كل شيء - أنه حتى لو كانت هذه الشكوك لها ما يبررها فإن الأمر يتطلب إما عقوبة شديدة أو علاجاًلينا . إذا كان الأمر يتطلب توقيع عقوبة بمن أجرى هذه الاتصالات ؛ فلتكن الوسيلة مريحة ومناسبة لجلالتكم ، فلا يجب أن نعتقد - رغم ميل هؤلاء الناس إلى الإجرام - أن كل الموريسيكين شاركوا في هذه الاتصالات. وحتى لو شارك الجميع في هذه الاتصالات فيجب عدم الإسراع في تطبيق العقوبة

Apud Janer: Condicion social....pp. 285-291 (١)

طالما أنهم لم يعترفوا بذلك صراحة، ومن المعتاد في مثل أحداث التمرد هذه أن تكون قلة من الأشخاص هي التي تحركها، وأن تكون الفالبية هي التي تسير ورائهم، وأن يكون الدافع وراء ذلك هو الفضول أو العنف أو الخوف أو الطاعة. بهذا الشكل لا يكون من المناسب اتباع الشدة مع الكافة - رغم أن الشكوك تشملهم جميعاً - طالما أن الشر لم يقع بعد، وليس من المناسب كذلك اتباع العفو مع أشد الناس تورطاً. فإذا كانا نريد معالجة الوضع فلتكن المعالجة سريعة وناجحة، تأخذ بعين الاعتبار الوضع الحالى، كما تخطط للمستقبل، وتراعى توقير الدين المسيحى وأمن المالك والصالح العام، فلا تكون المعالجة مبالغ فيها ولا عنيفة ولا عقيمة.

على هذا الأساس اقترح على جلالتكم ما أراه مناسباً، فالخطر الذى يشكه تزايد الموريسيكين فى هذه المالك خطر واضح بحكم موقعهم، فالملكة الأولى (مملكة فالنسيا) قريبة جداً من بلاد البرير التى ترجع إليها أصول هؤلاء الناس ، وهم يقيمون فى قرى قريبة من البحر ، ومستعدون لاستقبال جيوش العدو، خاصة وهم لا يزالون يتحدثون اللغة الهمجية ، ويمارسون نفس العادات والشعائر. الملكة الأخرى (أراغون) قريبة من فرنسا ، ومن غير الضرورى أن أتحدث عن هذا الخطر الأكبر ، وكم يجب الاحتياط منه. وهنا أصل إلى ما أريد الحديث عنه.

إننى أقسم إجراءات الحل إلى قسمين: أحدهما له نهاية ويختص بالحاضر ، والثانى يتعلق بالمستقبل ، مع أنه من المؤكد أن كلا القسمين لا يعالجان الوضع ، فهما يحتاجان إلى وقت بينما الحل لا يحتاج إلى تأخير.

أعود إلى طريقة العلاج فاقول إننى أرى أن تتبعوا جلالتكم عن طريق الشدة الذى اقترحه أولئك الذين لا يحترمون مبدأ الرحمة المسيحى ، ولا يحترمون الأخلاق الحميدة والسياسة الرشيدة ، وهو ما يثير حفيظة الرعايا ، ويبؤى إلى استياء الأقاليم المجاورة. إن الرعايا الذين لم يشاركونا فى هذه الجرائم سيرون أن الإجراءات الصارمة ظلم واضح. وسأضرب مثلاً: إن إخراج هؤلاء الموريسيكين من إسبانيا ، وطردهم إلى إفريقيا - كما يرى البعض - أمر لا يتصور ، ثم إن إبعادهم إلى أقصى كاستيا وغاليسيا ليس بالأمر المناسب ، بالإضافة إلى أنه صعب التنفيذ. إن رفع سن الزواج يمثل علاجاً طویل الأمد ، وبطيئاً ، ثم إنه إجراء ضد انتشار الإنسان. إن بتر بعض الأعضاء السليمة علاج بعيد عن روح الكاثوليكية ، وغير إنساني وهمجي. إن تحديد إقامتهم

داخل حدود ضيق يغريهم بارتكاب مزيد من المعااصي ، أما منهم من التجارة فهو أمر صعب. وفي النهاية فإن جلالتكم وسادة الرعایا ستخسرون مبلغاً كبيراً من المال في حالة تطبيق أي وسيلة من الوسائل المذكورة. كيف نسمع بالرحيل إلى إفريقيا لعدد كبير دخل في تعداد الكنيسة وتقبل التعميد ؟ ما هو المقابل الذي يمكن أن يعوض الأضرار التي تلحق بالسادة، من الذي سيملأ الفراغ ؟ ماذا ستكون سمعتنا في الخارج إذا لم نجد علاجاً أفضل ؟ ثم (بالنظر إلى مصلحة الدولة) كيف يمكن التخلّى عن مواطنين بهذا العدد من العاملين ونرسلهم فسيستفيد منهم الأعداء ؟ ما هو السبب الذي سنعمله للكنيسة إذا طرينا (لا عدداً هائلاً بل مجرد شخص واحد) إلى مكان سيفقد فيه الإيمان ؟ ما الذي سيُقدم عليه ملوك المسلمين إذا تعصّبت جيوشهم بعدد هائل من الجنود الذين ولدوا في إسبانيا ، وقد اخْتَنَتْهم إسبانيا كأعداء ، وقد خسروا أموالهم ودينهما ؟ هل هناك عذر أكبر لدى هؤلاء الرعایا يدفعهم إلى طلب المساعدة الخارجية ؟ متى سيكون لدى منافسٍ جلالتكم فرصة كبيرة كهذه لإثارة البلبلة في المالك وتعجيزكم عن نجيتها ، خاصة في هذا الوقت الذي سيعين فيه على الخزانة مواجهة نفقات كبيرة ؟ أرى نفس الشيء بالنسبة لغير عضو غير تقى، فهو إجراء لم يتّخذ مطلقاً حتى في البلاد غير المتحضرة..... إن هدف الموريسيكين ليس الرحيل إلى بلاد البرير : بل التخلص من الذل بمساعدة إخوانهم في الدين ، وإدخالهم الأعداء إلى إسبانيا ، وإثارة القلاقل ، والتضامن مع موريسيكي قشتالة ، وإحياء شعائر دينهم. أصل الآن إلى العلاج الذي أراه سريعاً وأكيداً.

هذا العلاج هو أن تأمرنا جلالتكم بالنظر إلى الحصون الموجودة في كارتاخينا ومملكة فالنسيا ، وأن تشيّعوا ثلاثة حصون منها في موقع مطلة على البحر المتوسط، ويكون الهدف من هذه الحصون هو الحد من حركة الموريسيكين ، بحيث لا يستطيعون الآن أو فيما بعد إثارة القلاقل ، وبحيث لا يستطيع أحد مساعدتهم لأن هذه الحصون - التي سيكون بها عدد كافٍ من الرجال - ستؤمن جميع أنحاء المملكة وهي صغيرة ، وسيؤمنون الحصون الملكة عندما تتسع رقعتها ، لأن الهدف من تشييد هذه الحصون هو منع الغزو الخارجي ، والحد من حركة الرعایا الداخليين كما هو الحال بالنسبة لـ الحصون ميلان وأميريس وجانتي وسان تلمو ، وسان جيان وغيرها : فهي تقضي على التمرد في مده ، وتجعل السادة أكثر احتراماً ، وتحمي الصديق ، وتشكل مستودعاً للأسلحة ، وموقعًا لفرق الحراسة لكي تحمى جيوش من شبيوها.

أظن أن هذا العلاج هو أفضل علاج ممكن للمشكلة ، فهو ليس بالصعب ، إذ لن تشيد الحصون على نفقه جلالتكم ، بل على نفقه الموريسيكين ، وسيكون تشيد الحصون فائدة عظيمة بالنسبة لهذا الموضوع ، وستجدون جلالتكم أمنةً لذلك في إسبانيا وخارجها مثل (ألبانيا وقبرص ، واليونان) حيث لا يكفي المسيحيون في هذه البلاد من رعايا السلطان التركي بدفع الضرائب العادلة بل يدفعون كذلك أجر المحاربين ؛ لأن هذا الطاغية - لأسباب خاصة بقيادة شئون الحكم - يريد أن يظل المسيحيون هكذا فقراء وضعفاء ومغضطهدين حتى لا تتوق أنفسهم إلى الثورات.

وإذا تركنا نماذج الطفافة جانبًا ؛ فمن المعلوم أنه في البلاد الحرة تفرض هذه الرسوم لحماية البلاد ، وهو ما يحدث في ألمانيا وإيطاليا ، ولن يشعر رعايا بلادنا بامتعاض ، فنظرًا لجرائمهم التي ارتكبواها سينظرون إلى الضرائب المفروضة على أنها أمر هين. تستطيعون جلالتكم استعمال هذا العقاب العادل مع رعاياكم الذين تشكون في صدق إيمانهم ولأنهم ، والذين أشعلوا ثورات في مدن معينة كما حدث في غانتى أيام حكم الإمبراطور ، وفي ميثيرنا عندما كان يحكم صقلية السيد غارثيا دي تولينو.

يمكن لجلالتكم الاستفادة من كل ذلك ، وسيستفيد منها أيضًا سادة الرعايا ، لأن هذه الحصون ستؤمن لهم ثوابن تكاليف ودون مشقة ودون أن يخسروا رعاياهم ؛ بل إن السادة سيحصلون على مزايا من هذا الاقتراح . ويمكن لجلالتكم في وقت الأضطرابات أن تلزموا سادة الرعايا بإخراج الفتن وتتأمين المدن على نفقتهم أو حرمانهم من رعاياهم إذا لم يعطلوا على تأكيد ولاء الرعايا لملوكهم الطبيعيين .

ومواطنو هذه الملك لن يغضبهم تشيد الحصون ؛ لأن سبب تشبيدها واضح، وواضح أيضًا أنه من الواجب حمايتهم. إنني لا أقتنع بضرورة الانتظار إلى حين انعقاد المجلس ، نظرًا لأن البده في التشيد لا يتطلب وقتًا طويلاً ؛ خاصة وقد شاع خبر (لا أدرى ما إذا كان صحيحًا) أن هناك شيئاً يُعد بخصوص الموريسيكين .

أعود إلى موضوع الحصون وإلى مكان تشبيدها وما شكلها وحجمها وتتكاليفها فاقول إن كل ذلك من اختصاص مجلس الحرب الذي تعقدونه جلالتكم رغم أنني أرى أنه يكفي لحماية الحصون ١٥٠٠ من المشاة ومن فيهم الرماة والضباط ؛ أي أن التكلفة الإجمالية لن تزيد على ٩٠ تسعين ألف نوقية في العام ؛ وهو مبلغ بسيط إذا وُزِّع على رعايا كثريين ، إذ سيدفع كل بيت دوقيتين في العام.

أرى أيضاً أن تكاليف الدفاع والعتاد.....الخ يجب أن تكون على نفقة الموريسيكين ، وأن يعلن المجلس الاجراءات التي تنظم ذلك ، وأن تبلغ هذه الإجراءات إلى القائد العام للمدفعية في إسبانيا.

أوجز فاقول إن هذه الوسيلة هي أنساب الوسائل المتاحة للقضاء على كل مشاكل الموريسيكين الداخلية والخارجية ، إذ يمكن البدء في تنفيذها بتقدير التكاليف. وإذا اتضاع أن أحد الموريسيكين يستحق العقوبة فيمكن لجلالتكم مصادرة أمواله وتوجيهها لتشييد الحصون، وعندما لا تجدون مصادر التمويل من هذه الناحية فبإمكانكم توزيع التكاليف على الموريسيكين وفقاً لمستوى ثرواتهم ، بحيث لا يُعفى الأغنياء من المساعدة ولا يزيد الضغط على الفقراء. وبعد توزيع التكاليف على الموريسيكين يجب أن تبدأ عملية تصنيع المواد اللازمة واستدعاء المواطنين القريبين للعمل ، على أن تدفع لهم الأجر المعتاد ، ثم يُعين للحصون العدد الذي اقترحته ، أو العدد الذي يراه المجلس ضرورياً ، على أن تحدد للجنود الرواتب الدائمة ، فإذا بلغت جملتها الرقم الذي ذكرته آنفًا فلن يكون من العسير توفير المبلغ.

علمت أن موريسيكي أراغون أقل عدداً ، وبما أن هذه المملكة بها حصن فالشكوك حولهم أقل ، خاصة القيمين منهم في خاكا ، وإذا افترضنا أن الحصون البحرية في كاراتاخينا وفالنسيا سترتبط بالحصون التي سيتم تشييدها ، وهذه الحصون الأخيرة سترتبط بمحصون أراغون ، فاعتقد أن كل المحصون ستكون آمنة.

وبيما أنتا بتحتاج إلى شركات وسيائي أفراد من إيطاليا ، فمن المناسب أن تأمروا جلالتكم بتسكين القوات القادمة في مملكة فالنسيا لتأمين الملكة ، وإعطاء دفعه لتشييد الحصون. وإذا تعين على السفن الإسبانية أن تظل راسية في الشتاء فليكن رسوها في كاراتاخينا فحيث أنه قد شاعت أخبار عن محاكمة المتورطين في القلقل فيجب عدم التأخير في تأمين الأماكن.

إن ما ذكرته يكفي لإثبات أن تنفيذ الفكرة سيكون من شأنه تأمين الوضع الحالى ، بل والمستقبلى ، لكننى حتى لا يفوتنى شيء ساقترن بعض النقاط التي فكر فيها آخرون ربما أكثر حصافة منى :

- أولاً : يجب ألا يسمع للموريسيكين بممارسة أية أعمال إلا الزراعة .

- ألا يسمح لهم بالانتقال من مكان إلى آخر.

- يجب ألا يُمنع من الزواج من يريد الزواج منهم عند بلوغ السن المناسبة، لكن يجب أن تُفرض عليهم ضريبة باهظة بحيث تكون ، إما صعبة التنفيذ بالنسبة لهم ، وإنما - إذا دفعت - تكون مفيدة لجلالكم ، ويجب ألا يبيتو هذا الأمر مستغرباً ، ففي فلورنسا وسيناربيسا ومودينا وريجيو - على ما أعتقد- قد تعوّلوا على ذلك.
- يجب أن نطلب من قداسة البابا ألا يسمح لهم بزواج الأقارب .
- يجب ألا يقوم سادة الرعایا بالتدخل عند ارتكاب الموريسيكين لجرائم بدفع نقود عنهم ، ويجب أن تُنفذ العقوبات المفروضة عليهم (كالجلد والنفخ) إذا كان الأمر يتطلب ذلك . وإذا كانت العقوبات غير معنول بها في المالك فليطلب من مجالس المالك الأخذ بها.
- يجب أن يحظر عليهم استعمال اللغة العربية حتى فيما بينهم في منازلهم ، على أن يُمنحوا مدة عامين لكي يتعلموا لغة إسبانيا ، ويجب أن يُفرض عليهم مدرسوون من المسيحيين القدامى لتعليمهم القراءة والكتابة والعقيدة المسيحية ، وبعد مرور عامين يُعاقب من لا يتحدث الإسبانية عقاب المجرمين.
- أن يأمر الأساقفة مروفوسיהם بإجبار الموريسيكين على أداء واجباتهم الدينية كمسيحيين وتعليمهم العقيدة المسيحية.
- أن يُعاقب بالسجن كل موريسيكي يوجد بحوزته أو في بيته أسلحة هجومية أو دفاعية.
- أن يرسل عدد من الموريسيكين للعمل في تجديف السفن الحربية ، كما هو الجارى في مملكة فالنسيا.
- يجب إجبارهم على العمل في مناجم المادين والممبريس بأجور مناسبة عند الضرورة ، ويجب توزيع العمل على الأشخاص بالترتيب حتى لا يظلم أحد منهم .
- نظراً لعدم توقيع الجزاء على مثيري الإضطرابات منهم كرأفة من جلالكم ، وعقاباً على اتصالهم بسفن القرصنة والكافر والأعداء ، أقترح أن يدفع الموريسيكين ضريبة تكفى لشراء عشر سفن لمراقبة سواحل المالك.

- بالنسبة لكل الأمور الأخرى أرى أن تستمروا جلالتكم والساسة في تطبيق سياسة الرأفة واللين المتّبعة مع الموريسيكين ، والالتزام بالاتفاقيات الموقعة معهم ومع أسلافهم عندما دخلوا في ديننا واختاروا البقاء في هذه المالك، وأرى أن تأمروا جلالتكم سادة الرعایا باتباع اللین مع الموريسيكين حتى لا تكون لديهم ذريعة للتمرد، على ألا يسمح لهم بممارسة أعمال إلا أعمال الحق. لقد أطلت وأسهبت ؛ ولهذا فإنني أنهى حديثي بأن أطلب من جلالتكم بقبول رغبتي في خدمتكم. حفظكم الله لنا أعواماً طويلة لأننا - رعاياكم - في حاجة إليكم .

مدرید فی ٢٨ أغسطس ١٦٠٩

خادمکم السيد مانویل یونشی دی لیون

على المظروف:

إلى مولانا الملك . مرسل مع نوق ليروما عضو مجلس الدولة وكبير الياوران .

مذكرة حول طرد الموريسكيين والوسائل اللازمة معالجة الوضع في المملكة

أرسلها إلى البلاط الملكي الأب سوبرينو في سبتمبر ١٦٠٩^(١)

باسم الرب

سيدي :

أمس أطلعنى السيد كونت كاستيار على مذكرة يرسلها إلى جلالتكم ؛ وفحواها أن طرد الموريسكيين سيكون سبباً في خراب المملكة ، وقد أنس رأيه على أن الحياة في المالك تقوم على الخدمات التي يؤديها الموريسكيون ، فإذا طرروا فستتوقف إيرادات السادة والقساوسة والتجار ، ولن تكون هناك تبرعات للفقراء والمستشفيات والكنائس ، وستتوقف الحرف الميكانيكية ، وبيناء على هذا فإن الحياة في جميع أنحاء المملكة ستتوقف. تفترض المذكرة أن جلالتكم لم تكونوا على علم بكل ذلك حين اتخاذكم قراركم ، وتخلص المذكرة إلى القول بأنه ليس من المناسب تنفيذ قرار طرد الموريسكيين تجنباً لكل هذه الأضرار.

وعلى العكس فإنه يقول إن القرار الذي اتخذه صاحب الجلة قرار حتمي ، ورغم أن القرار يستند إلى مصلحة الدولة العليا ، فإننى أرى (كما كتبت بالأمس إلى سياحكم) أنه قرار السماء التي يرتفع إليها دعاء من المملكة يطلب الانتقام ، والعناية الإلهية بدلأ من أن تمطر غضباً تمطر رحمة ، وتكلفى بأن نتوب عن ذنبينا ، وتخلص من أذى قبيح سمح به صبرها : الذى تسامح إزاء شرور الموريسكيين ؛ الذين كانوا يتمتعون بحماية سادتهم والذين يبنوا لهم أن السادة لن يستطيعوا العيش بدونهم ،

Boronat, Los moriscos españoles.....,t. I,pp.184-86. (١)

وأن الملك والبابا لن يستطيعوا المساس بهم. ويبعدو أنهم يستثنون إلى شيء ما ، فإذا تحدثنا عن إخلاص النبلاء المحمود للملك فسنرى ما يرون (وستفهم) محاولتهم الاحتفاظ برعایاهم.

من المؤكد أنه لو تحول الموريسيكيون حقيقة إلى المسيحية في ظروف صعبة كهذه فإن ذلك سيكون غاية ما نتمناه : لكنهم حتى لو تحولوا إلى المسيحية حقيقة فإننا لن تكون متاكدين من أنهم لن يتراجعوا إذا ما طلب الأعداء الخارجيون مساعدتهم : بل سيماربون إشباعاً لرغبتهم في السيطرة على إسبانيا . ونظرًا لحبهم التأصل في العيش كمسلمين فهم مغرمون بشرعيتهم ، ولهذا فإننا نعتقد أنهم لا يريدون أن يكونوا مسيحيين ، ولا جلالة الملك سيقبل عرضهم إذا تقدموا به. ولذلك فإن قرار الطرد حتمي لا رجعة فيه. ولكن تهدأ النفوس الحزينة في هذه المملكة : فقد أمرتم يا جلالة الملك بمنحهم الأمان والفرح والسلوى ، وأنا على يقين من أنكم ستستخرجون من صفاء ذهنكم ومن حكمكم المنطق الذي تطمعنون به قلوب أبنائكم ، بل وتعلو نها بالسلوى .

إنني أرى أن الحديث عن خراب المملكة بعد طرد الموريسيكيين حديث منطقي لو أنهم سيحملون معهم أشجار الزيتون والكرم والأراضي والمزارع. أما وإن أراضي المملكة التي وهبنا السماء إليها ستبقى فلن نموت. يقولون إنه حتى لو أقام في المملكة آناس آخرون فسيحل الخراب أيضًا . ولله الفراغ فمن المناسب جلب مواطنين من قشتالة ، وأراغون ، ونابارا ، وإغراقهم بالحديث عن خصوصية الأراضي واعتدال المناخ وجمال الحياة. وإنني أرى أنه لن يأتي القراء المحتاجون فقط ، بل سيأتي أيضًا أولئك الذين يرغبون في تحسين جودة أراضيهم ، أو التخلص من أعباء الضرائب. والله سيجلب الناس إلينا ، وسيملأ هؤلاء المسيحيين القدامى جزءاً كبيراً من الفراغ. وسيرى السادة أن قراهم قد امتلاك بالرعايا المخلصين ، وهذا سيجعلهم الله أكثر سعادة وثراء ، ويسنسر في المملكة دون أن تخشى هجوم المسلمين برأ وبحراً (فعندما لا يكون للأعداء أعون هنا فلن يأتوا) وسنعبد الله ، وسيرى أعداء إسبانيا الذين يأملون في وضع أقدامهم هنا بمعونة هؤلاء اللصوص أن الأمر ليس له علاج ، هذا بالإضافة إلى خيرات كثيرة ، رغم أننا قد نخسر شيئاً. ألا تزال مملكة غرناطة قائمة وقد حدث فيها نفس الشيء بالأمس ؟ لم يمت السادة ، ولا الرعايا ، ولا القساوسة ، ولا رجال الدين ، ولا التجار ، ولم تهلك المزارع.

يقولون إن منْ أنفقوا أموالهم على الجماعات ، ويعيشون على إيرادها سيخسرون برحيل الموريسيكين . أقول إن كل منْ يطلبون تعويضاً مقابل هذا الضرر ، سيعوضهم مندوب الملك عن خسارتهم من نقود وأثاث الموريسيكين ، ومن العدل كذلك أن يعوض السادة عن جزء من خسارتهم من أمتעה الموريسيكين بحيث يشترون البابريشما يصل السكان الجدد ويشتغلون في الأراضي ويحفظونها ، والأهم من ذلك كله - كما أقر المجلس الملكي - أن تظل هيبة السادة وشرفهم محفوظين . ولكي يحدث ذلك فهناك أمران :

أولهما: ألا ينuspب الله كما كان يحدث مع هؤلاء الرعايا.

ثانيهما: أن يطاع الله وتحترم قوانينه في كل هذه الممالك.

هكذا نفوز بشيء آخر هو العناية الإلهية لمن يحبون الله ويطاعونه ، أما من يعصونه فسيرسل عليهم النكبات والعذاب إن كل الكتاب المقدس يحفل بالإشارة إلى أن الذنب والمعاصي تجلب الخراب والضياع ، وأن السعادة الحقيقية إنما هي مع حب الله وطاعته . إن من يقولون إنهم يخشون أن ينتقم الله من عملية الطرد يجب أن يخسروا شيئاً أكبر لو بقي الموريسيكين . عسى الرب أن تمضي العملية كما نتمنى ، وأن يحفظكم لنا .

خاتمكم الراهب أنطونيو سويريني .

٢١ سبتمبر ١٦٠٩

قرار طرد موريسكيين فالنسيا أُعلن في فالنسيا في ٢٢ سبتمبر ١٦٠٩ (١)

من صاحب الجلالة الملك

وباسمه السيد لويس كاريو دي تولينو ماركيز كاراثينا وسيد مدن بتنوانيس
والقائد العام لهذه المدينة ومملكة فالنسيا والثائب عن جلالة الملك.
إلى السادة والأساقفة ، والقضاة ، وممثلي المدن والقرى ، والحكام ، ومنتobi
جلالة الملك والمواطنين ، خاصة مواطني هذه المملكة .

جاء في رسالة ملكية من صاحب الجلالة مؤرخة في ٤ أغسطس الماضي من هذا
العام ، موقعة من سكرتيره أندریس دي برادا:
إلى ابن عمي : ماركيز كاراثينا والقائد العام لمملكة فالنسيا.

قد علمتُ أني على مدى سنوات طويلة حاولت تصوير موريسكي هذه المملكة
ومملكة قشتالة، كما علمت بقرارات العفو التي صدرت لصالحهم والإجراءات التي
اتخذت لتعليمهم ديننا القيس ، وقلةفائدة الناتجة من كل ذلك ، فقد لاحظنا أنه لم
يتنصر أحد ، بل زاد عنائهم. ورغم الخطر والأضرار التي تترتب على استعمال
السياسة معهم إلا أنه منذ أيام التقيت بكثير من العلماء والمتدينين ، وقد رجوني أن
أعالج موضوع الموريسكيين بما يرضي ربنا - الذي اشتد غضبه على الموريسكيين -
وأكيدوا لي أنه يمكن معاقبة الموريسكيين في أموالهم وأشخاصهم، لأن الاستمرار في
ارتكاب الجرائم يؤكّد أنهم ملحدون ؛ لا يحترمون الله ولا الإنسان. ورغم أنه كان

بإمكان معاقبتهم كما تستحق جرائمهم إلا أنتي إزاء الرغبة في اتباع الدين معهم أمرت بعد اجتماع اللجنة في هذه المدينة : والتي حضرتوها أنتم والبطيريك وقساوسة آخرون وأشخاص مثقفون ، للنظر فيما إذا كان من الممكن تجنب طرد الموريسيكين من هذه المالك. لكنني علمت أن أهل قشتالة مستمرون في محاولتهم الصارمة . فهمت من مصادر مؤكدة أنهم حاولوا - ويحاولون - من خلال سفرائهم ، ومن خلال طرق أخرى الإضرار ببلادنا . ورغبةً منها في القيام بواجبها نحو الحفاظ على أمن البلاد - خاصة مملكة فالنسيا - ونحو رعاياها المخلصين لأن الخطر أقرب إليهم فقد قررت طرد كل موريسيكي هذه المملكة ، ونفيهم إلى بلاد البرير.

ولكي يتم تنفيذ هذا القرار ، وأوامر صاحب الجلالة فقد أمرنا بنشر القرار التالي:

١ - يخرج كل موريسيكي هذه المملكة ، رجالاً ونساءً ، وأبناؤهم كذلك ، من فالنسيا في خلال ثلاثة أيام اعتباراً من نشر هذا القرار في الأماكن التي يعيشون فيها ، ويذهب الجميع إلى حيث يستقلون السفينة في الميناء الذي يحدده المفوض ، ويحمل كل موريسيكي كل ما يستطيع من أمتعة شخصية ، ويستقل المركب أو السفينة التي تحمله إلى بلاد البرير فينزل منها دون أن يتعرض لسوء المعاملة أو المضايقات ، وتنبه إلى أننا سنوفر لكل منهم ما يحتاجه من ملابس خلال الرحلة ، ويإمكان كل واحد منهم أن يحمل ما يستطيع ، ومن لا ينفذ هذا البند ويخالف هذا القرار يتعرض لعقوبة الإعدام التي ستنتهي لا محالة.

٢ - أي موريسيكي - بعد نشر القرار ومرور ثلاثة أيام على نشره - يتواجد خارج محل إقامته أو في الطرقات قبل إبحار السفينة ، يستطيع أي شخص إلقاء القبض عليه ، وتجريده من ممتاعه ، وتسليميه إلى العدالة في أقرب مكان ، وإذا دافع الموريسيكي عن نفسه فيمكان المواطن أن يقتله دون أن يتعرض لعقوبة.

٣ - بعد نشر القرار يُحظر على الموريسيكي مغادرة محل إقامته إلى مكان آخر : بل يظل في مكانه حتى يصل إلى القرية المفوض الذي يقتادهم إلى السفينة .

٤ - أي موريسيكي يدفن متاعاً له ، أو يخفيه - لأنه لا يستطيع أن يحمله معه - أو يضرم فيه النار أو يتلف الزرع أو الأشجار أو البيوت توقع عليه عقوبة الإعدام ، ويقوم بتنفيذها المواطنون المقيمون في موقع ارتكاب الجريمة. نأمر بذلك لأن صاحب الجلالة قد تفضل بمنع سادة الموريسيكين الأمة التي لا يستطيع الموريسيكيون حملها معهم .

- ٥ - من أجل الحفاظ على البيوت وعلى محصول الأرض ، وإبلاغ ذلك إلى السكان الجدد ، استجواب صاحب الجلالة طلبنا وقرر بقاء ستة أفراد بعثائهم في كل قرية بها مائة بيت ، على أن يقوم سادة الرعايا باختيار الأفراد الذين سيبقون ، ويلزم سادة الرعايا بإخبارنا بأسماء الأشخاص الذين تم اختيارهم ، أما الأشخاص الذين سيبقون في القرى التابعة لصاحب الجلالة فستقوم نحن باختيارهم. وتبه إلى أنه يفضل أن يكون الأشخاص الذين سيبقون من كبار السن ، وأن تكون حرفتهم الوحيدة هي الزراعة ، وأن يكونوا قد أبدوا ميلاً إلى اتباع المسيحية .
- ٦ - لا يقوم أحد المسيحيين القدامى أو الجنود بإساءة معاملة الموريسيكين أو إيزانهم باللفظ ، أو الإضرار بمتلكاتهم أو بنزوجاتهم وأبنائهم.
- ٧ - يجب ألا يخفى أحد في بيته موريسيكيًا ، ولا يساعده على الاختفاء وإلا عُوقب من يفعل ذلك بالسجن لمدة بست سنوات ، وبعقوبات أخرى ثراها.
- ٨ - لكي يفهم الموريسيكيون أن رغبة جلالة الملك هي طردهم من البلاد ، وأنه لن يقع عليهم إذا اثناء السفر ، وأنهم سُينقلون إلى بلاد البربر؛ فابتنا نسمع بعوده عشرة أشخاص من الذين سافروا مع الفوج الأول لكي يخبروا الآخرين بذلك ، ونسمع بأن يتم ذلك مع كل فوج ، ونتمر بأن يبلغ ذلك إلى قباطنة السفن لكي يأمروا به ، ولكن يحولوا دون أن يقوم الجنود والبحارة بإيذاء الموريسيكين باللفظ أو بال فعل.
- ٩ - الصبية دون الرابعة عشرة الذين يفضلون البقاء ، ويوفق أولياء أمرهم على ذلك ، لا يُطربون .
- ١٠ - الأطفال دون السادسة من أبناء المسيحيين القدامى يبقون في إسبانيا ، وتبقى أمهاتهم معهم حتى لو كن موريسيكيات : أما إذا كان الأب موريسيكي والأم مسيحية فسيُطرد الأب ، ويُبقى الأطفال دون السادسة مع أمهم.
- ١١ - يبقى أيضًا الأشخاص الذين عاشوا مدة عامين بين مسيحيين قدامى ، ولم يحضروا اجتماعات موريسيكية .

١٢ - يبقى أيضاً من تلقوها القرىان المقدس ، وهؤلاء يتم التعرف عليهم من خلال مسنولى القرى التي يعيشون فيها .

١٢ - يوافق صاحب الجلة على طلب الموريسيكي الذي يفضل الرحيل إلى بلاد أخرى (عدا ممالك إسبانيا) .

هذه هي الرغبة الملكية ، وتتفذ العقوبات الواردة فيها دون رجعة ، ولكن يتم إبلاغ الجميع بها يتم نشر القرار بالطرق المعتادة .
فالنسيا في ٢٢ سبتمبر ١٦٠٩ .

ماركيز كاراثينا وعنه مانويل دي اسبينوسا

رسالة ماركيز كاراتينا إلى صاحب الجلالة فالنسيا في ٣ أكتوبر ١٦٠٩

سيدي :

إن أعمال السرقة والأذى التي يرتكبها المسيحيون القدامى ضد المورисكيين في هذه المملكة تتزايد لدرجة أن كل الاحتياطات التي اتخذناها لا تكفي : بل يجب اتخاذ تدابير جديدة ، وذلك لعدم وجود طرق آمنة : فقد مات خمسة عشر أو عشرون موريسكيًا في يومين أو ثلاثة ، وقد سُلِّبَ من المورисكيين نقود كثيرة ، إذ يرى المواطنون أن هؤلاء يحملون معهم كل ممتلكاتهم فيستغلون الفرصة . ونظراً لطبيعة هؤلاء الناس فإنني أدرك أن هذا بمثابة إجبار المورисكيين على الثورة رغم عنهم .

عدد المفوسين الموجودين معى حوالي ثلاثين ، بالإضافة إلى الدكتور رودريغيث والرئيس العام . واعتباراً من اليوم سأرسل آخرين على أن يقوموا بتنفيذ القانون بصراحة حسبما يتطلب الوضع . وجلالكم ستتخذون القرارات المناسبة .

حفظكم الله

فالنسيا في ٢ أكتوبر عام ١٦٠٩

* بعد ذلك ب أيام وبتاريخ ١ أكتوبر ١٦٠٩ أرسل ماركيز كاراتينا رسالة أخرى إلى الملك جاء فيها ما يلى :

إن عمليات الاعتداء التي يقوم بها المسيحيون القدامى في القرى ضد المورисكيين لتعسـاء كانت من الكثرة لدرجة أنـى أـعجب أنـ المورـيسـكيـن لم يـقـابلـوا ذلك حتى

بمجرد توجيه السباب . لقد سُرق من موريسيكيي الكوى وغورغا أغذام ونواب كثيرة .
لقد أرسلت الحُجاب وأمرت بإعادة المسروقات ، رغم أنه لم يمكن إعادة المسروقات كلها ،
وقد أمرت بنشر قرار يعاقب بالإعدام كل من يتعرض لحياة أو أمتعة الموريسيكيين .

هناك فرقة لصوص تنطلق من قرية بوق غانديا ، وتسرق أغذام الموريسيكيين
ويتحقق بهم الأذى ، ويرأس هذه الفرقة حاجب كان يستعمله الدوق واسمه خافير .
سأحاول إلقاء القبض عليهم ومعاقبتهم بشدة . (١)

نسخة من الرسالة الأصلية التي وجهتها بلدية مدينة مرسى

إلى جلالة الملك بتاريخ ١٧ أكتوبر عام ١٦١٩^(١)

لم يكن سادة الموريسكيين في فالنسيا وأراغون فقط هم الذين يعارضون عملية الطرد ، وحاولوا حماية رعاياهم. حدث ذلك في قشتالة أيضاً ، ففي قرى كان الموريسكيون فيها لا غنى عنهم تدخلت السلطات المدنية والدينية لمنع طردتهم ، وذكرت في تقاريرها أنهم مسيحيون متدينون ، وكان عددهم - وفقاً للتقارير التي قدمت - لا يشكل خطراً . راجع حالة بلدية مرسى. في هذا الإقليم ، وبالتحديد في وادي ريكوتى استثنى الموريسكيون - بفضل مهارتهم في صناعة الحرير ، وشهرتهم كمسيحيين متدينين - من قرار الطرد إلى أن تم طردتهم في النهاية عام ١٦١٤ ، وقد اشتكى كونت سالاثار إلى الملك عدة مرات من العدد الكبير من الموريسكيين الذين يعودون ومن ترحيب المواطنين بهم

سيدي :

بعد أن قررتكم جلالتكم - لأسباب عادلة ويدافع من الغيرة على الدين - طرد موريسكي فالنسيا لحماية المملكة من الأضرار التي قد تنتج عن عدم إخلاصهم ، وعن صلاتهم - هم وموريسكيي قشتالة - بالكافار ، اتخاذ بعض الأشخاص ذلك ذريعة لتهديد موريسكيي غربناطة باتخاذ نفس الإجراء ، وقد بلغت المخاوف حداً جعلنا مضطرين إلى إحاطة جلالتكم علمًا بما يجرى في هذه المدينة والقرى التابعة لها . هناك ٩٦٨ تسعمائة وثمانية وستين بيتاً ; وهو عدد - نظرًا لعدد المسيحيين القدامى - ضروري لأداء أعمال معينة ، ولا يؤدي إلى أي خطر . منذ وصولهم إلى المدينة تعلموا الدين المسيحي لدرجة أنه لم يتبق فيهم أي شيء يثير الشك. معظم هؤلاء الناس ولدوا

Janer, *Condicion social....,pp. 310-311 (١)*

وعاشوا في هذه المدينة ، ويخجلون من أنهم أبناء مسيحيين جدد. منذ سنوات طويلة لم تُعاقب محكمة التفتيش أحداً منهم. إننا نعتقد أنهم مخلصون للملك ، ويبدو أن السلطات أبكت في هذه المدينة أكثر المؤرثيين ثقة وإخلاصاً للملك. وفيما يتعلق بمصلحة هذه البلاد فهؤلاء الناس ضروريون لها ، وللإيرادات الملكية ، بالإضافة إلى الخدمات الخاصة التي يزبونها إلى جلالة الملك - رغم أن هذه الخدمات ليست هي التي تدفعنا إلى الإبقاء عليهم ، بل يدفعنا إلى ذلك رأينا فيهم ، فلولا ذلك لضحيانا بمصلحتنا الشخصية في سبيل الصالح العام.

إننا نتوسل إلى جلالتكم النظر إلى تقريرنا ، والأمر بما يحقق مصلحة جلالتكم بحيث يظل هؤلاء الناس في هدوء وسكون ، وعدم السماح بآى إجراء يجعل الناس تلحق بهم الأذى. إننا نرى أن ذلك في مصلحة جلالتكم ، ونراه كذلك تفضلاً من جلالتكم.

حفظكم الله

مرسيه في ١٧ أكتوبر ١٦٠٩

أرتياغا

فرانثيسكو توماس

خريونيمو فرانثيسكو المدوبوار

عن بلدية مرسيه: ألونسو انريكيث

رسالة من موريسيكى غرناطى أرسلها من الجزائر إلى مواطن من تروخيو

رسالة من السيد مولينا : وهو موريسيكى غرناطى، كتبها من الجزائر إلى السيد خيرونيمو دى لوايسا ، فارس من تروхиyo، فى يوليه عام ١٦١١ يحكي فيها تنقلات الموريسيكين المطروبين ومشاكلهم إلى أن وصلوا إلى المدينة التى استقروا فيها بشكل نهائى .^(١)

كونى لم أكتب إليكم رسالة طويلة قبل ذلك لم يكن بسبب أنتى نسيت الأفضال الكثيرة التى تقليتها منكم ، لأن هذه الأفضال كانت وستظل موجودة فى ذاكرتى ما حبب . ورغم أنتى أرسلت إليكم رسالة من ليورنا حينما كنت فيها إلا أنها كانت رسالة سريعة . أما الآن فلدى فرصة أن أقص عليكم ما حدث بعد أن خرجنا من كارتاخينا ، فقد وصلت إلى هذا الحد فى رسائلى .

وصلنا إلى مرسيليا حيث استقابلنا بحفاوة ، ووعدنا بجميع أشكال الرعاية ، لكن بعد أيام قليلة سارت الأمور على نحو يخالف ما وعدنا به ، فقد مات الملك انريكى الرابع . كنا فى مرسيليا ذات يوم على وشك أن يطربونا ، وقالوا إن قدومنا تم بناء على تخفيظ من ملك إسبانيا ، وإننا جواسيس ملك إسبانيا ، وإننا جئنا بهدف احتلال أرضهم . حاصرتنا ، وطيلة خمسة عشر يوماً كانت المدينة على أبهة الاستعداد للحرب ، وفي النهاية سلبوا هنا جزءاً كبيراً من أموالنا ، وكان ذلك بحكم قضائى . ورغم أن الملكة حاولت معالجة الأمر بإرسال قاض ، إلا أن القاضى جاء متطلعاً إلى المال لدرجة أن صديقاً لى من بايضا أعطاه مائة عملة ذهبية فأخذها ، وغيرها بعملة واحدة متعللاً بأن عملاً صديقى وزنها ناقص قليلاً .

(١) Janer, *Condicion social de los moriscos españoles*, pp. 350-351.

حول رحيل الموريسيكين إلى فرنسا انظر:

Cardaillac, "Le passage des Morisques en Languedoc", en *Annales du Midi (Toulouse)*

Cardaillac, "Morisques en Provence" en *Les Langues Romanes (Montpellier)*

لما رأينا المعاملة السيئة ، وكنا حوالي ألف شخص ، قررنا الخروج من المملكة والتوجه إلى مكان آخر أكثر أمناً.

ذهبنا إلى ليورنا ، وحدث لنا ما حديث في مرسيليا . ولما رأينا أن هنا وفي أقاليم إيطاليا الأخرى لا يريوننا إلا للاستفادة منا في زراعة الأرضي وفي ممارسة بعض الحرف الدنيا - وكان معنا أشخاص لا يجيئون بهذه المهن ؛ بل كان معظمهم من التجار- ولم تكن هناك أوامر بعودتنا إلى إسبانيا ، فمن بقوا في إكستريمادورا صدر قرار بطردتهم عنوة ، وكل من نفذ فيه قرار الطرد سرق البحارة تقوده ، واغتصبوا نساء وبناته... لذلك رأينا من الأفضل أن نغادر قبل أن يحدث لنا ما حدث لهؤلاء .

لذلك قررنا مغادرة البلد ، والتوجه إلى حيث أراد الملك أن يرسلنا ، ولهذا جاء كل موريسيكي تروخيو إلى مدينة الجزائر هذه حيث استقر معظم أبناء إكستريمادورا ومانشا وأراغون.

لا تظن أن طردنا من البلاد كان أمراً بيد ملك إسبانيا ؛ بل كان ذلك وحياناً إلهياً ، فقد رأيت هنا آثاراً يرجع تاريخها إلى ألف عام تحكى ما حدث لنا وما سيحدث. علمت أن الله سيُخرجنا من هذه الأرض ، وأن الله سيلهم الملك ومستشاريه فعل ذلك ، وأنه سيimotoتنا كثيرون في البحر وفي البر..... أى كل ما حدث . ذلك لأن أقل معصية يحاسبنا الله عليها ، ويرسل ملكاً يحكم العالم كله بشرعية الله وحدها ، ولا يُجدي في مواجهته حصار ، ولا مدافع . فرأيت أشياء أخرى لا أذكرها لذواعي الإيجاز .

رأيت طالعاً آخر عند عراف من فالنسيا أحضروه من إسبانيا هذا العام. كانت معجزة أن تُطرد الحملان الوبية ، وأن تبقى الذئاب المفترسة .

صدقني إنني لا أكتب ذلك بداعف العاطفة والكرامة ، بل كما لو كنت أعيش في إسبانيا ، فهنا لم يجرنا أحد على أى شعيرة دينية^(*) ، ولا على أى عمل بدني يجعلنا نذنب ، ويكتفي أن ترى نبوءات... حول ذلك.

الجزائر في ٢٥ يوليه عام ١٦١١

(*) إقرار الموريسيكي بأنه لم يُغير على ممارسة شعائر الإسلام يدحض أقوال الباحثين الذين يزعمون أن الموريسيكين قد تعرّضوا لحملات تهدف إلى تعليمهم الإسلام بالقوة . إن المنطق يقول إن هؤلاء الموريسيكين لو لا تمسكهم بالإسلام لما تركوا إسبانيا وهاجروا إلى بلاد إسلامية . هذه الرشقة تزكّد ما تقول : انظر مقالتنا «نص حول الجنس لموريسيكي من تونس»، المجلة التاريخية المغاربية، العدد ٧٨-٧٧، زغوان، ١٩٩٥، من ٢٤٩-٢٥٢ .

**رسائل من كونت سالاتار إلى الملك يعرب فيها عن قلقه
إزاء أعداد الموريسيكين الكبيرة التي تعود إلى مواطنها
بعد أن تم طردتهم منها**

في عام ١٦١٠ عين الملك كونت سالاتار للإشراف على عمليات طرد موريسيكي قشتالة ، وقد قام الكونت بالمهمة بحماس شديد. بعد خمسة أعوام من قرارات طرد موريسيكي قشتالة - وبعد أن انتهت مهمته - وجه سالاتار عدة نداءات إلى الملك وإلى دوق ليزما يحذر فيها من كثرة عدد الموريسيكين الذين يعودون إلى مواطنهم الأصلية

**رسالة من كونت سالاتار إلى جلالة الملك
بتاريخ ٨ أغسطس عام ١٦١٥**

سيدي :

في رسالة بعث بها إلى دوق ليزما في ٣١ من الشهر الماضي كلفتمني جلالتكم بإخباركم عن سير عملية طرد الموريسيكين حتى يتم تنفيذها على أكمل وجه. ورغم أن سلطاتي في هذا الأمر نقل كثيراً عن تلك التي أمرت بها جلالتكم إلا أنني أخبرت جلالتكم بما حدث ، ولم أتلق ردأ ، ففهمت أن جلالتكم لديكم أخباراً عن طريق أخرى .

في مملكة مرسيية - التي عاد إليها كل الموريسيكين الذين غادروها عن طيب خاطر - يستقبلهم المواطنون بحفاوة ويفخونهم . حاولت أن أرسل السيد خيرونيمو دي أبيانيدا الذي كان مساعدأ لي ، كما حدث عندما أمرتم جلالتكم بأن يحمل تعليماتي حول ما يجب عليه عمله، نظراً لشاغلي في هذه المملكة : لم يقبل المجلس هذه التعليمات ،

وأصدر تعليمات أخرى لم تُنْذَدْ في شيءٍ؛ فقد عاد كل منْ طردهم ، أما الذين أمر بسجنهم فهم يتقدموه إلى المجلس بالشكوى في جميع أنحاء أندلوثيا عبر رسائل إلى بوق مدینا سيدونيا. ومن خلال أشخاص آخرين أعلم بأنّ الذين لم يعودوا إلى مواطنهم الأصلية في كاستيا الجديدة ولامانشا واكستريمانورا هم فقط الذين ماتوا. وفي المقاطعات بصفة خاصة من المعلوم أنه في كل يوم يعود كثيرون ورجال الشرطة يخفون ذلك.

هناك شيءٌ مؤكد هو أنه عندما أمرتم جلالتكم بطرد الموريسيكين لم تقم الشرطة باعتقال موريسيكي واحد ، ولم أتلقي أنا رسالة من أحدهم. هناك في جزر مايدوكا ومينوركا وكباريس موريسيكيون كثيرون من مواطنى الجزر ، ومن الموريسيكين الذين تم طردتهم من أماكن أخرى. ومن المعلوم أنه في أراغون - بالإضافة إلى الموريسيكين الذين عادوا أو من الذين قدموا من كاستيا - هناك موريسيكيون كثيرون مصرح لهم بالإقامة ، وهناك موريسيكيون يقيمون بتتصاريح مزيفة ؛ وعليه فإن الموريسيكين المقيمين في إسبانيا بلغوا من الكثرة بحيث يخشى عودة المشاكل التي جعلتكم تتخلون عن قرار الطرد، وعلى الأقل فإن مشكلة العبادة - وهي المشكلة الرئيسية - لم تتحسن إلا قليلاً ، لأن تدين هؤلاء الذين نكرتهم مشكوك فيه .

الرأي الذي انتهيت إليه هو الشك في تقارير رجال الشرطة . وحتى الآن لم يرسلوا إلى تقريراً واحداً ، فهم مستريحون إلى ترك الموريسيكين يقيمون في مواطنهم. وفقاً لذلك يستأنرون جلالتكم بما ترونه صالحًا ، والرأي الذي أستطيع أن أقدمه لكم هو ما ذكرت.

حفظكم الله سيدنا كما نرغب ونتمنى نحن رعاياكم.

مدريد في ٨ أغسطس ١٦١٥

كونت سالثار

نسخة من الرسالة الأصلية التي بعث بها كونت سالاتار إلى سعادته [سكرتير الملك؟] بتاريخ ٨ أغسطس ١٦١٥

إن أوامر صاحب الجلالة بأن أرد على موريسيكي طنجة قد اضطررت معها إلى إخباره عن الوضع السني الذي تسير عليه عملية طرد الموريسيكيين ، نظراً لأن الكثرين منهم يعودون كل يوم ونظراً لوجود أعداد من الذين لم تتم عملية طردتهم بعد ، فهؤلاء جميعاً يشكلون عدداً لا يأس به.

إننى بذلك قد قمت بواجبى ، وبتنفيذ ما أمر به صاحب الجلالة ، ويسرى أن يتخذ جلالته القرار الذى يراه مناسباً. هناك شيء أؤكد له لكم وهو ما يلى : إذا كان من المناسب طرد الموريسيكيين من إسبانيا ، فليس من المناسب أن تتركهم يعودون إليها ، وبعودتهم نحو الإنجاز الذى تحقق ، ولا يعبدون رب الذى لا يعرف هؤلاء الناس.

حفظكم الله كما أتمنى

مديري في ٨ أغسطس ١٦١٥

كونت سالاتار

ـ هناك أيضاً من يشكوا من كثرة أعداد الموريسيكيين الذين يعودون ، وهو يدور بيأربولا المشرف على طرد الموريسيكيين من أندلوشيا. ترد الشكوى فى رسالة بعث بها من ملكة إلى الملك فى ٢٢ نوفمبر عام ١٦١٠ ـ

سيدى :

كثير من الموريسيكيين الذين طردو من أندلوشيا ومملكة غرانادا يعودون من بلاد البربر فى سفن فرنسية تنزلهم فى سواحلنا ، ثم يتوجهون إلى داخل البلاد. وقد علمت أن معظمهم لا يعودون إلى موطنهم الأصلى حتى لا يتعرف عليهم أحد ، ويبلغ عنهم. وبما أنهم يجيدون لغة البلاد فهم يقيمون فى أى مكان لا يعرفهم فيه أحد، كما لو كانوا

مسيحيين قدامي . وقد وصل إلى هذه المدينة قليلاً ، ربما لأنهم خافوا من شدتي معهم في تنفيذ أوامر جلالتكم . لكن برغم ذلك فقد وصل إلى هنا بعض الذين أقيمت القبض عليهم ، وقالوا لي إن معظم الموريسيكين الموجوبين في بلاد البرير سيعودون إلى هنا لأن المسلمين يسرقونهم ويسيئون معاملتهم ، وما أراه يا سيدي - شخص تمت على بيديه عملية ترحيل موريسيكي أندلوشيا - هو أنهم مسلمون إلى أقصى حد ، لأنني حين فحصت أمتعتهم الشخصية وقت رحيلهم لم أجده مجرد قطعة صغيرة من لحم الخنزير ، ولم أجده مجرد كوب نبيذ ، مع أنهما كانوا يحملون معهم لحوم الخراف ، والماعز ، ورغم كون الخنزير والنبيذ أفضل المأكولات أثناء السفر . يضاف إلى ذلك شيء آخر على قدر كبير من الأهمية ؛ فقبل وصول أوامر جلالتكم باحتجاز الأطفال من الأسر المتوجهة إلى بلاد البرير لم يتوجه شخص واحد إلى بلاد مسيحية ، ولجرد الهروب كانوا يتوجهون إلى مارسيليا ، وقد حملوا معهم (أطفالاً) كثيرين إلى تونس ، وإلى غوليتا وإلى أماكن أخرى من بلاد الكفار ، ومن يبقى منهم يعود إلى إسبانيا . ولدى خمسة مساجين تجروا على العودة إلى هذه المدينة ، وهم يقولون لي إن كل الموريسيكين يعودون ، وإذا تفتقوا ما عزموا عليه فستتحول عملية الطرد باكملها إلى مجرد وهم ، وستتحقق بنا الأخطار التي من أجل تجنبي اتخذنا إجراءات .

بناءً على أنه لا يمكن تنفيذ عقوبة الإعدام التي يستحقونها نظراً لكثره عددهم ؛ فيمكن اعتبار الرجال الذين جاءوا من بلاد البرير أو من مارسيليا كأسرى حرب يخدمون جلالتكم في السفن ، كما يمكن اعتبار النساء أسييرات ، ويشكلن جزءاً من متاع جلالتكم ، ويجب تحويل البعض إلى القاضي لكي ينفذ ما يراه مناسباً . فيما يتعلق بالأطفال دون السابعة يمكن أن يعهد بهم - خلال مدة تحددونها جلالتكم - إلى بيوت النبلاء والرجال الصالحين لكي يتلقوا على أيديهم التربية الحسنة . جلالتكم مستصدرون إلى الأوامر التي ترونها مناسبة بشأن الحالات التي تصل إلى ، وإذارأيتم أن أخرج أيضاً إلى أماكن أخرى في هذا الإقليم فسائلع ، رغبةً مني في تنفيذ أوامركم .

حفظكم الله تُخْرِجاً للمسيحية .

ملقة في ٢٢ نوفمبر ١٦١٠

**موجز ومحفظات من القضية التي نظرتها محكمة التفتیش
ضد دییغو دیاث ، وهو موریسکی قشتالی حوکم فی کوینکا عام ١٦٣٠
لأنه عاد مرتين إلى إسبانيا بعد أن طرد منها**

• دییغو دیاث جزار ، وزوجته ماریا دیل کاستیو موریسکیان من بیلمونتی^(١)

مثل دییغو دیاث أمام المحكمة بعد أن اتهمه أنطونیو مالو ، وزوجته ، وخادمته ،
وشاهد آخر بما يلى :

- عدم وضع لحم أو دهن الخنزير في الحلة ، بل كان يستعمل الزيت .
- تناول اللحم في أيام صيام المسيحيين وأيام الجمعة ، دون أن يكون مريضاً ،
لأنه يتناول السمك والتونة والسردين والجبن ؛ وهي أشياء لا يتناولها المرضى .
- الإغتسال ، وارتداء ملابس نظيفة يوم الجمعة ، والنوم وهو عريان .
- استضافة موريسكيين من بايي دي ريكوتى في بيته .

• وتعلم هذه الشاهدة أن دییغو دیاث المذكور كان يستضيف في بيته موريسكيين
كثيرين من بايي دي ريكوتى ، وأنه كان هو وزوجته يدخلان البيت مع الموريسكيين
المذكورين ، وكانوا يتحدثون باللغة العربية التي لا تفهمها الشاهدة ، وكانوا يغلقون
الباب لمدة ثلاثة أو أربع ساعات .

عندما سُئل دییغو دیاث أمام المحكمة عما إذا كان له أعداء ذكر خادمة سابقة له ،
كان قد طرحتها من خدمته لأنها كانت تشرب الخمر ، وذكر اسمه أنطونیو مالو وزوجته ،
وهما أصحاب خان مثله . يدافع عن المتهم الموجهة إليه (يقول مثلاً إنه لم يكن يتحدث
بالعربية مع من كان يستضيفهم في بيته ؛ بل كان يتحدث باللهجة الفالنسية لأنه كان
قد عاش فترة طويلة في تلك البلاد ويتحدث لغتها وله أصدقاء فيها) ، ومن خلال
الإجابات على الأسئلة يحكى قصة حياته . دییغو دیاث من دايمبل التابع لكارترابا ؛
وهو من الموريسكيين القدامى الذين كانوا يقيمون في قشتالة منذ ثلاثة عشر عام حيث

كأنوا يعملون في خدمة ملوكها ، وبعد طرد موريسيكي غرناطة أرانوا أن يطربوهم ، وطربوهم بالفعل ثم عانوا بعد ذلك وأقاموا في القرى المذكورة

كان عمر بيغو عند الطرد سبعة عشر عاماً ، وحتى ذلك الحين كان يستغل بالزراعة ، وبعد أن غادر مملكة قشتالة دخل مملكة فرنسا في بابينا ، وسان خوان دي لوث عام ١٦٠٩ ، أمضى هناك ما يقرب من خمسة عشر يوماً ، وكان ضمن أناس كثيرين من شملهم قرار الطرد . عاد بيغو إلى دايميل من فرنسا ، لكنهم اعتقلوه ، وبعد أن سجن لمدة شهرين حملوه إلى قرطاج مع موريسيكيين آخرين ، ومنها إلى الجزائر . يتحدث بيغو عن فترة إقامته في تلك المدينة ويعترف بأنه مختن.

نزلوهم بالقرب من الجزائر ، وجاء الأتراك من المدينة واقتلوهم إليها وأدخلوهم الترسانات ؛ وهي بيوت كبيرة بها الأسلحة وطلقات المدفع ، وهناك كانوا يفحصون الذكور ، وكأنوا يختونهم ، كان من يقوم بإجراء الختان حلاقين ... بعد ذلك أقام لهم الأتراك مأدبة عظيمة مثل التي تقام في إسبانيا عند الزفاف . أكلوا وهم يجلسون على الأرض على حصيرة فوقها مفرش . بعد ذلك صنعوا له من عباءة جلباب مسلم.

ذهب بيغو إلى السفن لكي يعمل ويستخرج حجارة لبناء سور عند الميناء . كانوا يدفعون له ريالاً ونصف ، وكان يصاحب موريسيكيين آخرين من طليطلة ومن مملكة غرناطة ، ومسيحيين أيضاً . ذات مرة اعترف أمام قسيس أسير ، وكان - من باب التخفي - يمثل أنه يلعب الكوتشبنة . ظل يؤدي شعائر المسيحيين دون أن يقول ذلك لأحد . لم يدخل إلى المسجد الكبير في الجزائر إلا مرة واحدة ، وحدث ذلك في ساعة لم تكن وقت صلاة ، ودخل المسجد لأنه كان لديه فضول لمعرفة ما بداخله .

يقص الأشياء التي صدمته في عادات الأتراك ، وحتى لو أنه ذات مرة شعر بميل نحو شريعة محمد فإن الصدام قد جعله يفقد ذلك الميل . يقول إنهم يفعلون كل شيء بشكل مخالف لما يحدث في إسبانيا . يتبعون وهم يرتفعون القميص ، وينزلون السروال كالنساء .^(٢) يمشون في أحذية بسيطة ، وبينما أنهم يفعلون كل شيء بشكل مخالف لما يحدث في إسبانيا . تسير النساء وهن يغطين وجوههن ، بحيث لا يستطيع أحد أن

يراهنْ . يأكلون وهم جالسون على الأرض ، لكن أكثر ما أثار اشمئزازه هو أنهم يشترون الفلمان لكي يناموا معهم... ”

” هناك في الجزائر أكثر من ستة آلاف غرناطي ، وهم مسيحيون ، لكن موريسكيي أراغون فالنسيا لم يعتنقوا المسيحية أبداً ^(٢) . ولو أن أحد الغرناطيين الوجوبيين في الجزائر ولد له ولد فإنه لا يتركته يغيب عن عينه أبداً خوفاً من أن يسرقه المسلمون ويستغلونه كما ذكرت ^(٤) . ”

بعد أن أمضى عدة شهور في الجزائر أبحر بيغوف في سفينة صيادين من بينهم موريسكيون من أراغون ، وذات يوم رأى أن سواحل إسبانيا قربة : فألقى بنفسه في الماء ، وظل يسبح حتى طرطوسة ، ومنها توجه إلى سرقسطة ثم إلى فرنسا لكي يبحث عن والده أو أحد إخوته . لم يجد أحداً (فمنهم من مات ، ومنهم من عاد إلى إسبانيا) فتوجه إلى أبيينيون ، وعاد إلى إسبانيا . عاش في فالنسيا حيث تعلم حرفة الجزار ، ومارسها بعد ذلك في أوريوبلا ومانشاناريس وموتا ديل كويوبو وبيلمونتي التي كان يقيم فيها عندما ألقى القبض عليه . يقول في دفاعه إنه لو لم يكن مسيحيًا مخلصًا ما عاد إلى إسبانيا بعد أن طرد منها مرتين ، فلو كان يؤدى شعائر محمد لاستقرار في الجزائر ، وهي الأرض التي تؤدي فيها هذه الشعائر . ”

على مدى نظر القضية كانت النقطة الرئيسية للمناقشة هي ما إذا كانت عملية الختان التي أجريت له قد أجريت بشكل إجباري أم لا ؛ فإذا كانت قد تمت بشكل إرادى يكون قد رفض العقيدة الكاثوليكية ، ويكون قد اختار الإعدام ، ومن ناحية أخرى فإن أعضاء محكمة التفتيش لا يصدقون أن المسلمين يجبرون أحداً على اعتناق دينهم ، أو يجرون عملية الختان لأحد بشكل إجباري . ”

فقرات من ملف قضية بيغوف ديات

” ذكر ممثل النيابة أنتى أطلعت على قضية بيغوف ديات ، ويبدو لي أنها لم تكتمل بعد ، إذ لم يتم الاستماع إلى ثلاثة شهود رئيسيين هم أنطونيو مالو ، وماريا لاغونا زوجته (وبالنسبة لهندين الشخصين يقدم المفوض دليلاً على أن العثور عليهم غير ممكن ،

وهو سؤال الشخص الوحيد في بلموتنى الذى ربما يعرف مكانهما ؛ وهذا الشخص محام) وأرى أنه يجب سؤال الأشخاص العاديين من جيران وأصدقاء عن المختفين : فليس من المعقول أن يختفى رجل وزوجته تماماً.

كما يجب السؤال عن ماريا ايرنانديث ؛ وهى وثيقة الصلة بالذكورين ، وكانت تعمل معهما.

عند العثور على الشهود أقول إنه بافتراض أن المتهم ينحدر من أصول إسلامية أو من أسرة كانت تزور شعائر محمد ، ومن ثم طرد من إسبانيا ، بافتراض ذلك ، وضد الشهود الخمسة الذين يقولون إن المتهم كان يأكل اللحم فى الأيام المحظورة ، خاصة فى صيام عام ١٦٢٢ ؛ وكان يأكل معه السمك والجبن وأنطعمة أخرى ضارة بالصحة... .

وللحذر هذا الدليل فإن كثيراً من الشهود الذين قدموه دينغو ديات قالوا إنه إذا كان قد أكل هذه الأطعمة فإن ذلك كان بسبب نوبات مرض تصيبه ، وإن ذلك كان يتصرّح من الطبيب . ويقول الدكتور باتكتيث الطبيب إنه أعطاه تصريحاً باكل اللحم ، لكن الطبيب يقول أمام المحكمة إنه لم يعط المتهم تصريحاً باكل اللحم عام ١٦٢٢ ، وإن التصريح في زمن ما لا يجب أن يفهم على أنه تصريح أبدى.

هناك شاهدان يقول المتهم إنها خصماني له ؛ وهو أنطونيو مالو ، وزوجته . العداء مفهوم ، فهم يمارسون منهنة واحدة ؛ وهم جيران ، وهذا - بين الطبقات الدنيا - يؤدي إلى التحاسد وإلى رغبة كل منهما في إبعاد الآخر عن المكان.

عن اتهامه للشهود بأنهم لصوص وسكارى ، لا أرى تصديق هذا الادعاء لنقص الدليل ، ولأن السكر يُعرف بما يتربّط عليه من أفعال ، ولا يُعرف بمجرد النظر إلى العينين ، هذا بالإضافة إلى أنه فى أمور الدين لا يجب أن ترفض شهادة شاهد إلا بسبب الخصومة.

يقولون إنه لا يحضر لسماع الوعظ فى الأعياد ، وهذا اتهام مرفوض لأنه سلبي ، ولأن شاهداً واحداً فقط هو الذى يقول به ، لذلك فهو اتهام غير ثابت ؛ خاصة وأن هناك شاهدين آخرين يقولون إنهم رأوه يسمع الوعظ مرات عديدة.

يقولون إنه لا يأكل لحم الخنزير ، وفي هذا الصدد تقول خادمة إنها ظلت تعمل في بيت المتهم لمدة سبعة شهور : فلم تره يضع لحم خنزير في الحلة ، ولو كان هناك شاهد آخر مع الخادمة لربما كان دليلاً دامغاً ; بالنظر إلى أن المتهم ينحدر من أصول إسلامية، لكن الشاهدة وحيدة ، ورغم أنني - كما ذكرت - لا أرى واقعة السكر ثابتة في حقها ، إلا أن شهادتها تتم عن موقف عاطفي ينبع من كره المتهم : فقد قالت إنها لم تره يعلم أبناءه الصلوات المسيحية ، وقد ثبت أن له طفلاً عمرها سبع سنوات تعرف الصلوات المسيحية ، ومن المعتقد أن أبويهما هما اللذان علماهما. هذا بالإضافة إلى أن كثيرين من الشهود الذين قدمتهم المتهم يقولون إنهم شاهدوه يأكل لحم الخنزير ، وعلى ضوء هذا كله أرى أن التهمة غير ثابتة.

يقولون إنه وأهل بيته يرتدون ثياباً نظيفة يوم الجمعة ، لكن بالنظر إلى أن هذا المتهم جزار فإن يوم إجازته ويوم ارتدائه الثياب النظيفة هو يوم الجمعة؛ لكن لنا مأخذ هو أن المتهم ليس هو الوحيد في البيت الذي يرتدي ثياباً نظيفة يوم الجمعة؛ لكن هناك شاهداً واحداً على ذلك وهي الخادمة المذكورة.

الأمر الذي أراه ضد المتهم هو أنه قد اعترف بأنه قد أجريت له عملية الختان، وهي أهم شعيرة عند المسلمين ، وقد اعترف بأنه قد أجريت له العملية في الجزائر عندما نزل بها مع موريسيكيين آخرين إبان الطرد. ورغم أن المتهم يقول إنه قد أُجبر على الختان إلا أنه من المعلوم جداً أن المسلمين لا يجبرون أحداً على الدخول في دينهم ، ومن البديهي ألا يجبروا على إجراء الختان من لم يدخل في دينهم، وعليه فإنني أفهم أن هذا المتهم والأشخاص الآخرين الذين أجريت لهم عملية الختان قد خرجن عن دين يسوع ، سواء من حيث الختان أو من حيث الملبس. إن دخوله إلى المساجد يعني أنه اعتنق دين محمد ، وقد اعترف المتهم بذلك بأنه دخل المسجد ، ولا يسمح المسلمين لغير المسلمين بدخول المسجد. وقد اعترف المتهم كذلك بأنهم صنعوا له جلباباً إسلامياً من العباية ، وحاول أن يفهمنا أن ذلك تم دون رغبته ، لكن ذلك لا يمكن أن يكون حقيقياً بل يدل على أنه خرج عن ديننا ، وكان يعتقد - كالعادة - أنه لو ذهب إلى روما سيعفى من العقوبة ، ولما كان في ابنين اعترف وتلقى العفو ، وقد اعترف بذلك في ١٢ يوليه عام ١٦٣٢ . كل ذلك يؤكد أن المتهم إذا كان قد اعتنق الكاثوليكية يوماً ما فقد خرج منها عندما كان في الجزائر.

الشهود الذين يدلون بآقوال لصالحه - رغم أنهم لا يقولون شيئاً يزيل هذا الشك - يقولون ذلك بداعف العاطفة، لدرجة أن أحدهم يقول إنه شاهده يمضى ساعات يعلم أبناء الصلوات المسيحية ، مع أن المتهم لا يجيد القراءة . وهناك شهود آخرون يقولون إنهم رأوه يرتدى ملابس نظيفة يوم الأحد ، مع أن ذلك شيء لا يمكن أن يراه إلا الخدم. وهناك جراح ذكر أن المتهمين لم يبلغوه إطلاقاً بإصابتهم بنوبات ، ولا يعلم أنهم مصابون بها حتى يسمع لهم باكل اللحم. ثم عندما قدموا للشهادة قال إنه يعلم بإصابتهم بنوبات ، وإنه رأهم ، وإنه يصرح للمتهم باكل اللحم، ومن المعلوم أنه في السابق تم جلد شهود مثل هؤلاء مائتى جلدة ، ومثل هذا الجراح.....(وهناك شهود آخرون أدلى بآقوال متناقضة كهذه).

ومن يقولون في صالح المتهم إنه يعطي الصدقات ويقوم بأعمال يؤديها الأشخاص الصالحون عادة ، سواء كانوا مسلمين أم ملاحدة أم يهود. هناك عمل واحد من شيم المسيحيين ، وهو إعطاء الصدقات من أجل إقامة قداس ، وهذا معناه - ما لم يكن تفاقاً - أنه يؤمن الآن بما كفر به في الجزائر ، وعليه فإننى أرى أن يتعرض للتعذيب وأطلب التصریع بذلك.

الونسو دي باییخو

أقول أيضاً إن اعترافه في أبنيون قد حدث بعد مرور سبعة أو ثمانية أعوام على مغادرة الجزائر ، ولو أن الختان كان تم بشكل إجباري ، وكذلك دخوله في الإسلام ، لما تأخر كل هذه المدة في التوبة.

في مدينة كوبنكا ، وفي مقر محكمة التفتيش ، وي بتاريخ ٢٠ ديسمبر عام ١٦٢٢ ، وبحضور السيد سباستيان دي خرياس ، والسيد انريكي دي بيرالتا-كارديناس ، والسيد راموس روبيريغيث دي مونروي أعضاء محكمة التفتيش استدعى من السجن تبيغو ديات: وسئل ما الذي قرر أن يقوله لكي يخلص ضميره فأجاب بأنه ليس عليه أن يقول إلا ما قاله بالفعل.

وسئل عن أنه قد اعترف بأنه عندما وصل إلى الجزائر قد أجريت له - ولوريسيكين آخرين - عملية الختان ، وأنه رفض لأنه كان مسيحيًا ، وأنه كان يعترض أمام راهب مسيحي أسير، سُئل متى كان ذلك ، وماذا قال الراهب ، وهل اعترض أمامه

بالختان؟ فقال إنه لا يتذكر الوقت أو العام الذي حدث فيه الطرد لكنه يبدو له أنه بعد عامين من خروج الموريسيكين الفرناطيين من إسبانيا . حملوه أولاً إلى بيوبينا حيث بقي مدة قصيرة في سان خوان دي لوث ، ومنها عاد إلى إسبانيا ، وفي بيبيا دي أرو اعتقلوه هو وفرانتيسكو مورينو - المتوفى - وهو من داييميل . وقد سجنهم قاض وسلمهما إلى الشرطة فسجنا ثلاثة أشهر . بعد ذلك سلموهما إلى بيوبينا ، ومنها توجه إلى سان خوان دي لوث ، حيث كان يقيم والده ، وظل هناك ستة أشهر ثم عاد إلى إسبانيا ، وذهب إلى مدريد ، وعاد إلى داييميل ويقى مع مخبر محكمة التفتيش الذي يدعى أورشكو ، وظل معه مدة ثمانية أو عشر شهور ثم اعتقله العدة في القرية مع فتیان آخرين ، وأرسلهم جميعاً إلى كارتاخينا حيث مكثوا عدة أيام حتى أحضر العدة كابيرا مجموعة أخرى من الموريسيكين ، فأذكى بهم سفينة حملتهم إلى بلاد البرير ، وأنزلوهم في مكان يسمى سرجيل على بعد ثلاثة أو أربعة أميال من الجزائر . ساروا جميعاً في اتجاه الجزائر ، ولما ساروا مسافة نصف ميل قابلتهم فرقة من مائة جندي من الجزائر حملتهم إلى المدينة على خيول ، وخلف كل منهم زوجته ، وأحسنوا معاملتهم؛ وبعد مرور يومين أو ثلاثة أجروا لهم عملية الختان؛ فكانوا يأخذون الرجل ويضعونه بين رجلين من الجزائر يمسكانه من ذراعيه ويجرون له عملية الختان دون كلام . يقول المتهم إنه كان يعترف أمام الراهب عندما كان يلعبان الكوتشنينة ، وكان يقول له إنه يحزنه البقاء هنا كما يحزنه الختان .

ـ وقد سُئلَّ كم من الوقت مر بين إجراء الختان ، والذهاب إلى الراهب للاعتراف .

ـ أجاب أنه يبدو له أنه من شهرين أو ثلاثة على الختان لأن بعض الموريسيكين الفرناطيين الذين كانوا يصنعون الكراسي - ولا يتذكر أسماءهم - قالوا له إن هناك قسيساً أسيراً ، وإنهم قد اعترفوا أمامه فإذا كان يريد الاعتراف فليذهب ، وقد انتظروا في مكان قريب وهو يعترف .

ـ طلب منه أن يقول كم من الوقت مر بين الاعتراف ومجاورة الجزائر ، وإلى أي مكان توجه أولاً ، فقال إن القسيس الذي اعترف أمامه نصحه بالذهاب إلى وهران إذا كان يعرف العربية ، ثم يتوجه إلى إسبانيا ، وإذا لم يكن يعرف العربية فليصادر موريسيكين من أراغون؛ فهم قباطنة يبحرون في سفن من أجل السرقة . وهكذا تمكّن من ركوب سفينة لقبطان موريسيكي من أراغون وقطالونيا ، وألقى بنفسه في الماء .

ونذهب إلى القرية ، ومنها إلى سرقسطة حيث كان مريضاً يعالج في المستشفى ، واعترف قبل دخول المستشفى . ومن سرقسطة توجه إلى فرنسا إلى قرية سان خوان دي لوث بحثاً عن والده وإخوته فعلم أن بعضهم مات وأن البعض الآخر عاد إلى إسبانيا . ثم توجه إلى أبنيون حيث اعترفَ

ـ طلب منه أن يحدد من الذي نصحه بالذهاب إلى أبنيون ، ومن الذي قال له إن فيها أشخاصاً يمنحوه الفران

ـ أجاب أنه اقترح أن يذهب إلى روما لكي يعترف ، فلما مر بأبنيون التقى بقسيسين فرنسيين قبل أن يدخل المدينة : فذكر لهما ذلك فقالا له إن فيها أسقفاً يمكن أن يمنحه الفران ، وقد أعطياه عباءة لكي يدخل بها ، ومكث بضعة أيام هناك ثم توجه لمقابلة الأسقف ، فلم يفهم منه كلمة ، فأرسله إلى الرهبان ليبحثوا له عن قسيس يفهم لغته فأرسلوه إلى راهب قضى في طليطلة ثلاثة عشر عاماً ، فاعترف أمامه ومنحه الفران ، ثم توجه بعد ذلك إلى بيربينيان ثم إلى خيرونا ، وبالقرب من سرقسطة ذهب إلى فالنسيا واليكانثي وأوريوليا حيث استقر به المقام مع جزار فتعلم الحرفة وكل ما قاله صدق .

طلب ممثل النيابة بعد ذلك استدعاء السيد بيرناردينو ميدرانو الذي كان أسيراً في الجزائر ، وطلب أن يُسأل عن حقيقة أن الموريسيكين الذين كانوا يصلون إلى هناك كانوا يُجبرون على إجراء عملية الختان ، وعلى الدخول في الإسلام وارتداء ثياب المسلمين.

ـ في مدينة كوبنكا ، وفي مقر محكمة التفتيش ، وبتاريخ ١٠ يناير عام ١٦٢٤ ، وبحضور السيد سبابستيان دي فرياس عضو المحكمة الذي أمر بدخول رجل حلف أن يقول الحق ، وأن يحفظ السر ، وقال إن اسمه : بيرناردينو دي ميدرانو ، شريف ، وإنه من هذه المدينة ، وإن عمره سبعة وأربعين عاماً تقريباً .

ـ طلب منه أن يقول هل عندما كان أسيراً في الجزائر رأى أن المسلمين يجرون عمليات الختان لأشخاص من يذهبون من هنا دون رغبتهم لكي يحولوهم إلى مسلمين أو هل يجبرونهم على الدخول في الإسلام ؟

- قال إنه في الوقت الذي طرد فيه المسلمين من إسبانيا كان أسيراً في الجزائر ، وقد أمضى هناك فترة ثلاثة سنوات ، وشهررين ودأى بعينيه أن موظفين يسيرون في الشوارع العامة ، وما كانوا يجدون موريسيكيًّا من إسبانيا كانوا يأخذونه ، وكانوا يدخلونه عنوة في أول بيت ، وكانوا يفحصونه فإذا وجدوا أنه غير مختن كانوا يجرؤون له عملية الختان حتى دون رغبته ، وإن كثيراً من الموريسيكيين ماتوا أثناء العملية ، وإن الكثيرون منهم كانوا يشكرون أمرهم إلى الأسري ورجال الدين المسيحيين لأنهم كانوا كاثوليك ، وكانتوا لا يستطيعون الإفصاح عن ذلك أمام المسلمين ؛ لكنهم كانوا يعترفون بذلك للمسيحيين لأنهم يثقون فيهم . إن عمليات الختان كانت تجري بعد إصدار قرارات تقضي بذلك ، سواء رضي الموريسيكيون أم أتوا . وذكر الشاهد أن كل موريسيكي مملكة فالنسيا كانوا مختتنين وهو في إسبانيا ، وأن نصف موريسيكيي أراغون كانوا مختتنين ، أما موريسيكيو أندلوزيا وقشتالة فلم يكن أحد منهم مختتنا ، وذلك وفق معلومات الأسري ورجال الدين . ويعلم الشاهد أن الراهب برناريو دي مونتروي كان لديه تصريح من قداسة البابا بمنع الفرقان للموريسيكيين الكاثوليك الذين أجريت لهم عملية الختان ، ويقول إنه رأى بعينيه بعض موريسيكي إسبانيا يذهبون للاعتراف أمام الراهب مونتروي ، وكان يقدم لهم القربان المقدس .

- سُئل الشاهد هل لاحظ وهو أسير في الجزائر أن المسلمين يسمحون للمسيحيين بالدخول في مساجدهم؟

- قال : عندما يكون المسلمين في مساجدهم يؤدون الصلاة لا يسمحون بدخول المسيحيين ، ولا يسمحون بدخول النساء . أما إذا لم يكونوا بالمسجد فالحارس يسمع عادة بدخول شخص مسيحي بسرعة ليりي المسجد على ألا يتأنّر ؛ إما إذا كانوا يؤدون الصلاة ؛ فمن العادة وجود حراس على الأبواب لا يسمحون بدخول المسيحيين ولا زوجات المسلمين .

- سُئل الشاهد عما إذا كان لباس المسيحيين هناك شبيه بلباس المسلمين ، أم يختلف ، وهل يجبرون الأسري على الدخول في الإسلام؟ .

- أجاب أن الأسري الكاثوليك يسمحون عن كل أنواع الملابس ، لكن المسلمين لا يتركونهم يرتلون الرزي الإسباني لأنهم ينزعونه عنهم ، ويلبسونهم زرى العبيد ،

وهو عبارة عن سروال أبيض أو أزرق وقميص يصل إلى نصف الفخذ ، وإذا كان الأسير صبياً أو امرأة فإن المسلمين يحاولون أن يلبسونهم زيهما لكي يقتنعوا بهم ؛ بل يجبونهم على ذلك بآيدياهم السجن ويضررهم بالعصى وبوسائل أخرى . أما الرجال فإنهم لا يحاولون إقناعهم بالدخول في الإسلام ، ولا بارتداء أزيائهم .

ـ سُئل الشاهد هل هناك في هذه المدينة أو بالقرب منها شخص آخر يمكن أن تكون لديه معلومات عن الأمور التي تحدث فيها ؟

ـ أجاب بأنه ليس لديه علم بوجود أحد يمكن أن تكون لديه معلومات سوى خادمه له يدعى فراتشيسكو أورتابو تركه منذ حوالي أربعة أعوام ، ولا يعرف أين هو ، وهل هو على قيد الحياة أم لا ، وأن كل ما ذكره حقيقة

السيد بيرناردينو دي كويار إي ميدرانو

ـ بعد هذا العرض الذي قدمه السيد بيرناردينو دي ميدرانو يبدو لي أن شهادته في صالح المتهم حين يقول إن الختان إجباري رغم أنه شاهد واحد ، وشهادته بمفرده ليست دليلاً دامغاً ، خاصة في أمر غير مؤكداً ، طبقاً لما وضحت رغم أنهم - بما أنهم هم吉ون - ربما افتقعوا بإجراء الختان عنة لكل من ينحدر من أصول إسلامية ... رغم ذلك - يقول ممثل النيابة - إن المتهم لا يزال محل شكوك لعدم وجود سوى شاهد واحد ، ويجب تعريضه للتعذيب . ومع ذلك أجريت عملية تصوير . ورأى القاضي أن بيغون بياث بري ويجب إطلاق سراحه ، لكن بعد تعنيف شديد وتوبية علنية لأنه تركهم يجرؤن له عملية الختان .

وبهذا تنتهي القضية .

الهؤامش

Archivo Diocesano de Cuenca, Leg. 437, num. 6169 (١)

(٢)- انظر أيضاً :

Fr. Diego de Haedo, *Topografia e historia de Argel*, I, p. 151

(٣) حول أصناف الموريسكيين انظر المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص. ٥٠-٥١

(٤) حول هذا الاستخدام السى انظر أيضاً المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص. ١٧٦

المؤلفة في سطور :

- مرثيديس غارثيا أريناles (مدريد ١٩٥٠) .
- أستاذة بالجامعة الأعلى للبحث العلمي بإسبانيا ، ورئيسة قسم الدراسات العربية به لعدة نوادرات .
- من أبرز المتخصصين في مجال الدراسات المورييسكية .
- لها العديد من الكتب والمقالات المنشورة في إسبانيا وغيرها حول العلاقة بين المغرب وإسبانيا .
- أشرفت على العديد من رسائل الدكتوراه المقدمة إلى جامعة مدريد المركزية .

المترجم في سطور :

- الاسم : جمال عبد الرحمن
- من مواليد ١٩٥٦ بقرية بنى مجد (أسيوط) .
- حاصل على درجة الإجازة العليا (الليسانس) في اللغة الإسبانية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف من كلية اللغات والترجمة (١٩٧٩) .
- الدراسات التمهيدية للدكتوراه في جامعتي سلمنكا ومدريد .
- حاصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف من جامعة مدريد المركزية (١٩٨٩) .
- في عام ٢٠٠١ رقى إلى درجة أستاذ بقسم اللغة الإسبانية بكلية اللغات والترجمة .
- له العديد من الكتب المترجمة والمقالات المنشورة في مصر والخارج حول موضوعات مختلفة من الأدب الإسباني والعلاقة بين الإسلام والثقافة الإسبانية .

المشروع القومي للترجمة

- المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى إضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :
- ١- الخروج من أسر المركبة الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
 - ٢- التوازن بين المعرف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
 - ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأنكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
 - ٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والتفكير العالميين .
 - ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
 - ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

- | | |
|---|---|
| <p>ت : أحمد درويش</p> <p>ت : أحمد فؤاد بلبع</p> <p>ت : شوقي جلال</p> <p>ت : أحمد الحضري</p> <p>ت : محمد علاء الدين منصور</p> <p>ت : سعد مصلوح / وفاء كامل نايد</p> <p>ت : يوسف الأنتكى</p> <p>ت : مصطفى ماهر</p> <p>ت : محمود محمد عاشور</p> <p>ت : محمد معتصم بعد الطبل الازدي وعمر طنطاوى</p> <p>ت : هناء عبد الفتاح</p> <p>ت : أحمد محمود</p> <p>ت : عبد الوهاب علوب</p> <p>ت : حسن المولى</p> <p>ت : أشرف رفique عفيفي</p> <p>ت : بإشراف / أحمد عثمان</p> <p>ت : محمد مصطفى بدوى</p> <p>ت : طلعت شامين</p> <p>ت : نعيم عطية</p> <p>ت : يمنى طريف الخواى / بدوى عبد الفتاح</p> <p>ت : ماجدة العانى</p> <p>ت : سيد أحمد على الناصري</p> <p>ت : سعيد توفيق</p> <p>ت : بكر عباس</p> <p>ت : إبراهيم التسوى شتا</p> <p>ت : أحمد محمد حسين هيكل</p> <p>ت : نخبة</p> <p>ت : متى أبوسته</p> <p>ت : بدرالبيب</p> <p>ت : أحمد فؤاد بلبع</p> <p>ت : عبد السطاير الطوطچى / عبد الوهاب علوب</p> <p>ت : مصطفى إبراهيم فهمى</p> <p>ت : أحمد فؤاد بلبع</p> <p>ت : حسنة إبراهيم المنيف</p> <p>ت : خليل كلفت</p> | <p>جون كرين
ك. مادهو بانيكار
جورج جيمس
انجا كاريتكتونا
إسماعيل فصيح
مينكا إيفيش
لوسيان غوادمان
ماكس فريش
أندرو س. جولي
چيرار چينيت
نيسوافا شيمبورسکا
بيفيد براونيستون وايرين فرانك
روبرتسن سميث
جان بيلمان تول
إنوارود اويس سميث
مارتن برثال
فليپ لاركين
الشعرى الشناوى فى أمريكا اللاتينية
چورج سفيروس
چورج سفيروس
ج. ج. كراوثر
صمد بهرنجى
جون أنطيس
هائز جيورج جادامر
باتريك بارنر
مولانا جلال الدين البوسى
محمد حسين هيكل
مقالات
جون لوك
جيمس ب. كارسون
ك. مادهو بانيكار
جان سوفاجيه - كولد كابن
بيفيد روس
أ. ج. هويكز
روجر آلن
بول . ب . ديسكون</p> <p>١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)
٢ - الوثنية والإسلام
٣ - التراث المسروق
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو
٥ - ثريا فى فيروبة
٦ - اتجاهات البحث اللسانى
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفية
٨ - مشعل الحرائق
٩ - التغيرات البيئية
١٠ - خطاب الحكاية
١١ - مختارات
١٢ - طريق الحرير
١٣ - بذرة السادس
١٤ - التحليل النفسي والأدب
١٥ - الحركات الفنية
١٦ - أثيبة السوداء
١٧ - مختارات
١٨ - الشعر الشناوى فى أمريكا اللاتينية مختارات
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة
٢٠ - قصة الطم
٢١ - خروفة وألف خرخة
٢٢ - منكريات وحالة عن المصريين
٢٣ - تجلى الجميل
٢٤ - ظلال المستقبل
٢٥ - مشتوى
٢٦ - دين مصر العام
٢٧ - النوع البشري الخلق
٢٨ - رسالة فى التسامح
٢٩ - الموت وال وجود
٣٠ - الوثنية والإسلام (٢٦)
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى
٣٢ - الانقراسن
٣٣ - التاريخ الاقتصادي لمصر العليا الفرعونية
٣٤ - الرواية العربية
٣٥ - الأسطورة والحداثة</p> |
|---|---|

- ت : حياة جاسم محمد
 ت : جمال عبد الرحيم
 ت : أنور مفيث
 ت : منيرة كريان
 ت : محمد عبد إبراهيم
 ت : عطاف أحمد /إبراهيم قصى /محور ملجد
 ت : أحمد محمود
 ت : محمود السيد على
 ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
 ت : ماهر جرجاتي
 ت : عبد الوهاب علوب
 ت : محمد بولاقشان الليدو روست الشككى
 ت : محمد أبو العطا
 ت : السيد سعيد سعيم
 ت : صبرى محمد عبد الفتى
 مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
 ت : محمد خير الباقاعى .
 ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
 ت : رمسيس عوض .
 ت : رمسيس عوض .
 ت : عبد الطيب عبد الطيم
 ت : المهدى أخريف
 ت : أشرف الصياغ
 ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
 ت : عبد الحميد غالب وأحمد حشاد
 ت : حسين محمود
- والاس مارتن
 بروجيت شيلر
 آلن تورين
 بيتر والكريت
 آن سكستون
 بيتر جران
 بنجامن بارير
 أوكتافيو بات
 النوس هكملى
 روبيت ج دنبا - جين ف آفلين
 بايلو نيرودا
 ديننه ويليك
 فرانسا نوما
 د . ت . نوريس
 جمال الدين بن الشيخ
 داريو بيانو وخ . م بيتيليسى
 بيتر . ن . نوشاليس وستيفن . ج . ت : لطفى فطيم ومادل بدرداش
 درجسيفيتز وروجر بيل
 أ . د . أنتقين
 ج . مايكل والتون
 جون بولتكجيم
 فديريكو غرسية لوركا
 فديريكو غرسية لوركا
 فديريكو غرسية لوركا
 كارلوس موتيث
 جوهانز ايتين
 شارلوب سيمور - سميث
 دولان بارت
 ديننه ويليك
 آلان وود
 بيرتراند راسل (سيرة حياة)
 في مدح الكسل ومقالات أخرى
 أنطونيو جالا
 فرناندو بيسوا
 فالنتين راسينيت
 تشاشا العجوز وقصص أخرى
 عبد الرشيد إبراهيم
 بيرتراند راسل (الشرين)
 أوكينيرو تشانج روبريجت
 داريوف فرن
- ٣٦ - نظريات السرد الحديثة
 ٣٧ - واحة سيناء وموسيقاها
 ٣٨ - نقد الحداثة
 ٣٩ - الإغريق والحسد
 ٤٠ - قصائد حب
 ٤١ - ما بعد المركبة الأوروبية
 ٤٢ - عالم ماك
 ٤٣ - الهب المزدوج
 ٤٤ - بعد عدة أصياف
 ٤٥ - الترات المفقود
 ٤٦ - عشرين قصيدة حب
 ٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ١
 ٤٨ - حضارة مصر الفرعونية
 ٤٩ - الإسلام في البلقان
 ٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير
 ٥١ - مسار الرواية الإسبانية أمريكية
 ٥٢ - العلاج النفسي التعبوي

- ت : فؤاد مجلبي
 ت : حسن ناظم وطلي حاكم
 ت : حسن بيومي
 ت : أحمد دروش
 ت : عبد المقصود عبد الكريم
 ت : مجاهد عبد النعم ماجاهد
 ت : أحمد محمود وتوزر أمين
 ت : سعيد الفانمي وناصر حلوي
 ت : مكارم القرني
 ت : محمد طارق الشريقي
 ت : محمود السيد على
 ت : خالد العمالى
 ت : عبد الحميد شيخة
 ت : عبد الرانق بركات
 ت : أحمد فتحى يوسف شتا
 ت : ماجدة العفانى
 ت : إبراهيم الدسوقي شتا
 ت : أحمد زايد ومحمد محى الدين
 ت : محمد إبراهيم بيكوك
 ت : محمد هناء عبد الفتاح
- ت : نادية جمال الدين
 ت : عبد الوهاب علوب
 ت : فوزية العشماوى
 ت : سرى محمد محمد عبد الطيف
 ت : إدوارد الخراط
 ت : يشير السباعى
 ت : أشرف الصياغ
 ت : إبراهيم قنديل
 ت : إبراهيم فتحى
 ت : رشيد بنحدور
 ت : عز الدين الكتانى الإبرىسى
 ت : محمد بنبيس
 ت : عبد الغفار مكارى
 ت : عبد العزيز شبيل
 ت : أشرف على دعور
 ت : محمد عبد الله الجعیدى
- ت . س . إليوت
 جين . ب . توميكز
 ل . ا . سيمينوفا
 أندرىه موروا
 مجموعة من الكتاب
 رينيه ويلبك
 روثالد روبرتسون
 بورياس أوسبنسكى
 الكسندر بوشكين
 بندكت اندرسون
 ميجيل دي أونامونو
 غرفورد بن
 مجموعة من الكتاب
 صلاح ذكي أقطاي
 جمال مير صادقى
 طول الليل
 جلال آل أحد
 جلال آل أحد
 أنتونى جيدنز
 نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
 بازير الاسوستكا
 كارلوس ميجيل
 مايلك فيذرستون وسكوت لاش
 صموئيل بيكت
 أنطونيو بيريز بايسخو
 قصص مختارة
 فرنان برودل
 نماذج ومقالات
 بيغيد روپرسون
 بول هيرست وجراهام تومبسون
 مساحة العولمة
 بيرنان فالابط
 عبد الكريم الخطيبى
 عبد الوهاب المزبب
 برتولت بريشت
 جيرار جينيت
 مدخل إلى النص الجامع
 د. ماريا خيسوس روبيدا ماتى
 نخبة
- ٧٧ - السياسي المعجوز
 ٧٨ - نقد استجابة القارئ
 ٧٤ - صلاح الدين والماليك في مصر
 ٥ - فن الترجم والسيد الذاتية
 ٦ - چاك لاکن وغاوه التطبيل النفسي
 ٧ - تاريخ التقى الذين الحديث ج ٢
 ٧٨ - للغة: الفلكلورية والتقاليد الكورية
 ٩ - شعرية التأليف
 ٨ - بوشكين عند «تأثیرة الدموع»
 ٨١ - الجمادات التخيالية
 ٨٢ - مسرح ميجيل
 ٨٣ - مختارات
 ٨٤ - موسعة الأدب والتراث
 ٨٥ - منصور العلاج (مسرحية)
 ٨٦ - طول الليل
 ٨٧ - نون والنثم
 ٨٨ - الابتلاء، بالقرب
 ٨٩ - الطريق الثالث
 ٩٠ - قسم السيد (قصص)
 ٩١ - للسرج والتجرب بين التراث والتسلق
 ٩٢ - أساليب ومضامين المسرح
 الإسباني أمريكي المعاصر
 ٩٣ - محدثات العولة
 ٩٤ - الصب الأول والصحبة
 ٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني
 ٩٦ - ثلاثة زينبات ووردة
 ٩٧ - هوية فرنسا (المجاد الأول)
 ٩٨ - اليم الإسباني والإبتلاء المسيحيون
 ٩٩ - تاريخ السينما العالمية
 ١٠٠ - مساحة العولمة
 ١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومتلهم)
 ١٠٢ - السياسة والتسامي
 ١٠٣ - قبر ابن عرين يليه أيام
 ١٠٤ - أوريرا ماهوجنى
 ١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع
 ١٠٦ - الأدب الأنجلوسي
 ١٠٧ - صورة القبان فى الشعر الأمريكى للعامر

- | | |
|---|--|
| <p>ت : محمود على مكي</p> <p>ت : هاشم أحمد محمد</p> <p>ت : منى قطان</p> <p>ت : ريهام حسين إبراهيم</p> <p>ت : إكرام يوسف</p> <p>ت : أحمد حسان</p> <p>ت : نسيم مجلبي</p> <p>ت : سميرة رمضان</p> <p>ت : نهاد أحمد سالم</p> <p>ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال</p> <p>ت : ليس النقاش</p> <p>ت : بشرافت / رزيف عباس</p> <p>ت : تخبة من المترجمين</p> <p>ت : محمد الجندي ، وإيزايل كمال</p> <p>ت : متيرة كروان</p> <p>ت : أنور محمد إبراهيم</p> <p>ت : أحمد فؤاد بلبع</p> <p>ت : سمحه الخولي</p> <p>ت : عبد الوهاب طرب</p> <p>ت : بشير السباعي</p> <p>ت : أميرة حسن متيرة</p> <p>ت : محمد أبو العطا وأخرين</p> <p>ت : شوقي جلال</p> <p>ت : لويس بطر</p> <p>ت : عبد الوهاب طرب</p> <p>ت : طلعت الشايب</p> <p>ت : أحمد محمود</p> <p>ت : ماهر شفيق فريد</p> <p>ت : سحر توفيق</p> <p>ت : كاميليا صبحي</p> <p>ت : وجيه سمعان عبد المسئع</p> <p>ت : مصطفى ماهر</p> <p>ت : أمل الجبوري</p> <p>ت : نعيم عطية</p> <p>ت : حسن بيومي</p> <p>ت : عدنى السمرى</p> <p>ت : سلامة محمد سليمان</p> | <p>١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الشعري</p> <p>١٠٩ - حروب المياه</p> <p>١١٠ - النساء في العالم النامي</p> <p>١١١ - المرأة والجريمة</p> <p>١١٢ - الاحتجاج الهادئ</p> <p>١١٣ - رأية التمرد</p> <p>١١٤ - مسرحيات صهار كونيني ومكان المستنقع</p> <p>١١٥ - غرفة تخص المرء وهذه</p> <p>١١٦ - امرأة مختلفة (درة شقيق)</p> <p>١١٧ - المرأة والجنسنة في الإسلام</p> <p>١١٨ - النهضة النسائية في مصر</p> <p>١١٩ - النساء والأسرة وتراثهن الطلق</p> <p>١٢٠ - المرأة الشابة والقطور في الشرق الأوسط</p> <p>١٢١ - البطل المصيري في كتابة المرأة العربية</p> <p>١٢٢ - تناثم العربية القديمة ونثرها في الإنسان</p> <p>١٢٣ - الإمبراطورية المعاشرة وملائكتها البرية</p> <p>١٢٤ - الفجر الكاذب</p> <p>١٢٥ - التطهيل الموسيقي</p> <p>١٢٦ - فعل القراءة</p> <p>١٢٧ - إرهاب</p> <p>١٢٨ - الأدب المقارن</p> <p>١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة</p> <p>١٣٠ - الشرق يصدع ثانية</p> <p>١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)</p> <p>١٣٢ - ثقافة العولمة</p> <p>١٣٣ - الخوف من المرأة</p> <p>١٣٤ - تشريع حضارة</p> <p>١٣٥ - الفتال من شهد سعيد (ثلاث أجزاء)</p> <p>١٣٦ - فلاحو الباشا</p> <p>١٣٧ - مذكرات خليلوفي الحلة الفرضية</p> <p>١٣٨ - عالم التقليدين بين المجال والمنت</p> <p>١٣٩ - بارسيفال</p> <p>١٤٠ - حيث تلتقي الأنهر</p> <p>١٤١ - لشنا عشرة مسرحية يونانية</p> <p>١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل</p> <p>١٤٣ - فضلا للتلثيف في البحث الاجتماعي</p> <p>١٤٤ - صاحبة الراكنة</p> |
| | <p>مجموعة من النقاد</p> <p>چون بواؤك ومادل درويش</p> <p>حسنة بيروم</p> <p>فانسيس هيتسون</p> <p>أرلين علوى ماكلييد</p> <p>سادى بالات</p> <p>ولول شوبنكا</p> <p>فرجينيا رولف</p> <p>سيتشيا نلسون</p> <p>ليلي أحد</p> <p>بيث بارون</p> <p>أميرة الأزهري سنبل</p> <p>ليلي أبو لقد</p> <p>فاطمة موسى</p> <p>جوزيف فوجت</p> <p>نبيل الكسندر وفندولينا</p> <p>چون جrai</p> <p>سيديريك ثورب ديفي</p> <p>فولفغانج إيمير</p> <p>صناه قصى</p> <p>سوزان باستيت</p> <p>ماريا تولروس أسيس جارنه</p> <p>أندريه جوندر فرانك</p> <p>مجموعة من المؤلفين</p> <p>مايك فيذرستون</p> <p>طارق على</p> <p>بارى ج. كيمب</p> <p>ت. س. إليوت</p> <p>كيفيت كونور</p> <p>چوزيف ماري مواريه</p> <p>إيلينا تابيني</p> <p>ريشارد فاچتر</p> <p>هربرت ميسن</p> <p>مجموعة من المؤلفين</p> <p>. أ. م. فورستر</p> <p>ديريك ليدار</p> <p>كارلو جولوديان</p> |

- ت : ياسين طه حافظ
- ت : فتحى العشري
- ت : سوسن سعيد
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : إيمان عبد الفتاح إمام
- ت : علاء منصور
- ت : بدر الدين
- ت : سعيد الفائس
- ت : محسن سيد فرجانى
- ت : مصطفى حجازى السيد
- ت : محمود سالمة علوى
- ت : محمد عبد الواحد محمد
- ت : ماهر شفيق فريد
- ت : محمد علاء الدين منصور
- ت : أشرف الصباغ
- ت : جلال السعيد الحفناوى
- ت : إبراهيم سالمة إبراهيم
- ت : جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد الطيف حماد
- ت : فخرى لبيب
- ت : أحمد الأنصارى
- ت : مجاهد عبد القىوم مجاهد
- ت : جلال السعيد الحفناوى
- ت : أحمد محمد هويدي
- ت : أحمد مستجير
- ت : على يوسف على
- ت : محمد أبو العطا عبد الرحمن
- ت : محمد أحمد صالح
- ت : أشرف الصباغ
- ت : يوسف عبد الفتاح فرج
- ت : محمود حمدى عبد الفتاح
- ت : يوسف عبد الفتاح فرج
- ت : سيد أحمد على الناصري
- ت : محمد محمود محى الدين
- ت : محمود سالمة علوى
- ت : أشرف الصباغ
- ت : نادية البناوى
- ت : على إبراهيم على متوفى
- و . ب . بيتس
- رينيه جيلسون
- هائز إندرورفر
- تomas تومن
- ميختايل أنوره
- بيجع على
- الفن كرمان
- پول دي مان
- كونفوشيوس
- الماج أبو بكر إمام
- ذين العابدين المراغى
- بيتر أبراهمز
- مجموعة من النقاد
- إسماعيل فتحى
- فالنتين راسبوتين
- شمس العلماء شبلى التعمانى
- إيوبين إمرى وأخرون
- يعقوب لانتادى
- جيروم سيريلوك
- جزايا رؤوس
- روبنى ويليك
- الاطاف حسين حالى
- زملان شازار
- لوجين لوقا كافاللى - سفورزا
- جييس جلايك
- رامون خوتاستدير
- دان أوبيان
- مجموعة من المؤلفين
- ستانلى الفزنرى
- جوناثان كلر
- مزبان بن دوستم بن شروين
- ديمون فالور
- أنتوشى جيدنز
- ذين العابدين المراغى
- مجموعة من المؤلفين
- جوائب أخرى من حياتهم
- مسؤول بيكت
- خوليوكورتزان
- ـ العنف والتربة
- ـ جان كوكتو على شاشة السينما
- ـ القاهرة .. حالة لا تقام
- ـ أسفار العهد القديم
- ـ معجم مصطلحات هيجل
- ـ الأرفة
- ـ موت الأدب
- ـ الفن والبصرة
- ـ محاجرات كونفتشيوس
- ـ الكلام وأسماء
- ـ ساخت نامة إبراهيم بك جـ ١
- ـ عامل النجم
- ـ مدخلات عن القراءة - تركى
- ـ شتاء ٨٤
- ـ الملة الأخيرة
- ـ القاريق
- ـ الاتصال الجماهيري
- ـ تاريخ بيته مصر في الفترة العثمانية
- ـ ضحايا التنمية
- ـ الجانب الدينى للفلسفة
- ـ تاريخ النقد الأدبي الحديث جـ ٢
- ـ الشعر والشاعرة
- ـ تاريخ نقد العهد القديم
- ـ الجينات والشعوب واللغات
- ـ الهيرولية تصنع علىًّا جيداً
- ـ ليل إفريقي
- ـ شخصية المrix فى المسرح الإسرائيلى
- ـ السود والمسرح
- ـ مشتريات حكيم سنانى
- ـ فرييانان موسوسير
- ـ قصص الأمير مروزان
- ـ مصرية قديمة في متحف بيروت
- ـ زواج جديدة للطبع في علم الاجتماع
- ـ ساخت نامة إبراهيم بك جـ ٢
- ـ جواب آخر من حياتهم
- ـ مسرحيتان طليعتان
- ـ رايبلا

- ت : طلعت الشايب ٢١٩ - بقايا اليم
 ت : على يوسف على ٢٢٠ - الهولبة في الكون
 ت : رفعت سلام ٢٢١ - شعرية كافالى
 ت : تصيم مجلى ٢٢٢ - فرانز كانكا
 ت : السيد محمد ثقائى ٢٢٣ - الطم فى مجتمع حر
 ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد ٢٢٤ - دمار بروغلانيا
 ت : السيد عبد الظاهر ميد الله ٢٢٥ - حكاية فريق
 ت : طاهر محمد على البريرى ٢٢٦ - أرض النساء وقصائد أخرى
 ت : السيد عبد الظاهر عبد الله ٢٢٧ - لسر العمبان في القرن السبع عشر
 ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن ٢٢٨ - علم البمالية وعلم اجتماع اللن
 ت : أمير إبراهيم العرqi ٢٢٩ - نورمان كيمان
 ت : مصطفى إبراهيم فهيم ٢٣٠ - عن النباب والفنان والبشر
 ت : جمال أحمد عبد الرحمن ٢٣١ - الدرابل
 ت : مصطفى إبراهيم فهيم ٢٣٢ - مابعد المعلومات
 ت : طلعت الشايب ٢٣٣ - ذكرة الأضليل
 ت : فؤاد محمد عكود ٢٣٤ - الإسلام في السودان
 ت : إبراهيم الدسوقي شتا ٢٣٥ - ديوان شمس تبريني ج ١
 ت : أحمد الطيب ٢٣٦ - الولاية
 ت : عزيزات حسين طلعت ٢٣٧ - مصر أرض الوادي
 ت : ياسر محمد جاد الله وعمرى مدربى أحمد ٢٣٨ - العلة والتحرر
 ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فليق ٢٣٩ - العرب في الأدب الإسرائيلي جيلاغر - رايون
 ت : صلاح عبد العزيز محمد ٢٤٠ - الإسلام والغرب وأركانة العوار
 ت : ابتسام عبد الله سعيد ٢٤١ - في انتظار البراءة
 ت : صبرى محمد حسن عبد النبي ٢٤٢ - سبعة أنماط من الفوضى ولابام إمبسون
 ت : مجموعة من المترجمين ٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (ج ١) ليش برونسال
 ت : نادية جمال الدين محمد ٢٤٤ - الفلين
 ت : توقيف على منصور ٢٤٥ - نساء مقاتلات
 ت : على إبراهيم على متوفى ٢٤٦ - قصص مختارة
 ت : محمد الشرقاوى ٢٤٧ - الثلاثة الجمالية والمدحنة في مصر ووازن أرمبرست
 ت : عبد الطاليف عبد الطلب ٢٤٨ - حقول عنده التضراه
 ت : رفعت سلام ٢٤٩ - لغة التمنق
 ت : ماجدة أبياظة ٢٥٠ - علم اجتماع العلوم
 ت : ياشراف : محمد الجوهري ٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢ جوردون مارشال
 ت : على بدران ٢٥٢ - ولادات الحركة النسائية المصرية مارجو بدران
 ت : حسن بيومى ٢٥٣ - تأريخ مصر الفاطمية لـ أ. سيمينوفا
 ت : إمام عبد الفتاح إمام ٢٥٤ - اللسنة
 ت : إمام عبد الفتاح إمام ٢٥٥ - أفلاطون

- ت : إمام عبد الفتاح إمام ٢٥٦ - ديكارت
 ت : محمود سيد أحمد ٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الغربية
 ت : مبادرة كُحيلة ٢٥٨ - الفجر
 ت : غارجان كازانچيان ٢٥٩ - مختارات من الشعر الارمني
 ت ياشراف : محمد الجوهرى ٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢
 ت : إمام عبد الفتاح إمام ٢٦١ - رطة في فكر زكي نجيب محمود
 ت : محمد أبو العطا عبد الرزيف ٢٦٢ - مدينة المجرات
 ت : على يوسف على ٢٦٣ - الكشف من حافة الزمن
 ت : لويس عوض ٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة
 ت : لويس عوض ٢٦٥ - روايات مترجمة
 ت : عادل عبد النعم سوليم ٢٦٦ - مدير المدرسة
 ت : بدر الدين عربوكى ٢٦٧ - فن الرواية
 ت : إبراهيم السوقي شتا ٢٦٨ - ديوان شمس شيرين ج ٢
 ت : صبرى محمد حسن ٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١
 ت : صبرى محمد حسن ٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢
 ت : شوقى جلال ٢٧١ - الحضارة العربية
 ت : إبراهيم سالمة ٢٧٢ - الأدباء الأثرياء في مصر
 ت : عطان الشهابى ٢٧٣ - الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط
 ت : محمود على مكى ٢٧٤ - السيدة بربارا
 ت : ماهر شفيق فريد ٢٧٥ - د. س. إبراهيم شافعى (كتاب سرى)
 ت : عبد القادر الثمسانى ٢٧٦ - فنون السينما
 ت : أحمد فوزى ٢٧٧ - الجينات : المصراع من لجل الحياة
 ت : ظريف عبد الله ٢٧٨ - البدائيات
 ت : طلعت الشابى ٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية
 ت : سمير عبد الحميد ٢٨٠ - من الأدب الهنوى الحديث والمعاصر
 ت : جلال الحفناوى ٢٨١ - الودودس الأعلى
 ت : سمير حنا صافى ٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية
 ت : على البهى ٢٨٣ - السهل يحترق
 ت : أحمد مقنان ٢٨٤ - هرقل مجونة
 ت : سمير عبد الحميد ٢٨٥ - رحلة القراجة حسن نظامى حسن نظامى
 ت : محمود سالمة عالى ٢٨٦ - سياحت نامة إبراهيم بك ج ٢
 ت : محمد يحيى وأخرين ٢٨٧ - الثقافة والعربية والنظام العالمي
 ت : ماهر البطوطى ٢٨٨ - الفن الروائى
 ت : محمد ثور الدين ٢٨٩ - ديوان منتجهوى الدامقانى
 ت : أحمد زكريا إبراهيم ٢٩٠ - علم اللغة والترجمة
 ت : السيد عبد الظاهر ٢٩١ - السرح الإسبانى فى القرن المشرى ج ١
 ت : السيد عبد الظاهر ٢٩٢ - السرح الإسبانى فى القرن المشرى ج ٢

- ت : نخبة من المترجمين ٢٩٣
 ت : رجاء ياقوت صالح ٢٩٤
 ت : بدر الدين حب الله الدبيب ٢٩٥
 ت : محمد مصطفى بدوى ٢٩٦
 ت : ماجدة محمد أنور ٢٩٧
 ت : مصطفى حجازى السيد ٢٩٨
 ت : هاشم أحمد فؤاد ٢٩٩
 ت : جمال الجزيري ويهاء چاهين ٢٠٠
 ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي ٢٠١
 ت : إمام عبد الفتاح إمام ٢٠٢
 ت : إمام عبد الفتاح إمام ٢٠٣
 ت : إمام عبد الفتاح إمام ٢٠٤
 ت : صلاح عبد الصبور ٢٠٥
 ت : ثعلب سعد ٢٠٦
 ت : محمود محمد أحمد ٢٠٧
 ت : ممدوح عبد المتمم أحمد ٢٠٨
 ت : جمال الجزيري ٢٠٩
 ت : محى الدين محمد حسن ٢١٠
 ت : فاطمة إسماعيل ٢١١
 ت : أسعد حليم ٢١٢
 ت : عبد الله الجعدي ٢١٢
 ت : هودا السباعي ٢١٤
 ت : كاميليا صبحي ٢١٥
 ت : نسيم مجلى ٢١٦
 ت : أشرف الصباغ ٢١٧
 ت : أشرف الصباغ ٢١٨
 ت : حسام نايل ٢١٩
 ت : محمد علاء الدين منصور ٢٢٠
 ت : نخبة من المترجمين ٢٢١
 ت : خالد ملاع حمزة ٢٢٢
 ت : هائم سليمان ٢٢٣
 ت : محمود سلامة علاوى ٢٢٤
 ت : كريستين يوسف ٢٢٥
 ت : حسن صقر ٢٢٦
 ت : توفيق على منصور ٢٢٧
 ت : عبد العزيز بقوش ٢٢٨
 ت : محمد عبد إبراهيم ٢٢٩
- روجر آلان
 بولو
 جوناثن كامبل
 وليم شكسبير
 دينيسبيوس ثراكس - يوسف الأفوانى
 أبو بكر تخارابليه
 جين. ل. ماركس
 لويس عوض
 لويس عوض
 جون هيكتون وجوي جروتز
 جين هوپ وبورتن فلن لون
 رويس
 كريزبور مايلبارت
 چان - فرانسوا ليتار
 بيفيد باينيرو
 ستيف جونز
 انجلوس جيلاتش
 ناجي هيد
 كولنجروه
 وليم دي بروين
 خابير بیان
 جيشن مینيك
 ميشيل بروندینو
 آ. ف. ستون
 شیر لایمنا - زنیکن
 جایتر یاسیپیلاک و کرسنستور فوریس
 مؤلف مجھول
 لیلی برو فنسال
 دیلیک، ایبرجهن کلینبار
 تراث یونانی قیمیم
 اشرف أسدی
 فلیکیپ بوسان
 جورجین هایبرماس
 نخبة
 نور الدين عبد الرحمن بن أحمد
 تد هیزد
- ٢٩٣ - مقدمة للأدب العربي
 ٢٩٤ - فن الشعر
 ٢٩٥ - سلطان الأسطورة
 ٢٩٦ - مكتب
 ٢٩٧ - فن النحوين اليونانية والسويدية
 ٢٩٨ - مأساة العبيد
 ٢٩٩ - ثورة التكثراوجيا الحيوية
 ٢٠٠ - أسطورة بروميثيوس مع جا
 ٢٠١ - أسطورة بروميثيوس مع جا
 ٢٠٢ - فنجلشتين
 ٢٠٣ - بوندا
 ٢٠٤ - ماركس
 ٢٠٥ - الجلد
 ٢٠٦ - الحساسة - النقد الكاتلني لكتارخ
 ٢٠٧ - الشعر
 ٢٠٨ - علم الوراثة
 ٢٠٩ - الفن والمع
 ٢١٠ - بونج
 ٢١١ - مقال في المنطق الفلسفى
 ٢١٢ - درج الشعب الأسود
 ٢١٢ - أمثال فلسطينية
 ٢١٤ - الفن كقدم
 ٢١٥ - جرامش فى العالم العربى
 ٢١٦ -محاكمة سقراط
 ٢١٧ - بلا غد
 ٢١٨ - الابليس فى الشفاعة الشر الأخيرة
 ٢١٩ - صور دريدا
 ٢٢٠ - لغة السراج لحضرية القاج
 ٢٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مع ٢ ج)
 ٢٢٢ - رومايات نظر حبيبة في تاريخ الفن العربي
 ٢٢٣ - فن الساتورا
 ٢٢٤ - اللعب بالنار
 ٢٢٥ - عالم الآثار
 ٢٢٦ - المعرفة والمصلحة
 ٢٢٧ - مختارات شعرية مترجمة
 ٢٢٨ - يوسف وزليخة
 ٢٢٩ - رسائل عبد الميلاد

- ٢٢٠ - كل شئ، من التمثيل الصامت
 ٢٢١ - عندما جاء السردين
 ٢٢٢ - رحلة شهر الصلوة وقصص لخرى
 ٢٢٣ - الإسلام في بريطانيا
 ٢٢٤ - لقطات من المستقبل
 ٢٢٥ - حصر الشك
 ٢٢٦ - متون الأفرام
 ٢٢٧ - فلسفة الولاء
 ٢٢٨ - نظرات مازة وقصص أخرى من الهند
 ٢٢٩ - تاريخ الأدب في إيران ج ٢
 ٢٣٠ - اضطراب في الشرق الأوسط
 ٢٣١ - قصائد من رلكه
 ٢٣٢ - سلامان وأبسال
 ٢٣٣ - العالم البرجوازي الزائل
 ٢٣٤ - الموت في الشمس
 ٢٣٥ - الركض خلف الزمن
 ٢٣٦ - سحر مصر
 ٢٣٧ - الصبية الطائشون
 ٢٣٨ - المسرة الإيرانية للأدب التركي ج ١
 ٢٣٩ -ليل القارئ إلى الثقافة الجادة
 ٢٤٠ - يانوراما الحياة السياحية
 ٢٤١ - مبادئ المنطق
 ٢٤٢ - قصائد من كلامييس
 ٢٤٣ - الجن الإسلامى فى الكتاب (كتبي)
 ٢٤٤ - باسيلىز بايون مالوتاولد
 ٢٤٥ - الجن الإسلامى فى الكتاب (باتي)
 ٢٤٦ - حجت مرتفقى
 ٢٤٧ - التيارات السياسية فى إيران
 ٢٤٨ - بول سالم
 ٢٤٩ - نصوص قيمة
 ٢٤٩ - نخبة
 ٢٤٩ - أفلاطون
 ٢٤٩ - أندريه جاكوب ونوليا باركان
 ٢٥٠ - الميراث المر
 ٢٥١ - متون هيرميس
 ٢٥٢ - أمثل الهوسا العالمية
 ٢٥٣ - محاورات بارمنيدس
 ٢٥٤ - أنثروپولوجيا اللغة
 ٢٥٥ - النصرور : التهديد والمحابية
 ٢٥٦ - تلبيذ بابنبريج
 ٢٥٧ - حركات التمرد الأدريقي
 ٢٥٨ - حدائق شكسبير
 ٢٥٩ - سام باريس
 ٢٦٠ - نساء يركضن مع الثنايا
 ٢٦١ - كلاريسا ينكولا
- ت : سامي صلاح
 ت : سامية نباب
 ت : على إبراهيم على منوفي
 ت : بكر عباس
 ت : مصطفى فهمى
 ت : فتحى العشري
 ت : حسن صابر
 ت : أحمد الاتصاري
 ت : جلال السعيد الحفناوى
 ت : محمد علاء الدين منصور
 ت : فخرى لبيب
 ت : حسن حلبي
 ت : عبد العزيز بقوش
 ت : سمير عبد ويه
 ت : سمير عبد ويه
 ت : يوسف عبد الفتاح فرج
 ت : جمال الجزارى
 ت : بكر الطو
 ت : عبد الله أحمد إبراهيم
 ت : أحمد عمر شاهين
 ت : عطية شحاته
 ت : أحمد الاتصاري
 ت : نعيم عطية
 ت : على إبراهيم على منوفي
 ت : على إبراهيم على منوفي
 ت : محمود سالم علوي
 ت : بدر الرفاعى
 ت : عمر المأزق عمر
 ت : مصطفى حجازى السيد
 ت : حبيب الشاربينى
 ت : ليلى الشربينى
 ت : عاطف معتمد وأمال شادر
 ت : سيد أحمد فتح الله
 ت : سمير محمد حسن
 ت : نجلاء أبو عجاج
 ت : محمد أحمد حمد
 ت : مصطفى محمود محمد

- ت : البرأك عبد الهادي رضا
 ت : عابد خزندار
 ت : فوزية المشماوى
 ت : فاطمة عبد الله محمود
 ت : عبد الله أحمد إبراهيم
 ت : وحيد السعيد عبد الحميد
 ت : على إبراهيم على متوفى
 ت : حمادة إبراهيم
 ت : خالد أبو اليزيد
 ت : إنوار القراط
 ت : محمد علاء الدين منصور
 ت : يوسف عبد الفتاح فرج
 ت : جمال عبد الرحمن
 ت : شيرين عبد السلام
 ت : رانيا إبراهيم يوسف
 ت : أحمد محمد ثانوي
 ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
 ت : إيزايليل كمال
 ت : يوسف عبد الفتاح فرج
 ت : ريهام حسن إبراهيم
 ت : بهاء، صافين
 ت : محمد علاء الدين منصور
 ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
 ت : عثمان مصطفى عثمان
 ت : منى الدربوبي
 ت : عبد الطيف عبد الطيم
 ت : زينب محمود الخضيري
 ت : هاشم أحمد محمد
 ت : سليم حمدان
 ت : محمود سلامة علوي
 ت : إمام عبد الفتاح إمام
 ت : إمام عبد الفتاح إمام
 ت : إمام عبد الفتاح إمام
 ت : باهر الجبرى
 ت : مصطفى عبد المتمم
 ت : مصطفى عبد المتمم
 ت : عماد حسن بكر
 ت : حلبة خميس
 ت : حمادة إبراهيم
 ت : جمال أحمد عبد الرحمن
 ت : طلعت شاهين
 ت : عنان الشهارى
- نخبة ٣٦٧
 جيدالله برس ٣٦٨
 فوزية المشماوى ٣٦٩
 كلير لا لويت ٣٧٠
 محمد فؤاد كويريل ٣٧١
 وانغ مينغ ٣٧٢
 أبيرتو إيكو ٣٧٣
 أندره شميد ٣٧٤
 ميلان كونديرا ٣٧٥
 نخبة ٣٧٦
 على أصغر حكمت ٣٧٧
 محمد إقبال ٣٧٨
 سفيلى بات ٣٧٩
 جورتن جراس ٣٨٠
 ر. ل. تراسك ٣٨١
 بهاء الدين محمد إسكندر ٣٨٢
 محمد إقبال ٣٨٣
 سوزان إنجليل ٣٨٤
 محمد على بهزاده ٣٨٥
 جانيت تود ٣٨٦
 چون ذن ٣٨٧
 سعدى الشيرازى ٣٨٨
 من الأدب الباكستاني المعاصر ٣٨٩
 نخبة ٣٩٠
 مايف بيبنشى ٣٩١
 فرانتزو دى لاجرانخا ٣٩٢
 ثورة لويس ماسينيرون ٣٩٣
 بول ديدز ٣٩٤
 إسماعيل فصيح ٣٩٥
 تقى نجاري راد ٣٩٦
 لورانس جين ٣٩٧
 فيليب تودى ٣٩٨
 بيغيد ميرفتش ٣٩٩
 شيلانيل إندہ ٤٠٠
 زيانون سادر ٤٠١
 ج . ب . ماك ايفري ٤٠٢
 توبيور شوتورم ٤٠٢
 بيغيد إبرام ٤٠٤
 أندره جيد ٤٠٥
 مانويل ماتتاناريس ٤٠٦
 أقلام مختلفة ٤٠٧
 جوان فوشترنكج ٤٠٨
- القلم البرىء ٣٦٧
 - المصطلط السرىدى ٣٦٨
 - المرأة فى أدب نجيب محفوظ ٣٦٩
 - الفن والحياة فى مصر الفرعونية ٣٧٠
 - الترسنة الإنكى فى الأدب التركى ج ٢ ٣٧١
 - عاش الشباب ٣٧٢
 - كيف تهدى رسالة دكتراه ٣٧٣
 - اليوم السادس ٣٧٤
 - الخلود ٣٧٥
 - القطب وأحلام السنين ٣٧٦
 - تاريخ الأدب فى إيران ج ١ ٣٧٧
 - المسافر ٣٧٨
 - ملك فى الحقيقة ٣٧٩
 - حديث عن الفسارة ٣٨٠
 - أساسيات اللغة ٣٨١
 - تاريخ طبرستان ٣٨٢
 - هدية المجاز ٣٨٣
 - القصص التى يحكىها الأطفال ٣٨٤
 - مشتري العشق ٣٨٥
 - نقاطاً عن تاريخ الأدب التوى ٣٨٦
 - أغذيات وسوئات ٣٨٧
 - مواعظ سعدى الشيرازى ٣٨٨
 - من الأدب الباكستاني المعاصر ٣٨٩
 - الآرشيفات والمدن الكبرى ٣٩٠
 - الحافظة الاليكترونية ٣٩١
 - مقامات ورسائل أندلسية ٣٩٢
 - فى قلب الشرق ٣٩٣
 - القرى الأربع الأساسية فى الكون ٣٩٤
 - الأم سياوش ٣٩٥
 - السفالك ٣٩٦
 - نيشه ٣٩٧
 - سارتر ٣٩٨
 - كامى ٣٩٩
 - موهو ٤٠٠
 - الرياضيات ٤٠١
 - هوكتج ٤٠٢
 - رقة للطرب واللابس تصنع الناس ٤٠٢
 - تعويذة الحسى ٤٠٤
 - إيزايليل ٤٠٥
 - المستعربون الإسبان فى القرن ١٩ ٤٠٦
 - الأدب الإسبانى للعصرين بقلم كتبه ٤٠٧
 - معجم تاريخ مصر ٤٠٨

- ٤٠٩ - انتصار السعادة
- ٤١٠ - خلاصة القرن
- ٤١١ - همس من الماضي
- ٤١٢ - تاريخ إسلامياً إسلامياً (مع، ج ٢)
- ٤١٣ - أغنيات الملفتي
- ٤١٤ - الجمهورية العالمية للأدب
- ٤١٥ - صورة كوكب
- ٤١٦ - مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر
- ٤١٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٤
- ٤١٨ - سيدات الزمر الملكات مصر الشاهية
- ٤١٩ - المصير النهبي للإسكندرية
- ٤٢٠ - مكرور ميجاس
- ٤٢١ - الرؤى والآيات في المجتمع الإسلامي
- ٤٢٢ - رحلة لامتناثفات أفريقيا ج ١
- ٤٢٣ - إسراءات الرجل الطيف
- ٤٢٤ - لوائح الحق ولوائح العشق
- ٤٢٥ - من طاووس حتى فرج
- ٤٢٦ - الشفافيش وقصص أخرى من لفاسistan
- ٤٢٧ - بانديراس الطاغية
- ٤٢٨ - الفرازة الخفية
- ٤٢٩ - هيجل
- ٤٣٠ - كانط
- ٤٣١ - فوكو
- ٤٣٢ - ماكياثلي
- ٤٣٣ - جويس
- ٤٣٤ - الرمانسية
- ٤٣٥ - توجهات ما بعد الحداثة
- ٤٣٦ - تاريخ الفلسفة (مج ١)
- ٤٣٧ - رحلة هندى في بلاد الشرق
- ٤٣٨ - بطولات وضمادات
- ٤٣٩ - موت المرابي
- ٤٤٠ - قواعد اللهجات العربية
- ٤٤١ - أورندهاتنى روى
- ٤٤٢ - حشبيست (الراة الفرعونية)
- ٤٤٣ - اللغة العربية
- ٤٤٤ - أمريكا اللاتينية: الثقافات اللاتينية
- ٤٤٥ - حول وبن الشمر
- ت : إلهامى عماره
- ت : الزواوى بغوره
- ت : أحمد مستجير
- ت : نخبة
- ت : محمد البخارى
- ت : أمل الصبان
- ت : أحمد كامل عبد الرحيم
- ت : مصطفى بنوى
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : عبد الرحمن الشيخ
- ت : نسيم مطبى
- ت : الطيب بن رجب
- ت : أشرف محمد كيلانى
- ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
- ت : وحيد النقاش
- ت : محمد علاء الدين منصور
- ت : محمود سلامة عالوى
- ت : محمد علاء الدين منصور بعد الطيبة يكتب
- ت : ثريا شلبى
- ت : محمد أمان صافى
- ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ت : حمدى الجابرى
- ت : عمam حجازى
- ت : ناجي رشوان
- ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ت : جلال السعيد الحفنوى
- ت : عايدة سيف الدولة
- ت : محمد علاء الدين منصور بعد الطيبة يكتب
- ت : محمد الشرقاوى
- ت : فخرى لبيب
- ت : ماهر جريجاتى
- ت : محمد الشرقاوى
- ت : صالح علامى
- ت : محمد محمد يوسف
- برتراند راسل
- كارل بوير
- جيوفى أكمان
- ليفى بروفنسال
- ناائم حكمت
- باسكال كازانوفا
- فريديريش دورنیمات
- أ.ا. رتشاردن
- روثنه وبلايك
- جين هاثوارى
- جون ماريو
- فواتير
- روى متحدة
- محمود طاووس
- نخبة
- نخبة
- نور الدين عبد الرحمن الجامى
- نخبة
- بائى إكلان
- محمد هوتك
- ليرى سينسرا وأندزوجى كرندز
- كرستوفر وانت وأندزوجى كليموفسکى
- كريس هيرويكس ويندان جلتفيك
- باتريك كينى وأوسكار زارييت
- بيغيد نوريس وكارل فلت
- دونكان هيث وجوردن بورهام
- نيكولاس زيريج
- فرديريك كريستون
- شيلى التعنانى
- إيمان ضياء الدين بيروس
- صهر الدين عبلى
- كرستن بروستاد
- أوندھاتنى روى
- فوزية أسد
- كيس فرسنج
- لورىت سېجورە
- پۈزىز ئاڭلۇ خانلىرى

- ٤٤٦ - التحالف الأسود
- ٤٤٧ - نظرية الكم
- ٤٤٨ - علم نفس التطور
- ٤٤٩ - المركبة النسائية
- ٤٥٠ - ما بعد المركبة النسائية
- ٤٥١ - التقليدة الشرقية
- ٤٥٢ - لينين والثورة الروسية
- ٤٥٣ - القاهرة : إقامة مدينة حديثة
- ٤٥٤ - خمسين عالماً من السينما الفرنسية
- ٤٥٥ - تاريخ الطائفة الحديثة (ج ٥) فردريك كوبيلستين
- ٤٥٦ - لا تنسني مریم جعفری
- ٤٥٧ - النساء في الفكر السياسي العربي سوزان مولار اوکن
- ٤٥٨ - المؤرخون الأنجلوسيون خواين كارلو باروخا
- ت : أحمد محمود
- ت : مصطفى عبد المنعم
- ديلان ايلانز - أوسكار زاريـت
- ت : مصطفى عبد المنعم
- جمـنة
- صوفينا فوكا - ريبكـارـيت
- ريـتشـارـدـ أوـزـيـورـنـ /ـ يـعـنـ فـانـ لـينـ
- ريـتشـارـدـ إـيجـاتـانـزـ /ـ أـوسـكارـ زـاريـتـ
- جانـ لـوكـ أـرنـ
- روـبـيـهـ بـريـدـالـ
- مرـيـمـ جـعـفـرـیـ
- سوـزانـ مـوـلـارـ اوـکـنـ
- خـواـينـ كـارـلـوـ بـارـوـخـاـ
- ت : جمال الجزارى
- ت : جمال الجزارى
- ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ت : محي الدين مزيد
- ت : طهيم طومسون وفؤاد الدهان
- ت : سوزان خليل
- ت : مصطفى سيد أحمد
- ت : هودا عزت محمد
- ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ت : جمال عبد الرحمن

طبع بالهيئة العامة لشئون المطبع الأهلية

رقم الإيداع ٢٠٠٢ / ١٤٥٧٣